UNIVERSAL
LIBRARY

OU-234008

UNIVERSAL
LIBRARY

الجـــزء العـاشر ٩٣٧

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر

محمد بن جرير الطبري المتوفى

سنة ٣١٠ هجرية رحمه

الله وأثابه رضاه

آمـــين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين

الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه « أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

﴿ تنبيـــه ﴾

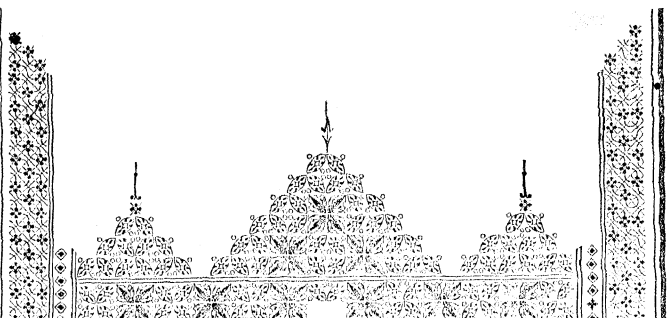
طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الحشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الحشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المحمية

ســـنة ١٣٢٧ هجريه



(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء

القول فى تأويل قوله ﴿ واعلموا أنما غنمتم من شئ ﴾ قال أبو جعفر وهذا تعليم من الله عز وجل المؤمنين قسم غنائمهم اذا غنموها يقول تعالى ذكره واعلموا أيها المؤمنون أنما غنمتم من غنيمة واختلف أهل العلم فى معنى الغنيمة والفئ فقال بعضهم فيهما معنيان كل واحد منهما غير صاحبه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح قال سألت عطاء بن السائب عن هذه الآية واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وهذه الآية ما أفاء الله على رسوله قال قلت ما الفئ وما الغنيمة قال اذا ظهر المسلمون على المشركين وعلى أرضهم وأخذوهم عنوة فما أخذوا من مال ظهروا عليه فهو غنيمة وأما الارض فهى فى سواد ناهذا فى فئ

وقال آخرون الغنيمة ما أخذ عنوة والفئ ما كان عن صلح ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان الثورى قال الغنيمة ما أصاب المسلمون عنوة بقتال فيه الخمس وأربعة أخماسه لمن شهدها والفئ ما صولحوا عليه بغير قتال وليس فيه خمس هو لمن سمى الله

وقال آخرون الغنيمة والفئ بمعنى واحد وقالوا هذه الآية التى فى الانفال ناسخة قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول الآية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل قال كان الفئ فى هؤلاء ثم نسخ ذلك فى سورة الانفال فقال واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فنسخت هذه ما كان قبلها فى سورة الحشر وجعل الخمس لمن كان له الفئ فى سورة الحشر وسائر ذلك [illegible] عليه وقد بينا فيما مضى الغنيمة وأنها المال يوصل اليه من

دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ﴾ ﴿ القرا آت بالعدوة بكسر العين فى الحرفين ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب الباقون بالضم من حيى بياءين أبو جعفر ونافع وخلف وسهل ويعقوب والبزى ونصير وأبو بكر وحماد الباقون بالادغام ولا تنازعوا بالادغام البزى وابن فليح وتذهب بالجزم للجزاء عن هبيرة واذ زين وبابه مدغما أبو عمرو وعلى وحمزة فى رواية خلاد وابن سعدان وهشام انى أرى انى أخاف بفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو تراءت الفئتان بالامالة نصير ﴿ الوقوف وابن السبيل ط لتعلق حرف الشرط بمحذوف يدل عليه ماقبلها تقديره واعلموا واعتقدوا هذه الاقسام ان كنتم الجمعان ط قدير ○ أسفل منكم ط فى الميعاد لا لعطف لكن مفعولا لا لتعلق اللام من حى عن بينة ط عليم لا لتعلق اذ قليلا ط منكم ط الصدور ○ مفعولا ط الامور ○ تفلحون ○ ج للآية وللعطف واصبروا ط الصابرين ○ ج لما ذكر عن سبيل الله ط محيط ○ جارلكم ط أخاف الله ط العقاب ○ دينهم ط حكيم ○ ﴿ التفسير لما أمر سبحانه بالقتال فى قوله وقاتلوهم والمقاتلة مظنة حصول الغنيمة أعاد حكم الغنيمة ببيان أوفى وأشفى فقال واعلموا أنما غنمتم أى الذى حزتم من أموال الكفرة قهرا وقوله من شئ بيان ما أى من كل مايقع عليه اسم الشئ حتى الخيط والمخيط وقوله فأن لله بالفتح مبتدأ محذوف الخبر وروى الجعفى عن أبى عمرو فان لله بالكسر قال فى الكشاف والمشهور آكد وأثبت للايجاب كأنه قيل فلابد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به لانه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت

مال من خول الله ماله أهل دينه بغلبة عليه وقهر بقتال فأما الفئ فانه ما أفاء الله على المسلمين من أموال أهل الشرك وهو مارده عليهم منها بصلح من غير ايجاف خيل ولا ركاب وقد يجوز أن يسمى مارد ته عليهم منها سيوفهم ورماحهم وغير ذلك من سلاحهم فيأ لان الفئ انما هو مصدر من قول القائل فاء الشئ يفئ فيأ اذا رجع وأفاءه الله اذا رده غير أن الذى ورد حكم الله فيه من الفئ يحكمه فى سورة الحشر انما هو ماوصفت صفته من الفئ دون ما أوجف عليه منه بالخيل والركاب لعلل قد بينتها فى كتابنا كتاب لطيف القول فى أحكام شرائع الدين وسنبينه أيضا فى تفسير سورة الحشر اذا انتهينا اليه ان شاء الله تعالى وأما قول من قال الآية التى فى سورة الانفال ناسخة الآية التى فى سورة الحشر فلا معنى له اذ كان لا معنى فى احدى الآيتين ينفى حكم الاخرى وقد بينا معنى النسخ وهو نفى حكم قد ثبت بحكم خلافه فى غير موضع مما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله من شئ فانه مراد به كل ماوقع عليه اسم شئ مما خوله الله المؤمنين من أموال من غلبوا على ماله من المشركين مما وقع فيه القسم حتى الخيط والمخيط كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ قال المخيط من الشئ حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ليث عن مجاهد بمثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد مثله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ فان لله خمسه والرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم قوله فأن لله خمسه مفتاح كلام ولله الدنيا والآخرة وما فيهما وانما معنى الكلام فأن للرسول خمسه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن عن قول الله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول قال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن بن محمد عن قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه قال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة حدثنا أبو كريب قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا أبو شهاب عن ورقاء عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية فغنموا خمس الغنيمة فضرب ذلك الخمس فى خمسة ثم قرأ واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول قال وقوله فأن لله خمسه مفتاح كلام لله ما فى السموات وما فى الارض فجعل سهم الله وسهم الرسول واحدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم فأن لله خمسه قال لله كل شئ حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم فى قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه قال لله كل شئ وخمس لله ورسوله ويقسم ماسوى ذلك على أربعة أسهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس فأربعة أخماس لمن قاتل عليها ويقسم الخمس الباقى على خمسة أخماس فخمس لله والرسول حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا أبان عن الحسن قال (١) أوصى أبو بكر رضى الله عنه بالخمس من ماله وقال ألا أرضى من مالى بما رضى الله لنفسه حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل عن عبد الملك عن عطاء واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه

(١) لعله فى ابن كثير عن ابن جرير أوصى الحسن وحرر اه كتبه مصححه

وعشرين للغانمين

واجب حق لازم كان أقوى لايجابه من النص على واحد عن الكلبى ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدى كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة واعلم أن الآية تقتضى أخذ الخمس من الغنائم واختلفوا فى كيفية قسمة ذلك الخمس على أقوال أشهرها أن ذلك الخمس يخمس حتى يكون مجموع الغنيمة مقسوما بخمسة وعشرين قسما

بالاتفاق لانهم كسبوها كالاحتطاب والاصطياد وأما الخمسة الباقية فواحد منها كان لرسول الله ويصرف الآن الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطر والمساجد وأرزاق القضاة والأئمة الأهم فالأهم وواحد لذوى القربى يعنى أقارب رسول الله من أولاد هاشم والمطلب ابنى عبد مناف دون عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف أيضا لما روى عن عثمان بن عفان وجبير بن مطعم وكان عثمان من بنى عبد شمس وجبير من بنى نوفل انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم أرأيت اخواننا بنى المطلب أعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وشبك بين أصابعه يستوى فى هذا السهم غنيهم وفقيرهم الا أن للذكر مثل حظ الانثيين وثلاثة أخماس الخمس الباقية لليتامى والمساكين وابن السبيل هذا عند الامامين أبى حنيفة والشافعى الا ان أبا حنيفة قال ان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم فهم أسوة سائر الفقراء فعلى مذهب الامامين معنى قوله سبحانه فأن لله خمسه وللرسول فأن لرسول الله خمسه كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وعن أبى العالية ايجاب سهم آخر لله وانه يقسم الخمس على ستة أسهم والذاهبون الى هذا القول اختلفوا فقيل ان ذلك السهم لبيت المال وقيل يصرف الى مصالح الكعبة لما روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة فهو سهم الله وعن ابن عباس انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لا قاربه حتى قبض فاجرى أبو بكر الخمس على ثلاثة وهم اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك روى عن عمر وهو من الخلفاء وروى ان أبا بكر منع بنى هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لا خادم له منكم فأما الغنى منكم فهو عمزلة ابن سبيل غنى لا يعطى هو ولا يتيم موسر من الصدقة شيأ وروى عن زيد بن على أنه قال ليس

وللرسول قال نحس الله وخمس رسوله واحد كان النبى صلى الله عليه وسلم يحمل منه ويصنع فيه ماشاء **حدثنى** المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أصحابه عن ابراهيم واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه قال كل شئ لله الخمس للرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل * وقال آخرون معنى ذلك فان لبيت الله خمسه وللرسول ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع بن الجراح عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية الرياحى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالغنيمة فيقسمها على خمسة فتكون أربعة أخماس لمن شهدها ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذى قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقى على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول وسهم لذى القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه الى آخر الآية قال فكان يجاء بالغنيمة فتوضع فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أسهم فيجعل أربعة بين الناس ويأخذ سهما ثم يضرب بيده فى جميع ذلك السهم فما قبض عليه من شئ جعله للكعبة فهو الذى سمى لله ويقول لا تجعلوا لله نصيبا فان لله الدنيا والآخرة ثم يقسم بقيته على خمسة أسهم سهم للنبى صلى الله عليه وسلم وسهم لذوى القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل * وقال آخرون ماسمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فانما هو مرادبه قرابته وليس لله ولا لرسوله منه شئ ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قال كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس فأربعة منها لمن قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة فربع لله والرسول ولذى القربى يعنى قرابة النبى صلى الله عليه وسلم فما كان لله والرسول فهو لقرابة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبى صلى الله عليه وسلم من الخمس شيأ والربع الثانى لليتامى والربع الثالث للمساكين والربع الرابع لابن السبيل * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال قوله فأن لله خمسه افتتاح كلام وذلك لاجماع الحجة على أن الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم ولو كان لله فيه سهم كما قال أبو العالية لوجب أن يكون خمس الغنيمة مقسوما على ستة أسهم وانما اختلف أهل العلم فى قسمه على خمسة فما ونها فأما على أكثر من ذلك فلا نعلم قائلا قاله غير الذى ذكرنا من الخبر عن أبى العالية وفى اجماع من ذكرت الدلالة الواضحة على صحة ما اخترنا فأما من قال سهم الرسول لذوى القربى فقد أوجب للرسول سهما وان كان صلى الله عليه وسلم صرفه الى ذوى قرابته فلم يخرج من أن يكون القسم كان على خمسة أسهم وقد **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه الآية قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم اذا غنم غنيمة جعلت أخماسا فكان خمس لله ولرسوله ويقسم المسلمون ما بقى وكان الخمس الذى جعل لله ولرسوله لرسوله ولذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكان هذا الخمس خمسة أخماس خمس لله ورسوله وخمس لذوى القربى وخمس لليتامى وخمس للمساكين وخمس لابن السبيل **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن موسى بن أبى عائشة قال سألت يحيى بن الجزار عن سهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال هو خمس الخمس **حدثنا** ابن وكيع

لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة لما روى عن علي عليه السلام انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال أيتاما ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لولي الامر من بعده وعند مالك بن أنس الامر في الخمس مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين الاصناف الخمسة عند الشافعي وان رأى (٥) أعطى بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم أولى وأهم فذلك فعند هذا يكون معنى قوله فأن لله خمسه ان من حق الخمس أن يكون متقربا به الى الله لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل وحاصل الآية ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا فاعلموا علما يتضمن العمل والطاعة أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة و (يوم الفرقان) يوم بدر لانه فرق فيه بين أهل الحق وأهل الباطل والجمعان فريقاهما والذي أنزل عليه يومئذ الآيات والملائكة والنصر والتأييد والله على كل شئ قدير) فبذلك نصر القليل على الكثير (اذ أنتم) بدل من يوم الفرقان (بالعدوة) بالكسر والضم شط الوادي أي جانبه وحافته وقال أبو عمرو هي المكان المرتفع و (الدنيا) تأنيث الادنى يعني الجانب الذي يلي المدينة وقلب الواو ياء فيه على القياس لان فعلى من بنات الواو تقلب ياء كالعليا وأما القصوى تأنيث الاقصى فانه كالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا أيضا قليلا والعدوة القصوى مما يلي مكة (والركب) يعني الاربعين الذين كانوا يقودون العير (أسفل منكم) بالساحل وهو نصب على الظرف مرفوع المحل خبر للمبتدأ أي مكانا أسفل من مكانكم والفائدة

قال ثنا ابن عيينة وجرير عن موسى بن أبي عائشة عن يحيى بن الجزار مثله **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن موسى بن أبي عائشة عن يحيى بن الجزار مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فأن لله خمسه قال أربعة أخماس لمن حضر البأس والخمس الباقي لله وللرسول خمسه يضعه حيث رأى وخمسه لذوي القربى وخمسه لليتامى وخمسه للمساكين ولابن السبيل خمسه وأما قوله ولذي القربى فان أهل التأويل اختلفوا فيهم فقال بعضهم هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثني أبي عن شريك عن خصيف عن مجاهد قال كان آل محمد صلى الله عليه وسلم لا تحل لهم الصدقة فجعل لهم خمس الخمس **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته لا يأكلون الصدقة فجعل لهم خمس الخمس **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد السلام عن خصيف عن مجاهد قال قد علم الله أن في بني هاشم الفقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة **حدثني** محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل بن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المزني عن السدي عن ابن الديلمي قال قال علي بن الحسين رضي الله عنه لرجل من أهل الشأم أما قرأت في الأنفال واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول الآية قال نعم قال فانكم لأنتم هم قال نعم **حدثنا** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن مجاهد قال هؤلاء قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا تحل لهم الصدقة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن حجاج عن عطاء عن ابن عباس أن نجدة كتب اليه يسأله عن ذوي القربى فكتب اليه كتابا زعم أنا نحن هم فأبى ذلك علينا قومنا * قال **حدثنا** الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فأن لله خمسه قال أربعة أخماس لمن حضر البأس والخمس الباقي لله وللرسول خمسه يضعه حيث رأى وخمس لذوي القربى وخمس لليتامى وخمس للمساكين ولابن السبيل خمسه * وقال آخرون بل هم قريش كلها ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس بن عبد الاعلى قال أخبرني عبد الله بن نافع عن أبي معشر عن سعيد المقبري قال كتب نجدة الى ابن عباس يسأله عن ذي القربى قال فكتب اليه ابن عباس قد كنا نقول انا هم فأبى ذلك علينا قومنا وقالوا قريش كلها ذوو قربى * وقال آخرون سهم ذي القربى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صار من بعده لولي الامر من بعده ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أنه سئل عن سهم ذي القربى فقال كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا فلما توفي جعل لولي الامر من بعده * وقال آخرون بل سهم ذي القربى كان لبني هاشم وبني المطلب خاصة وممن قال ذلك الشافعي وكانت علته في ذلك ما **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني الزهري عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم قال لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القربى من خيبر على بني هاشم وبني المطلب مشيت أنا وعثمان بن عفان رضي الله عنه فقلنا يا رسول الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم أرأيت اخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركتنا وانما نحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم

في ذكر مراكز الفرق الثلاث تصوير وقعة بدر وما دبر الله سبحانه فيها من عجيب صنعه وكمال رأفته ونصره حتى كان ما كان وذلك ان العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كانت في مكان فيه الماء وكانت أرضا لا بأس بها وأما العدوة الدنيا فهي رخوة تسوخ فيها الاقدام ولا ماء بها وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتجدتهم ولهذا كانت العرب

تخرج الى الحروب بعيالهم وأثقالهم ليمنعهم الذب عن الحرم على بذل مجهودهم حيث لم يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز اليه (ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة على موضع تتلاقون فيه (لاختلفتم في الميعاد) فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من هيبة الرسول والمسلمين فلم يتفق لكم من (٦) التلاقي ما تيسر بتوفيق الله وتسبيبه (ولكن ليقضي الله) أي ليظهر (أمرا كان مفعولا) مقدرا وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله (ليهلك) بدل من ليقضي بدل الخاص من العام واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام وذلك أن وقعة بدر كان فيها من الآيات والمعجزات ما يكون الكافر بعدها كالمكابر لنفسه فكفره صادر عن وضوح بينة أي لا شك في كفره وعناده كما أنه لم يبق شك للمسلمين في حقية دين الاسلام وفي قوله ليقضي وليهلك دلالة على أن أفعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات خلاف ما عليه ظاهر مذهب الاشاعرة (وان الله لسميع) لدعائكم (عليم) بنياتكم (اذ يريكهم) منصوب باذكر أو بدل آخر من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أي يعلم تدابيركم اذ يريكهم (في منامك) أي في رؤيالك (قليلا) أراه اياهم في رؤياه قليلا فاخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وقيل في منامك أي في عينك في اليقظة لان العين موضع النوم وفيه تكلف (ولو أراكهم كثيرا) على ما هم عليه (لفشلتم) والفشل الجبن والخور (ولتنازعتم في الامر) أمر الحرب والاقدام (ولكن الله سلم) عصم من الفشل والتنازع (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيحدث فيها من مواجب الاقدام والاحجام (واذ يريكموهم) ببصركم اياهم (اذ التقيتم في أعينكم قليلا) نصب على الحال لان الرؤية رؤية العين لا القلب وقد استوفت الاراءة مفعوليه فلن يتعدى الى ثالث (ويقللكم في أعينهم) الحكمة في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهرة مع ان في ذلك تصديقا لرؤيا النبي وأما تقليل المؤمنين في أعين الكفار فالحكمة في ذلك ان يجترئ الكفار عليهم قلة مبالاتهم وان لا يستعدوا لهم كما ينبغي (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) وهو ما فعل من التقليل (والى الله ترجع الامور) فيه ان أحوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يصلح أن يكون زادا للمعاد ثم علم

وبنو المطلب شئ واحد ثم شبك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه احداهما بالاخرى * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال سهم ذي القربى كان لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وحلفائهم من بني المطلب لان حلف القوم منهم ولصحة الخبر الذي ذكرناه بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * واختلف أهل العلم في حكم هذين السهمين أعني سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم ذي القربى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم يصرفان في معونة الاسلام وأهله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا أبو شهاب عن ورقاء عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال جعل سهم الله وسهم الرسول واحدا ولذي القربى جعل هذان السهمان في الخيل والسلاح وجعل سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل لا يعطى غيرهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن عن قول الله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى قال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائلون سهم النبي صلى الله عليه وسلم لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم وقال قائلون سهم القرابة لقرابة الخليفة واجتمع رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله فكانا على ذلك في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن بن محمد فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمر ابن عبيد عن الاعمش عن ابراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح فقلت لابراهيم ما كان علي رضي الله عنه يقول فيه قال كان على أشدهم فيه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين الآية قال ابن عباس فكانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس أربعة بين من قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة لله وللرسول ولذي القربى يعني قرابة النبي صلى الله عليه وسلم فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيأ فلما قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم رد أبو بكر رضي الله عنه نصيب القرابة في المسلمين فجعل يحمل به في سبيل الله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أنه سئل عن سهم ذي القربى فقال كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفي جعل عليه أبو بكر وعمر في سبيل الله صدقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون سهم ذوي القربى من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ولي أمر المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عمرو ابن ثابت عن عمران بن طيسان عن حكيم بن سعد عن علي رضي الله عنه قال يعطى كل انسان نصيبه من الخمس ويلي الامام سهم الله ورسوله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أنه سئل عن سهم ذوي القربى فقال كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا فلما توفي جعل لولي الامر من بعده * وقال آخرون سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود في الخمس

المؤمنين آداب اللقاء في الحروب فقال (اذا لقيتم فئة فاثبتوا) لقتالهم ولا تفروا واللقاء اسم غلب في القتال فلهذا ترك وصف الفئة بالمحاربين ونحو ذلك والامر بالثبات في القتال لا ينافي الرخصة في التحرف والتحيز فالعمل الثبات في الحرب لا يحصل الا بهما (واذكروا الله كثيرا) في مواطن الحرب (لعلكم تفلحون) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة (٧) وفيه اشعار بان العبد لا يجوز له أن يفتر عن ذكر ربه في أي شغل وعمل كان ولو أن رجلا أقبل من المغرب الى المشرق منفقا أمواله والآخر من المشرق الى المغرب ضاربا بسيفه في سبيل الله كان الذاكر لله أعظم أجرا وقيل المراد من هذا الذكر أن يدعو على العدو اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم ونحو ذلك والاولى حمله على العموم (وأطيعوا الله ورسوله) في سائر ما يأمر به لان الجهاد لا ينفع الا مع التمسك بسائر الطاعات (ولا تنازعوا فتفشلوا) منصوب باضمار أن أو مجزوم لدخوله في حكم النهي ويظهر التقدير ان في قوله (وتذهب ريحكم) على القراءتين والريح الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيته على وفق المشيئة بالريح وهبوبها بمثال هبت رياح فلان اذا اتاله الدولة ونفذ أمره وقيل الريح حقيقة ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا حذرهم التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم بأحد بمخالفتهم رسول الله احتج نفاة القياس بالآية لان القول به يفضي غالبا الى النزاع المنهي عنه وكذا القائلون بأن النص لا يجوز تخصيصه بالقياس قال أهل السير ان أهل مكة حين نفروا لحماية العير أتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها فسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المؤمنين أن يكونوا مثلهم بطرين مرائين بأعمالهم كأطعام الطعام ونحوه فقال (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) الآية ووصفهم بأوصاف ثلاثة أولها البطر وهو الطغيان في النعمة ويقال أيضا شدة المرح والتحقيق ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها الى مرضاته وعرف حق الله

والخمس مقسوم على ثلاثة أسهم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وذلك قول جماعة من أهل العراق * وقال آخرون الخمس كله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الغفار قال ثنا المنهال بن عمرو قال سألت عبد الله بن محمد ابن علي وعلي بن الحسين عن الخمس فقالا هو لنا فقلت لعلي ان الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل فقالا يتامانا ومساكيننا * والصواب من القول في ذلك عندنا أن سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود في الخمس والخمس مقسوم على أربعة أسهم على ما روى عن ابن عباس للقرابة سهم ولليتامى سهم وللمساكين سهم ولابن السبيل سهم لان الله أوجب الخمس لاقوام موصوفين بصفات كما أوجب الاربعة الاخماس لآخرين وقد أجمعوا أن حق الاربعة الاخماس لمن يستحقه غيرهم فكذلك حق أهل الخمس لمن يستحقه غيرهم فغير جائز أن يخرج عنهم الى غيرهم كما غير جائز أن تخرج بعض السهمان التي جعلها الله لمن سماه في كتابه بفقد بعض من يستحقه الى غير أهل السهمان الاخر وأما اليتامى فهم أطفال المسلمين الذين قد هلك آباؤهم والمساكين هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل المجتاز سفرا قد انقطع به كما **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال الخمس الرابع لابن السبيل وهو الضيف الفقير الذي ينزل بالمسلمين ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره أيقنوا أيها المؤمنون أنما غنمتم من شئ فقسوم القسم الذي بينته وصدقوا به ان كنتم أقررتم بوحدانية الله وبما أنزل الله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يوم فرق بين الحق والباطل ببدر فأبان فلج المؤمنين وظهورهم على عدوهم وذلك يوم التقى الجمعان جمع المؤمنين وجمع المشركين والله على اهلاك أهل الكفر وادلالهم بأيدي المؤمنين وعلى غير ذلك مما يشاء قدير لا يمتنع عليه شئ أراده وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يوم الفرقان يعني بالفرقان يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني الليث قال ثني عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير * واسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير يزيد أحدهما على صاحبه في قوله يوم الفرقان يوم فرق الله بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله يومئذ المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأسر منهم مثل ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن مقسم يوم الفرقان قال يوم بدر فرق الله بين الحق والباطل **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عثمان الجزري عن مقسم في قوله يوم الفرقان قال يوم بدر فرق الله بين الحق والباطل **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم الفرقان يوم التقى

فيها فذالك هو السكر وان توسل بها الى المفاخرة على الاقران والمكاثرة على ابناء الزمان فذالك هو البطر وثانيها رئاء الناس وهو القصد الى اظهار الجميل مع قبح النية وفساد الطوية أو هو اظهار الطاعة مع ابطان المعصية كما ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر وثالثها قوله (ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون عن قبول دين (٨) محمد صلى الله عليه وسلم قال الواحدي معناه وصداعن سبيل الله ليكون عطفا للاسم على الاسم أو يكون الكل أحوالا على تأويل بطرين مرائين صادين أو يبطرون ويراؤن ويصدون واعترض عليه في التفسير الكبير بأنه تارة يقيم الاسم مقام الفعل والاخرى بالعكس ليصح له كون الكلمة معطوفة على جنسها وكان من الواجب عليه أن يذكر السبب الذي لاجله عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل ثم ذكر السبب فقال ان أباجهل ورهطه كانوا محجبولين على البطر والرياء فذكرا بلفظ الاسم تنبيها على اصالتهم فيهما وأما الصد فانما حصل في زمان ادعاء محمد النبوة فذكر بلفظ الفعل الدال على التجدد قلت لو جعلنا قوله ويصدون عطفا على صلة الذين لم يحتج الى هذه التكلفات التي اخترعها الامامان (والله بما يعملون محيط) فيه زجر عن التصنع والافتخار وبعلم منه ان المعصية مع الانكسار أقرب الى الخلاص من الطاعة مع الاستكبار (واذ زين) معناه واذكر اذ زين أو هو معطوف على ما قبله من النعم وأقربها قوله واذ يريكموهم وفي هذا التزيين وجهان أحدهما أن الشيطان زين بوسوسته من غير أن يتمثل بصورة انسان وهو قول الحسن والاصم وفي الكشاف زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجر نفعا فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت بكسر جنود الله وثانيهما انه ظهر في صورة انسان وذلك ان المشركين حين أرادوا المسير الى بدر ذكروا الذي بينهم وبين بني كنانة من الحرب فلم يأمنوا أن يأتوهم من ورائهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من أشرافهم في جند من الشياطين

الجمعان يوم بدر وبدر بين المدينة ومكة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنى يحيى ابن يعقوب أبو طالب عن ابن عون عن محمد بن عبد الله الثقفي عن أبي عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب قال قال الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة من شهر رمضان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد يوم التقى الجمعان قال ابن جريج قال ابن كثير يوم بدر **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان أي يوم فرق بين الحق والباطل ببدر أي يوم التقى الجمعان منكم ومنهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان وذاكم يوم بدر يوم فرق الله بين الحق والباطل ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم﴾ يقول تعالى ذكره أيقنوا أيها المؤمنون واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بينته لكم ربكم ان كنتم آمنتم بالله وما أنزل على عبده يوم بدر اذ فرق بين الحق والباطل من نصر رسوله اذ أنتم حينئذ بالعدوة الدنيا يقول بشفير الوادي الأدنى الى المدينة وهم بالعدوة القصوى يقول وعدوكم من المشركين نزول بشفير الوادي الاقصى الى مكة والركب أسفل منكم يقول والعير فيه أبو سفيان وأصحابه في موضع أسفل منكم الى ساحل البحر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة اذ أنتم بالعدوة الدنيا قال شفير الوادي الأدنى وهم بشفير الوادي الاقصى والركب أسفل منكم قال أبو سفيان وأصحابه أسفل منهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى وهما شفيرا الوادي كان نبي الله أعلى الوادي والمشركون بأسفله والركب أسفل منكم يعني أبا سفيان انحدر بالعير على حوضه حتى قدم بها مكة **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى من الوادي الى مكة والركب أسفل منكم أي عير أبي سفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والركب أسفل منكم قال أبو سفيان وأصحابه مقبلون من الشام تجارا لم يشعروا بأصحاب بدر ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه حتى التقيا على ماء بدر من يسق لهم كلهم فاقتتلوا فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأسروهم **حدثني** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال ذكر منازل القوم والعير فقال اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب هو أبو سفيان وعيره أسفل منكم على شاطئ البحر واختلفت القراء في قراءة قوله اذ أنتم بالعدوة نقرأ ذلك عامة قراء المدنيين والكوفيين بالعدوة بضم العين وقرأه بعض المكيين والبصريين بالعدوة بكسر العين وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فصيب يشد بيت الراعي

وعينان حرما فيهما * كما نظر العدوة الجؤذر

معه رايه (وقال لاغالب لكم اليوم من الناس) أى لاغالب كائن لكم ولو كان لكم مفعولا بمعنى لاغالب الا اياكم لانتصب كما يقال لاضارب اليوما زيدا (وانى جار لكم) أى مجيركم من بنى كنانة أومن كل عدو يعرض من البشر ومعنى الجار ههنا الدافع عن صاحبه أنواع الضرر كما يدفع الجار عن الجار (فلما تراءت الفئتان) أى التقى الجمعان (٩) بحيث رأت كل واحدة الاخرى (نكص على عقبيه) والنكوص الاحجام عن الشئ أى رجع (وقال انى برئ منكم) قيل كانت يده فى يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى أين أتخذلنا فى هذه الحالة فقال (انى أرى مالا ترون) أى من نزول الملائكة ودفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا انهزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ماشعرت عسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وفى الحديث مارؤى ابليس يوما أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا مارأى يوم بدر وأما قوله (انى أخاف الله) فقد قيل انه لما رأى جبريل خافه وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خافهم لانه ظن أن الوقت الذى أنظر اليه قد حضر قال قتادة صدق فى قوله انى أرى مالا ترون وكذب فى قوله انى أخاف الله وقوله (والله شديد العقاب) يجوز أن يكون من بقية كلام ابليس ويجوز أن يكون اعتراضا ونظرفه (اذ يقول) أولا ظرف له واذ يقول ينتصب باذكر على أنه كلام مبتدأ منقطع عما قبله ولهذا فقد العاطف و(المنافقون) قوم من الاوس والخزرج بالمدينة (والذين فى قلوبهم مرض) يجوز أن يكون من صفة المنافقين وأن يراد قوم من قريش أسلموا وما قوى الاسلام فى قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا

بكسر العين من العدوة وكذلك ينشد بيت أوس بن حجر

وفارس لوتحل الخيل عدوته * ولو اسراعا وماهموا باقبال

القول فى تأويل قوله ﴿ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا﴾ يعنى تعالى ذكره ولو كان اجتماعكم فى الموضع الذى اجتمعتم فيه أنتم أيها المؤمنون وعدو كم من المشركين عن ميعاد منكم ومنهم لاختلفتم فى الميعاد لكثرة عدد عدو كم وقلة عدد كم ولكن الله جمعكم على غير ميعاد بينكم وبينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا وذلك القضاء من الله كان نصره أولياءه من المؤمنين بالله ورسوله وهلاك أعدائه وأعدائهم ببدر بالقتل والأسر كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عدد كم ما لقيتموهم ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا أى ليقضى الله ما أراد بقدرته من اعزاز الاسلام وأهله واذلال الشرك وأهله عن غير بلاء منكم فعل ما أراد من ذلك بلطفه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب قال سمعت كعب بن مالك يقول فى غزوة بدر انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن عمر بن اسحق قال أقبل أبو سفيان فى الركب من الشام وخرج أبو جهل لمنعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فالتقوا ببدر ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ولا هؤلاء بهؤلاء حتى التقت السقاة قال ونظر الناس بعضهم لبعض ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وان الله لسميع عليم﴾ يقول تعالى ذكره ولكن الله جمعهم هنالك ليقضى أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة وهذه اللام فى قوله ليهلك مكررة على اللام فى قوله ليقضى كأنه قال ولكن ليهلك من هلك عن بينة جمعكم ويعنى بقوله ليهلك من هلك عن بينة ليموت من مات من خلقه عن حجة لله قد أثبتت له وقطعت عذره وعبرة قد عاينها ورآها ويحيا من حى عن بينة يقول وليعيش من عاش منهم عن حجة لله قد أثبتت له وظهرت لعينه فعلمها جعنا بينكم وبين عدو كم هنالك وقال ابن اسحق فى ذلك بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليهلك من هلك عن بينة لما رأى من الآيات والعبر ويؤمن من آمن على مثل ذلك وأما قوله وان الله لسميع عليم فان معناه وان الله أيها المؤمنون لسميع لقولكم وقول غيركم حين يرى الله نبيه فى منامه ويريكم عدو كم فى أعينكم قليلا وهم كثير ويرا كم عدو كم فى أعينهم قليلا عليم بما تضمره نفوسكم وتنطوى عليه قلوبكم حينئذ وفى كل حال يقول جل ثناؤه لهم ولعباده واتقوا ربكم أيها الناس فى منطقكم أن تنطقوا بغير حق هو فى قلوبكم أن تعتقدوا فيها غير الرشد فان الله لا يخفى عليه خافية من ظاهر أو باطن

القول فى تأويل قوله ﴿اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور﴾ يقول تعالى ذكره وان الله يا محمد سميع لما يقول أصحابك عليم بما يضمرونه اذ يريك الله عدوك وعدوهم فى منامك قليلا يقول يريكهم فى نومك قليلا فتخبرهم بذلك حتى قويت قلوبهم واجترؤا على حرب عدوهم ولو أراك ربك عدوك وعدوهم

(٣ - (ابن جرير) - عاشر) لما خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أولئك نخرج مع قوم منافقين كان محمد فى كثرة خرجنا اليه وان كان فى قلة أقنا فى قومنا قال محمد بن اسحق ثم قتلوا جميعا مع المشركين يوم بدر (غر هؤلاء دينهم) قال ابن عباس معناه أنه خرج هؤلاء مائة وثلاثة عشر الى زهاء ألف وماذلك الا لانهم اعتمدوا على دينهم وقيل المراد ان هؤلاء يسعون فى قتل أنفسهم

كثيرا الفشل أحبابك فجبنوا وخافوا ولم يقدروا على حرب القوم ولتنازعوا في ذلك ولكن الله سلمهم من ذلك بما أراك في منامك من الرؤيا انه عليم بما تخفيه الصدور لا يخفى عليه شئ مما تضمره القلوب وقد زعم بعضهم أن معنى قوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا أي في عينك التي تنام بها فصير المنام هو العين كأنه أراد اذ يريكهم الله في عينك قليلا و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ يريكهم الله في منامك قليلا قال أراه الله اياهم في منامه قليلا فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك فكان تثبيتا لهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه * وقال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ يريكهم الله في منامك قليلا الآية فكان أول ما أراه من ذلك نعمة من نعمه عليهم شجعهم بها على عدوهم وكفاهم بها ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ولكن الله سلم فقال بعضهم معناه ولكن الله سلم للمؤمنين أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكن الله سلم يقول سلم الله لهم أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم * وقال آخرون بل معنى ذلك ولكن الله سلم أمره فيهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ولكن الله سلم قال سلم أمره فيهم * وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي ما قاله ابن عباس وهو أن الله سلم القوم بما أرى نبيه صلى الله عليه وسلم في منامه من الفشل والتنازع حتى قويت قلوبهم واجترؤا على حرب عدوهم وذلك أن قوله ولكن الله سلم عقيب قوله ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر فالذي هو أولى بالخبر عنه انه سلمهم منه جل ثناؤه مما كان يخوفهم منه لو لم يرنبيه صلى الله عليه وسلم من قلة القوم في منامه ۞ القول في تأويل قوله ﴿واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا و يقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور﴾ يقول تعالى ذكره وان الله لسميع عليم اذ يري الله نبيه في منامه المشركين قليلا واذ يريهم الله المؤمنين اذ لقوهم في أعينهم قليلا وهم كثير عددهم و يقلل المؤمنين في أعينهم ليتركوا الاستعداد لهم فيهون على المؤمنين شوكتهم كما حدثني ابن بزيع البغدادي قال ثنا اسحق بن منصور عن اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال أراهم مائة قال فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم هم قال كنا ألفا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا قال ابن مسعود قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل أتراهم يكونون مائة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل ألا ان اذ

عن بينة عن حجة ثابتة عليه ويحيا من حي عن بينة له فالاشقياء يبقون في سجين الطبيعة ونار القطيعة وأما السعداء فارواحهم في مقعد صدق عند ملك مقتدر فقال ارجعي الى ربك راضية ونفوسهم مع الملائكة المقربين كما قال وادخلي في عبادي وأبدانهم في جنات النعيم

كما قال وادخلي جنتي وان الله لسميع لمن دعاه للموصول والوصال بالغدو والآصال عليم عن يستحق الاذلال أو يستأهل الاجلال اذ يريكهم الله في منامك قليلا مع كثرتهم في الصورة ليدل على قلتهم في المعنى لفشلتم على عادة طبع الانسان ولكن الله سلم من الخوف البشري ويقللكم في أعينهم لانهم نظروا اليكم بالابصار الظاهرة فلم يدركوا كثرة معنا كم ومددكم بالملائكة

برزلكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم وقال ياقوم لا تقتلوهم بالسلاح ولكن خذوهم أخذا فارطوهم بالحبال بقوله من القدرة في نفسه وقوله ليقضي الله أمرا كان مفعولا يقول جل ثناؤه قللكم أيها المؤمنون في أعين المشركين وأريتكموهم في أعينكم قليلا حتى يقضي الله بينكم ماقضى من قتال بعضكم بعضا واظهاركم أيها المؤمنون على أعدائكم من المشركين والظفر بهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وذلك أمر كان الله فاعله وبالغا فيه أمره ﴿ حدثنا ﴾ ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليقضي الله أمرا كان مفعولا أي ليؤلف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والانعام على من أراد اتمام النعمة عليه من أهل ولايته والى الله ترجع الامور يقول جل ثناؤه مصير الامور كلها اليه في الآخرة فيجازي أهلها على قدر استحقاقهم المحسن باحسانه والمسيء باساءته ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ وهذا تعريف من الله جل ثناؤه أهل الايمان به السيرة في حرب أعدائه من أهل الكفر به والافعال التي ترجى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم ثم يقول لهم جل ثناؤه ياأيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله اذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الادبار هاربين الا متحرفا للقتال أو متحيزا الى فئة منكم واذكروا الله كثيرا بقلوبكم وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره لعلكم تفلحون يقول كيما تنجحوا فتظفروا بعدوكم ويرزقكم الله النصر والظفر عليهم كما ﴿ حدثنا ﴾ بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون افترض الله ذكره عند أشغل ما تكونون عند الضراب بالسيوف ﴿ حدثنا ﴾ ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة يقاتلونكم في سبيل الله فاثبتوا واذكروا الله كثيرا اذكروا الله الذي بذلتم له أنفسكم والوفاء بما أعطيتموه من بيعتكم لعلكم تفلحون * القول في تأويل قوله ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه ولا تخالفوهما في شيء ولا تنازعوا فتفشلوا يقول ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا يقول فتضعفوا وتجبنوا وتذهب ريحكم وهذا مثل يقال للرجل اذا كان مقبلا عليه ما يحبه ويسر به الريح مقبلة عليه يعني بذلك ما يحبه ومن ذلك قول عبيد بن الابرص

كما حميناك يوم النعف من شطب * والفضل للقوم من ريح ومن عدد

يعني من البأس والكثرة وانما يراد به في هذا الموضع وتذهب قوتكم وبأسكم فتضعفوا ويدخلكم الوهن والخلل واصبروا يقول اصبروا مع نبي الله صلى الله عليه وسلم عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنه وتتركوه ان الله مع الصابرين يقول اصبروا فاني معكم وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك ﴿ حدثني ﴾ محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وتذهب ريحكم قال نصركم قال وذهبت ريح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذ القيتم فئة هي النفس وهواها والشيطان وأعوانه والدنيا وزينتها فاثبتوا على ما أنتم عليه من اليقين والصدق والاخلاص والطلب ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم أوصافهم وتركوا الدنيا وداروا البلاد وزاروا العباد لنيلها وابتغائها بذلك على الاخوان والاقران واذ زين لهم الشيطان أعمالهم فظنوا أنهم بلغوا مبلغ الرجال وأنه لا يضرهم التصرف في الدنيا وارتكاب بعض المنهيات بل ينفعهم في نفي الرياء والعجب اذ هو طريق أهل الملامة فلما تراءت الفئتان فئة الارواح والقلوب وفئة النفوس وصفاتها وأمد الله تعالى فئة الارواح والقلوب بالاوصاف الملكية والواردات الربانية حتى انقادت النفوس لها فنكص على عقبيه زهق باطله وصار مخالفا للنفس كما قال اني بريء منكم اني أرى مالا ترون لانه يرى بنظر الروحانية تجلي الانوار الربانية من القلوب ولو وقع على الشيطان من ذلك تلألؤ لأحرقه ولهذا قال اني أخاف الله وفيه اشارة الى أنه غير منقطع الرجاء من رحمة الله انه أرحم الراحمين

﴿ ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد كدأب آل فرعون

والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون

فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم (١٢) وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين ۞ القراآت تتوفى بتاء التأنيث شامي الباقون بالتذكير ولا يحسبن بياء الغيبة ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل الآخرون بتاء الخطاب انهم بالفتح ابن عامر السلم بكسر السين أبو بكر وحماد ترهبون بالتشديد ورويس الباقون بالتخفيف من الارهاب وان يكن منكم بالياء التحتانية أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتاء الفوقانية وعلم مبنيا للمفعول ضعفاء بالمد جعايز يد وقرأ حمزة وعاصم غير المفضل وخلف لنفسه ضعفا بفتح الضاد الآخرون بالضم فان يكن منكم مائة بالتحتانية عاصم وحمزة وعلي وخلف ۞ الوقوف كفروا لا لأن فاعل يتوفى الملائكة وما قيل ان المتوفى هنا الله غير صحيح لاختلال النظم وفساد المعنى لأن الكفار لا يستحقون أن يتوفاهم الله بلا واسطة وأدبارهم ج لحق الاضمار أي يقولون ذوقوا الحريق ○ للعبد ○ لا لتعلق الكاف فرعون لا للعطف من قبلهم ط بذنوبهم ط العقاب ○ بأنفسهم

حين نازعوه يوم أحد حدثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وتذهب ريحكم فذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه الا أنه قال ريح أصحاب محمد حين تركوه يوم أحد حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم قال حربكم وجدكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتذهب ريحكم قال ريح الحرب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وتذهب ريحكم قال الريح النصر لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدو فاذا كان ذلك لم يكن لهم قوام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تنازعوا فتفشلوا أي لا تختلفوا فتفترق أمركم وتذهب ريحكم فيذهب جدكم واصبروا ان الله مع الصابرين أي اني معكم اذا فعلتم ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تنازعوا فتفشلوا قال الفشل الضعف عن جهاد عدوه والانكسار لهم فذلك الفشل ۞ القول في تأويل قوله ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ﴾ وهذا تقدم من الله جل ثناؤه الى المؤمنين به ورسوله أن لا يعملوا عملا الا لله خاصة وطلب ما عنده لا رئاء الناس كما فعل القوم من المشركين في مسيرهم الى بدر طلب رئاء الناس وذلك أنهم أخبروا بفوت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل لهم انصرفوا فقد سلمت العير التي جئتم لنصرتها فأبوا وقالوا لا نأتي بدرا فنشرب بها الخمر وتعزف علينا القيان وتتحدث بنا العرب لمكاننا فيها فسقوا مكان الخمر كؤس المنايا كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثني أبي قال ثنا أبان قال ثنا هشام بن عروة عن عروة قال كانت قريش قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر قد جاءهم راكب من أبي سفيان والركب الذين معه اناقد أجزنا القوم فارجعوا فجاء الركب الذين بعثهم أبو سفيان الذين يأمرون قريشا بالرجعة بالجحفة فقالوا والله لا نرجع حتى ننزل بدرا فنقيم فيه ثلاث ليال ويرانا من غشينا من أهل الحجاز فانه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا وهم الذين قال الله الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والتقواهم والنبي صلى الله عليه وسلم ففتح الله على رسوله وأخزى أئمة الكفر وشفى صدور المؤمنين منهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق في حديث ذكره قال ثني محمد بن مسلم وعاصم بن عمرو وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا عن ابن عباس قال لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل ابن هشام والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا ۞ قال ابن حميد ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس أي لا تكونوا كأبي جهل وأصحابه الذين قالوا لا نرجع حتى نأتي بدرا وننحر بها الجزر ونسقي بها الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا

لا لعطف أن على أن ○ لا للكاف من قبلهم ط بآيات ربهم ج لاختلاف الجملتين من الفاء آل فرعون ج لأن الواو تصلح للاستئناف والحال ظالمين ○ لا يؤمنون ○ ج لاحتمال الوصف واحتمال النصب والرفع على الذم لا يتقون ○ يذكرون ○ على سواء ط الخائنين ○ سبقوا ط لمن قرأ انهم بالكسر لا يعجزون ○ من دونهم ج لاحتمال الجملة بعده الوصف والاستئناف لا تعلمونهم ج لذلك يعلمهم ط لا تظلمون ○ على الله ط العليم ○ حسبك الله ط بين قلوبهم الاول ط بينهم ط حكيم ○ من المؤمنين ○ على القتال ط مائتين ج لابتداء الشرط مع العطف لا يفقهون ○ ضعفا ج مائتين ج باذن الله ط الصابرين ○ ۞ التفسير لما شرح أحوال هؤلاء الكفار في حياتهم شرح أحوالهم حين وفاتهم وجواب لو محذوف وترى في معنى الماضي لخاصية لو وكذا يتوفى لخاصية اذا وإذ نصب على الظرف قاله في الكشاف ويمكن أن يكون مفعولا به والمعنى لو رأيت أو عاينت أو شاهدت وقت قبض الملائكة أرواح الكفار لرأيت أمرا فظيعا (يضربون وجوههم وأدبارهم) قال مجاهد يريد بالادبار الاستاه ولكن الله كريم يكني وفي تخصيص العضوين بالضرب نوع من الخزي والنكال وعن ابن عباس المراد ما أقبل منهم وما أدبر وذلك أن المشركين كانوا اذا أقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيف واذا ولوا ضربوا أدبارهم فلاجرم قابلهم الله عشله في وقت خروج أرواحهم ومعنى (عذاب الحريق) مقدمة عذاب النار أو عذاب النار نفسها في الآخرة تبشيرا لهم بذلك وعن ابن عباس ان معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار قوله (ذلك بما قدمت أيديكم) الآية قد مر تفسيرها في آخر آل عمران ويحتمل أن تكون هنا حكاية كلام الملائكة ولما بين سبحانه ما أنزله بأهل بدر من الكفار عاجلا وآجلا ذكر أن هذه سنة في فرق الكفرة كلهم فقال (كدأب آل فرعون) يريد أن عادتهم وعملهم الذي داوموا عليه كعادة آل فرعون فجوزي هؤلاء

يها بونا أي لا يكونن أمركم رياء ولا سمعة ولا التماس ما عند الناس وأخلصوا لله النية والحسبة في نصر دينكم وموازرة نبيكم أي لا تعملوا الا لله ولا تطلبوا غيره **حدثني** محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل **وحدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قال أصحاب بدر **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله بطرا ورئاء الناس قال أبو جهل وأصحابه يوم بدر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج وقال عبد الله بن كثير هم مشركو قريش وذلك خروجهم الى بدر **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس يعني المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قال هم قريش وأبو جهل وأصحابه الذين خرجوا يوم بدر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط قال كان مشركو قريش الذين قاتلوا نبي الله يوم بدر خرجوا ولهم بغي وكفر وقد قيل لهم يوم أذار جعوا فقد انطلقت عيركم وقد ظفرتم قالوا لا والله حتى يتحدث أهل الحجاز بمسيرنا وعددنا قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ اللهم ان قريشا أقبلت بفخرها وخيلائها تحادك ورسولك **حدثني** محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال ذكر المشركين وما يطعمون على المياه فقال لا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله الذين خرجوا من ديارهم بطرا قال هم المشركون خرجوا الى بدر أشرا وبطرا **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال لما خرجت قريش من مكة الى بدر خرجوا بالقيان والدفوف فأنزل الله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط فتأويل الكلام اذا ولا تكونوا أيها المؤمنون بالله ورسوله في العمل بالرياء والسمعة وترك اخلاص العمل لله واحتساب الاجر فيه كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله الذين خرجوا من منازلهم بطرا وأشرا رئاء الناس بزيهم وأموالهم وكثرة عددهم وشدة بطانتهم ويصدون عن سبيل الله يقول وينعون الناس من دين الله والدخول في الاسلام بقتالهم اياهم وتعذيبهم من قدروا عليه من أهل الايمان بالله والله بما يعملون من الرياء والصد عن سبيل الله وغير ذلك من أفعالهم محيط يقول عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه منه شئ وذلك أن الاشياء كلها له متجلية لا يعزب عنه منها شئ فهو لهم بها مراقب وعليها معذب ز القول في تأويل قوله ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني

بالقتل والسبي كما جوزى أولئك بالاهلاك والاغراق ثم ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي أنزله بهم فقال (ذلك بان الله لم يك) حذف النون لكثرة الاستعمال ومعنى الآية ان ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم يستقم في حكمته وتدبيره أن يغير (نعمته على قوم حتى يغيروا ما) بهم من الاحوال والاخلاق والغرض ان آل فرعون ومشركي مكة قد فتح الله عليهم أبواب الخيرات وأزال الموانع وسهل السبل ومن عليهم بانزال الكتب وارسال الرسل ثم انهم قابلوا هذه النعم بالكفر والفسوق والعصيان فلاجرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن (وأن الله سميع) للاقوال (عليم) بالاحوال فيجزي كل فريق بما يستأهله ثم ذكر مرة أخرى قوله (كدأب آل فرعون) وفي التكرير بعد التأكيد فوائد استنبطها العلماء منها ان الثاني كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها ان الاول لعله في حال الموت والثاني لما بعد الموت قلت ويشبه أن يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق يحال الموت أنسب ومنها أن الاول اخبار عن عذاب لم يمكن الله أحدا من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم والثاني اخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد في الاول كدأب آل فرعون فيما فعلوا وفي الثاني كدأب آل فرعون فيما فعل بهم فهم فاعلون في الاول ومفعولون في الثاني ومنها أن المراد بالاول كفرهم بالله وبالثاني تكذيبهم الانبياء لان التقدير كذبوا الرسل بردّ آيات ربهم ومنها أن يجعل الضمير في كفروا وكذبوا للكفار قريش أي كفروا بآيات الله كدأب آل فرعون وكذبوا بآيات ربهم كدأب آل فرعون ومنها ان الاول اشارة الى انهم أنكروا دلائل الالهية فكان لازمه الاخذ والثاني اشارة الى انهم أنكروا دلائل التربية والاحسان فكان لازمه الاهلاك والاغراق ثم ختم الآية بقوله (وكل كانوا ظالمين) أي وكل واحد من غرقى القبط وقتلى قريش وممن قبلهم من الكفرة كانوا ظالمي أنفسهم بالكفر

بري ء منكم اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ يعني تعالى ذكره بقوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وحين زين لهم الشيطان أعمالهم وكان تزيينه ذلك لهم كما **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من بني مدلج في صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل الى ابليس فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده فولى مدبرا هو وشيعته فقال الرجل يا سراقة تزعم أنك لنا جار قال اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال أتى المشركين ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكناني الشاعر ثم المدلجي فجاء على فرس فقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس فقالوا ومن أنت قال أنا جاركم سراقة وهؤلاء كنانة قد أتوكم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر يعني من الحرب فكاد ذلك أن يثبطهم فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن جعشم المدلجي وكان من أشراف بني كنانة فقال أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق في قوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فذكر استدراج ابليس اياهم وتشبهه بسراقة بن مالك بن جعشم حين ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب التي كانت بينهم يقول الله فلما تراءت الفئتان ونظر عدو الله الى جنود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم نكص على عقبيه وقال اني بري ء منكم اني أرى ما لا ترون وصدق عدو الله انه رأى ما لا يرون وقال اني أخاف الله والله شديد العقاب فأوردهم ثم أسلمهم قال فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقة بن مالك بن جعشم لا ينكرونه حتى اذا كان يوم بدر والتقى الجمعان كان الذي رآه حين نكص الحرث بن هشام أو عمير بن وهب الجمحي فذكر أحدهما فقال أين سراقة أسلمنا عدو الله وذهب **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الى قوله شديد العقاب قال ذكر لنا أنه رأى جبريل تنزل معه الملائكة فزعم عدو الله أنه لا يدي له بالملائكة وقال اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله وكذب والله عدو الله ما به مخافة الله ولكن علم أن لا قوة له ولا منعة له وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستعاذ به حتى اذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مسلم وتبرأ منهم عند ذلك **حدثني** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية قال لما كان يوم بدر سار ابليس برايته وجنوده مع المشركين وألقى في قلوب المشركين ان أحدا لن يغلبكم واني جار لكم فلما التقوا ونظر الشيطان الى أمداد الملائكة نكص على عقبيه قال رجع

والمعاصى وظالمى غيرهم بالايذاء والايحاش فلاجرم دمرهم الله بسبب ظلمهم ثم خص من الظلمة شرهم فقال (ان شر الدواب) الآية جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وأشار الى هذا بقوله (فهم لا يؤمنون) وشر المصرين الناكثون للعهود وأشار اليهم بقوله (الذين عاهدت منهم) ومن للتبعيض ومفعول عاهدت محذوف أى الذين عاهدتهم وهم بعض

مدبرا وقال انى أرى مالا ترون الآية **حدثنا** أحمد بن الفرج قال ثنا عبد الملك بن عبد العزيز ابن الماجشون قال ثنا مالك عن ابراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رؤى ابليس يوما هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب الا ما رأى يوم بدر قالوا يا رسول الله وما رأى يوم بدر قال أما انه رأى جبريل يزع الملائكة **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن الحسن فى قوله انى أرى مالا ترون قال رأى جبريل معتجرا ببرد يمشى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وفى يده اللجام ماركب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا هاشم بن القاسم قال ثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال قال الحسن وتلا هذه الآية واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية قال سار ابليس مع المشركين ببدر برايته وجنوده وألقى فى قلوب المشركين ان أحدا لن يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين آبائكم ولن تغلبوا كثرة فلما التقوا نكص على عقبيه يقول رجع مدبرا وقال انى برىء منكم انى أرى مالا ترون يعنى الملائكة **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال لما أجمعت قريش على السير قالوا انما نتخوف من بنى بكر فقال لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم أنا جار لكم من بنى بكر ولا غالب لكم اليوم من الناس فتأويل الكلام وان الله لسميع عليم فى هذه الاحوال وحين زين لهم الشيطان خروجهم اليكم أيها المؤمنون لحربكم وقتالكم وحسن ذلك لهم وحثهم عليكم وقال لهم لا غالب لكم اليوم من بنى آدم فاطمئنوا وأبشروا وانى جار لكم من كنانة أن تأتيكم من ورائكم فتغيركم أجيركم وأمنعكم منهم ولا تخافوهم واجعلوا جدكم وبأسكم على محمد وأصحابه فلما تراءت الفئتان يقول فلما تزاحفت جنود الله من المؤمنين وجنود الشيطان من المشركين ونظر بعضهم الى بعض نكص على عقبيه يقول رجع القهقرى على قفاه هاربا يقال منه نكص ينكص وينكص نكوصا ومنه قول زهير

هم يضربون حبيك البيض اذ لحقوا ... لا ينكصون اذا ما استلحموا وحموا

وقال للمشركين انى برىء منكم انى أرى مالا ترون يعنى أنه يرى الملائكة الذين بعثهم الله مددا للمؤمنين والمشركون لا يرونهم انى أخاف عقاب الله وكذب عدو الله والله شديد العقاب ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ﴿ يقول تعالى ذكره وان الله لسميع عليم فى هذه الاحوال واذ يقول المنافقون وكر بقوله اذ يقول المنافقون على قوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا والذين فى قلوبهم مرض يعنى شك فى الاسلام لم يصح يقينهم ولم تشرح بالايمان صدورهم غر هؤلاء دينهم يقول غر هؤلاء الذين يقاتلون المشركين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أنفسهم دينهم وذلك الاسلام وذكر أن الذين قالوا هذا القول كانوا نفرا ممن كان قد تكلم بالاسلام من مشركى قريش ولم يستحكم الاسلام فى قلوبهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر فى هذه الآية اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال كان ناس من

أولئك الكفرة يعنى الاشراف الذين معهم تليق المعاهدة (ثم ينقضون) عطف المستقبل على الماضى لفائدة الاستمرار وان من شأنهم نقض العهد (فى كل مرة) من مرات المعاهدة ومعنى ثم تبعيد النقض عن المعاهدة قال ابن عباس هم بنو قريظة نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر وقالوا قد نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا وأعانوا عليه يوم الخندق (وهم لا يتقون) عاقبة الغدر وما فيه من العار والنار ثم أمر رسوله بالمخاشنة معهم والغلظة عليهم جزاء على قبيح فعلهم وسوء عقيدتهم فقال (فاما تثقفنهم) تصادفنهم وتظفرن بهم فى الحرب (فشرد بهم من خلفهم) والتشريد التفريق مع الاضطراب أى ففرق عن محاربتك من وراءهم وقال عطاء معناه أكثر فيهم القتل حتى يخافك غيرهم والضمير فى (لعلهم يذكرون) لمن خلفهم لانه اذا نكل بالناكثين وقتلهم شر قتلة لن يجسر عليه أحد بعدهم اتعاظا بحالهم (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) ونكثا بامارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم العهد (على سواء) على طريق مستو قصدا أى أخبرهم اخبارا مكشوفا بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون

ذلك خيانة منك وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد وقيل على استواء فى العداوة قال فى الكشاف الجار والمجرور فى موضع الحال كأنه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوى أو حاصلين على استواء فى العلم أو العداوة على أنها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا قلت ويحتمل أن يكون حالا من المنبوذ أى حال كون المنبوذ وهو العهد واقعا على طريق واضح فيكون كناية عن تحقير شأن العهد اذ ذاك أو عن

انكشاف حاله فى النبذ قال أهل العلم ان آثار نقض العهد اذا ظهرت فاما أن تظهر ظهورا محتملا أو ظهورا مقطوعا به فان كان الاول وجب الاعلام به كما هو مذكور فى الآية وذلك أن قريظة عاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله فحصل لرسول الله صلى الله عليه وآله خوف الغدر منهم به وباصحابه فهنا يجب على الامام

أن ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب أما اذا ظهر نقض العهد ظهورا قطعيا فلا حاجة الى نبذ العهد اليهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل مكة لما نقضوا العهد ثم بين حال من فاته فى يوم بدر ولم يتمكن من التشفى منه والانتقام كيلا يبقى حسرة فى قلبه فقد كان فيهم من بلغ فى أذيته مبلغا عظيما فقال (ولا يحسبن) من قرأ بتاء الخطاب فمفعوله الاول (الذين كفروا) وثانيه (سبقوا) أى فاتوا وأفلتوا من ان يظفر بهم (انهم لا يعجزون) كل من المكسورة والمفتوحة تعليل له الا أن المكسورة على طريقة الاستئناف كأن سائلا سأل مالهم لا يحسبون سابقين فأجيب بما أجيب والمفتوحة تعليل صريح والجار محذوف أى لأنهم لا يعجزون الله من الانتقام منهم ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم أعجزت فلانا وبحمزته جعلته أو وجدته عاجزا والمراد لا تحسبنهم أنهم لما تخلصوا من الاسر والقتل يوم بدر فقد تخلصوا من العقاب عاجلا وآجلا ومن قرأ بالياء التحتانية نذكر فيه وجوها منها ان فاعله الذين كفروا ومفعوله سبقوا على أن الاصل أن سبقوا فحذفت أن كقوله ومن آياته يريكم البرق ويؤيده قراءة ابن مسعود أنهم سبقوا ومنها أن الفعل وقع على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا فى موضع الحال ومنها أن المفعول الاول محذوف للعلم به والتقدير ولا يحسبنهم أولا يحسبن أنفسهم الذين كفروا سبقوا ومنها ان فاعله محذوف أى ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا ثم انه لما اتفق لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة بدر أن قصدوا الكفار بلا آلة وعدة أمرهم الله أن لا يعودوا لمثله ويتأهبوا القتال الاعداء فقال (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) عن عكرمة

أهل مكة تكلموا بالاسلام نفر جوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا لم يغر هؤلاء دينهم

حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا خالد عن داود عن عامر مثله **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال فمنهم من قريش قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلى بن أمية بن خلف والعاصى بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم

حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين قال معمر وقال بعضهم قوم كانوا أقروا بالاسلام وهم بمكة فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض الى قوله فان الله عزيز حكيم قال رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لأمر الله وذكر لنا أن أبا جهل عدو الله لما أشرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال والله لا يعبد الله بعد اليوم قسوة وعتوا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج فى قوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض قال ناس كانوا من المنافقين بمكة قالوه يوم بدر وهم يومئذ ثلثمائة و بضعة عشر رجلا * قال **حدثنى** حجاج عن ابن جريج فى قوله اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض قال لما دنا القوم بعضهم من بعض فقلل الله المسلمين فى أعين المشركين وقلل المشركين فى أعين المسلمين فقال المشركون غر هؤلاء دينهم وانما قالوا ذلك من قلتهم فى أعينهم وظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون فى ذلك فقال الله ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم وأما قوله ومن يتوكل على الله فان معناه ومن يسلم أمره الى الله ويثق به ويرض بقضائه فان الله حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه شئ ولا يقهره أحد جبار ممنع ومن يتوكل عليه يكفه وهذا أمر من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله وغيرهم أن يفوضوا أمرهم اليه و يسلموا القضائه كيما يكفيهم أعداءهم ولا يستذلهم من ناوأهم لأنه عزيز غير مغلوب بجباره غير مقهور حكيم يقول هو فيما يدبر من أمر خلقه حكيم لا يدخل تدبيره خلل ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾ يقول تعالى ذكره ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو تعاين يا محمد حين يتوفى الملائكة أرواح الكفار فتنزعها من أجسادهم تضرب الوجوه منهم والأستاه و يقولون لهم ذوقوا عذاب النار التى تحرقكم يوم ورودكم جهنم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم قال يوم بدر **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن اسمعيل بن كثير عن مجاهد يضربون وجوههم وأدبارهم قال

هي الحصون وعن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر ثم قال ألا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله والأصح أنها عامة في كل ما يتقوى به في الحرب من آلة وعدة وقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمي كقوله الحج عرفة وفيه تنبيه على ان المذكور جزء شريف من جملة المقصود (ومن رباط الخيل) (١٧) هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله الخمس فما فوقها ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصال وفصيل والظاهر أنه بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل فلا ريب أن ربط الخيل من أقوى آلات الجهاد روى عن ابن سيرين أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فتربط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل انما أوصى في الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر

ولقد علمت على توقي الردى * أن الحصون الخيل لا مدر القرى

وعن عكرمة ان الخيل ههنا الاناث لانها أولى بالربط لتفيد النسل وقيل هي الفحول لانها أقوى على الكر والفر والظاهر العموم ثم ذكر ما لأجله أمر باعداد هذه الاشياء فقال (ترهبون به) أي بما استطعتم (عدو الله وعدوكم) لان الكفار اذا علموا تأهب المسلمين للقتال لم يجسروا على هجومهم ونهوضهم ورعايدعوهم ذلك الى الانقياد والطاعة (وآخرين من دونهم) يريد بالاولين أهل مكة وبالآخرين اليهود على قول ولكنه لا يجانسه قوله (لا تعلمونهم الله يعلمهم) والمنافقين على قول واعترض عليه بانهم لا يرهبون لانخراطهم في سلك المسلمين ظاهرا وأجيب بان الخائن خائف فكلما اشتدت شوكة المسلمين ازداد المنافقون في أنفسهم خوفا ورعبا فيرعايدعوهم ذلك الى الاخلاص وعن السدي هم أهل فارس وروى ابن جريج عن سليمان بن موسى أنهم كفوة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى أن صهيل الخيل يرهب الجن وقيل المراد الآخرين أعداء المرء من دينه فان المسلم قد يعادي مسلما آخر ثم رغبهم في الانفاق في باب الجهاد فقال (وما تنفقوا من شئ

قال وأستاههم ولكن الله كريم يكنى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي ثنا سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد في قوله يضربون وجوههم وأدبارهم قال وأستاههم ولكن الله كريم يكنى حدثني محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال أخبرنا شعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير في قوله يضربون وجوههم وأدبارهم قال ان الله كنى ولو شاء لقال أستاههم وانما عنى بأدبارهم أستاههم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أستاههم يوم بدر * قال ابن جريج قال ابن عباس اذا أقبل المشركون بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف واذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عباد بن راشد عن الحسن قال قال رجل يا رسول الله اني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك فاذا الذي قال ضرب الملائكة حدثنا محمد قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن منصور عن مجاهد أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فندر رأسه فقال سبقك اليه الملك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني حرملة أنه سمع عمرو بن عفرة يقول اذا سمعت الله يقول يضربون وجوههم وأدبارهم فانما يريد أستاههم * قال أبو جعفر وفي الكلام محذوف استغني بدلالة الظاهر عليه من ذكره وهو قوله ويقولون ذوقوا عذاب الحريق حذفت يقولون كما حذفت من قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا بمعنى يقولون ربنا أبصرنا ﴿ القول في تأويل قوله ﴾ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴿ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملائكة لهؤلاء المشركين الذين قتلوا ببدر أنهم يقولون لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم ذوقوا عذاب الله الذي يحرقكم هذا العذاب لكم بما قدمت أيديكم أي بما كسبت أيديكم من الآثام والاوزار واجترحتم من معاصي الله أيام حياتكم فذوقوا اليوم العذاب وفي معادكم عذاب الحريق وذلك لكم بان الله ليس بظلام للعبيد لا يعاقب أحدا من خلقه الا بجرم اجترمه ولا يعذبه الا بمعصيته اياه لأن الظلم لا يجوز أن يكون منه وفي فتح أن من قوله وأن الله وجهان من الاعراب أحدهما النصب وهو العطف على ما التي في قوله بما قدمت بمعنى ذلك بما قدمت أيديكم وبان الله ليس بظلام للعبيد في قول بعضهم والخفض في قول بعض والآخر الرفع على ذلك بما قدمت وذلك أن الله ﴿ القول في تأويل قوله ﴾ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ﴿ يقول تعالى ذكره فعل هؤلاء المشركون من قريش الذين قتلوا ببدر كعادة قوم فرعون وصنعهم وفعلهم وفعل من كذب بحجج الله ورسله من الامم الخالية قبلهم ففعلنا بهم كفعلنا بأولئك وقد بينا فيما مضى أن الدأب هو الشأن والعادة بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع حدثني الحرث قال ثني عبد العزيز قال ثنا شيبان عن جابر عن عامر ومجاهد وعطاء كدأب آل فرعون كفعل آل فرعون كسنن آل فرعون وقوله فأخذهم الله بذنوبهم يقول فعاقبهم الله بتكذيبهم حجج ورسله ومعصيتهم ربهم كما عاقب أشكالهم والامم الذين قبلهم ان الله قوي لا يغلبه غالب

فى سبيل الله يوف اليكم) أى ثوابه (وأنتم لاتظلمون) لاتنقصون من ثواب أعمالكم شيأ ثم رخص فى المصالحة ان مال الاعداء اليها فقال (وان جنحوا للسلم) الآية جنح له واليه جنوحا اذا مال وانما قيل فاجنح لها لان السلم تؤنث تأنيث نقيضها وهى الحرب أو بتأويل الخصلة أو الفعلة عن ابن عباس ومجاهد أن الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لايؤمنون بالله أو بقوله فاقتلوا

المشركين حيث وجدتموهم والاولى أن يقال انها ثابتة فليس بحتم أن يقاتل المشركون أبدا أو يجابوا الى الهدنة أبدا وانما الامر موقوف على مايرى فيه الامام صلاح الاسلام وذويه فاذا رأى الصلاح فى الصلح فذاك والمصلحة قد تظهر عند ضعف المسلمين اما لقلة العدد أو لقلة المال وبعد العدة وقد تكون مع القوة لاطماع فى اسلامهم أو قبولهم الجزية اذا خالطوا المسلمين أو بأن يعينوه على قتال غيرهم وأما مدة الهادنة واذا لم يكن بالمسلمين ضعف ورأى الامام الصلاح فى المهادنة فقد قال الشافعى يهادن أربعة أشهر فما دونها لقوله تعالى فسيحوا فى الارض أربعة أشهر وذلك كان فى أقوى ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك وان كان بالمسلمين ضعف جازت الزيادة بحسب الحاجة الى عشر سنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حين صالح أهل مكة بالحديبية على وضع القتال عشر سنين الا أنهم نقضوا العهد قبل كمال المدة وان انقضت المدة والحاجة باقية استأنف العقد ثم قال (وتوكل على الله) أى فوض الامر فيما عقدته معهم الى الله ليكون عونا لك على السلامة وينصرك عليهم اذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء كما كان من شأن قريظة والنضير وعن مجاهد نزلت فيهم (انه هو السميع) للاقوال (العليم) بالاحوال وفيه زجر عن نقض الصلح ما أمكن ثم ذكر حكما من أحكام المهادنة فقال

تلقين

(وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك) محسبك وكافيك (الله) والمعنى انهم ان صالحوا على سبيل المخادعة وجب قبول ذلك الصلح لان الحكم فيه مبنى على الظاهر كما ان أصل الايمان مبنى على الظاهر ولاتنافى بين هذه الآية وبين ماتقدم من قوله واما تخافن من قوم

ولا يرد قضاءه وارادته نفذ أمره وتمضى قضاءه فى خلقه شديد عقابه لمن كفر بآياته وجحد حججه ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم﴾ يقول تعالى ذكره وأخذنا هؤلاء الذين كفروا بآياتنا من مشركى قريش ببدر بذنوبهم وفعلنا ذلك بهم بأنهم غيروا ما أنعم الله عليهم به من ابتعاثه رسوله منهم وبين أظهرهم باجراجهم اياه من بينهم وتكذيبهم له وحربهم اياه فغيرنا نعمتنا عليهم باهلاكنا اياهم كفعلنا ذلك فى الماضين قبلهم ممن طغى علينا وعصى أمرنا وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم يقول نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم أنعم به على قريش وكفروا فنقله الى الانصار وقوله وأن الله سميع عليم يقول لايخفى عليه شئ من كلام خلقه يسمع كلام كل ناطق منهم بخير نطق أو بشر عليم بما تضمره صدورهم وهو مجازيهم ومثيبهم على ما يقولون ويعملون ان خيرا فخير وان شرا فشر ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين﴾ يقول تعالى ذكره غير هؤلاء المشركون بالله المقتولون ببدر نعمة ربهم التى أنعم بها عليهم بابتعاثه محمدا منهم وبين أظهرهم داعيا لهم الى الهدى بتكذيبهم اياه وحربهم له كدأب آل فرعون كنسبة آل فرعون وعادتهم وفعلهم موسى نبى الله فى تكذيبهم اياه وتسديهم لحربه وعادة من قبلهم من الامم المكذبة رسلها وصنيعهم فأهلكناهم بذنوبهم بعضا بالرجفة وبعضا بالخسف وبعضا بالريح وأغرقنا آل فرعون فى اليم وكل كانوا ظالمين يقول كل هؤلاء الامم التى أهلكناها كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله من تكذيبهم رسل الله والجحود لآياته فكذلك أهلكنا هؤلاء الذين أهلكناهم ببدر اغيرا نعمة الله عندهم بالقتل بالسيف وأذللنا بعضهم بالاسار والسباء ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره ان شر ما دب على الارض عند الله الذين كفروا بربهم فجحدوا وحدانيته وعبدوا غيره فهم لا يؤمنون يقول فهم لا يصدقون رسل الله ولا يقرون بوحيه وتنزيله ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون﴾ يقول تعالى ذكره ان شر الدواب عند الله الذين كفروا الذين عاهدت منهم يا محمد يقول أخذت عهودهم ومواثيقهم أن لا يحاربوك ولا يظاهروا عليك محاربا لك كقريظة ونظرائهم ممن كان بينك وبينهم عهد وعقد ثم ينقضون عهودهم ومواثيقهم كلما عاهدوا فعلوك وحاربوك وظاهروا عليك وهم لا يتقون الله ولا يخافون فى فعلهم ذلك أن يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم كالذى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم قال قريظة ما لؤا على محمد يوم الخندق أعداءه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاما

خيانة فانبذ اليهم لان هذه الخادعة محمولة على أمور خفية تدل على الغل والنفاق وذلك الخوف محمول على أمارة قوية تدل على كونهم قاصدين للشر واثارة الفتنة ثم أكد كون الله تعالى كافيا له بقوله (هو الذى أيدك بنصره) أى من غير واسطة أسباب معتادة (وبالمؤمنين) أى بوساطة الانصار ثم بين أنه كيف أيده بالمؤمنين فقال (وألف بين قلوبهم) قال جمع من المفسرين هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك أشرافهم ودق جماجمهم فرفع الله تعالى ذلك بلطيف صنعه والاولى حمله على العموم والتأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغائن فى الامور المستحقرة لم تكد تألف أهواؤهم ويلتظم شملهم ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله حتى بذلوا دونه المهج والارواح والاموال فليس ذلك الا من مقلب القلوب والاحوال والتحقيق فى الباب أن المحبة لا تحصل الا عند تصور حصول خير من المحبوب ثم ان كان سبب انعقاد المحبة أمرا سريع التغير كالمال أو الجاه أو اللذة الجسمانية كانت تلك المحبة بصدد الزوال والاضمحلال فالمعشوق يريد العاشق لماله والعاشق يحب المعشوق لاستيفاء لذة بهيمية فهما حصل مرادهما كانا متحابين ومتى لم يحصل عادا متباغضين وان كان سبب انعقاد المودة كمالا حقيقيا وحانيا دائما لم يتصور لها تغير وزوال ثم ان العرب كانوا قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم مقبلين على المفاخرة والتسابق فى المال والجاه والتعصب والتفرق فلا جرم كانوا متحابين تارة ومتباغضين أخرى فلما جاءهم النبى صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا والاقبال على تحصيل السعادة الابدية الروحانية توحد مطلبهم وصاروا أخوانا متراحمين متحابين فى الله ولله (انه عزيز حكيم) أى قادر قاهر على تقليب القلوب والدواعى فاعل لكل ما يفعل على وجه الاحكام والاتقان أو على حسب المصالح على اختلاف القولين فى مسئلة الخير والقدر قال القاضى لولا ألطاف الله تعالى

تلقين فى الحرب هؤلاء الذين عاهدتهم فنقضوا عهدك مرة بعد مرة من قريظة فتأسرهم فشردبهم من خلفهم يقول فافعل بهم فعلا يكون مشردا من خلفهم من نظرائهم ممن بينك وبينه عهد وعقد والتشريد التطريد والتبديد والتفريق وانما أمر بذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بالناقض العهد بينه وبينهم اذا قدر عليهم فعلا يكون اخافة لمن وراءهم ممن كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه عهد حتى لا يجترؤا على مثل الذى اجترأ عليه هؤلاء الذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية من نقض العهد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشردبهم من خلفهم يعنى نكل بهم من بعدهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فشردبهم من خلفهم يقول نكل بهم من وراءهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشردبهم من خلفهم يقول عظ بهم من سواهم من الناس حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فاما تثقفنهم فى الحرب فشردبهم من خلفهم يقول نكل بهم من خلفهم من بعدهم من العدو لعلهم يحذرون أن ينكثوا فيصنع بهم مثل ذلك حدثنا محمد بن عبدالاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير فشردبهم من خلفهم قال أنذر بهم من خلفهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال نكل بهم من خلفهم من بعدهم * قال ابن جريج قال عبدالله ابن كثير نكل بهم من وراءهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون أى نكل بهم من وراءهم لعلهم يعقلون حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله فشردبهم من خلفهم يقول نكل بهم من بعدهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله فاما تثقفنهم فى الحرب فشردبهم من خلفهم قال أخفهم بما تصنع بهؤلاء وقرأ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وأما قوله لعلهم يذكرون فان معناه كى يتعظوا بما فعلت بهؤلاء الذين وصفت صفتهم فيحذروا نقض العهد الذى بينك وبينهم خوف أن ينزل بهم منك ما نزل بهؤلاء اذا هم نقضوه ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين﴾ يقول تعالى ذكره وإما تخافن يا محمد من عدوك بينك وبينه عهد وعقد أن ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك فذلك هو الخيانة والغدر فانبذ اليهم على سواء يقول فناجزهم بالحرب وأعلمهم قبل حربك اياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم حتى تصير أنت وهم على سواء فى العلم بأنك لهم محارب فيأخذوا للحرب آلتها وتبرأ من الغدر ان الله لا يحب الخائنين الغادرين من كان منه فى أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به فيحار به قبل اعلامه اياه أنه له حرب وأنه قد فاسخه العقد فان قال قائل وكيف يجوز نقض العهد بتخوف الخيانة والخوف ظن لا يقين قيل ان الامر بخلاف ما اليه ذهبت وانما معناه اذا ظهرت آثار الخيانة من عدوك وخفت وقوعها بك فألق اليهم مقاليد السلم وآذنهم بالحرب

ساعة فساعة لما حملت هذه الاحوال ونظيره انه يضاف علم الولد وأدبه الى أبيه لاجل أنه لم يحصل ذلك الا بعونة الاب وتربيته وأجيب بأنه عدول عن الظاهر والآية صريحة في أن العقائد والارادات والكراهات كلها بخلق الله تعالى وايجاده اللهم يا مصرف القلوب ومقلبها ثبت قلبي على دينك ووفقني لمتابعة نبيك انك (٣٠) قادر على ما تشاء ولا يكون الا ما تشاء ثم انه سبحانه لما وعد نبيه النصر والكفاية عند مخادعة الاعداء وعده النصر والكفاية على الاطلاق فقال (يا أيها النبي حسبك الله) ومحل (ومن اتبعك) منصوب لانه بمنزلة زيد في قولك حسبك وزيدا درهم قال الفراء وليس بكثير في كلامهم أن يقولوا حسبك وأخيك بل المستعمل أن يقال حسبك وحسب أخيك باعادة الجار فلو كان قوله ومن اتبعك مجرورا لقيل حسبك وحسب من اتبعك ومعنى الآية كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصرا ويجوز أن يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك المؤمنون فيكون كقوله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ويؤكده ما روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وستة نسوة ثم أسلم عمر فصاروا أربعين فأنزل الله تعالى الآية ثم بين سبحانه أن كفايته مشروطة بالجد والاجتهاد في الجهاد فقال (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) والتحريض في اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشئ وذكروا في اشتقاقه أنه من الحرض وهو الاشراف على الهلاك من شدة الضنى كأنه ينسبه الى الهلاك لو تخلف عن المأمور أو كأنه يأمره أن يبالغ فيه وفي تحصيله حتى يدنو من التلف وفي قوله (ان يكن منكم عشرون صابرون) عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم بعون الله وتأييده واعترض عليه بأنه يلزم منه أن لا يغلب قط مائتان من الكفار عشرين من المؤمنين ويمكن أن يجاب بعد تسليم وقوع مثل ذلك ان الخلل لعله يكون من فقدان الشرط وهو الصبر قال بعض العلماء هذا خبر في معنى الامر كقوله والوالدات يرضعن والمطلقات يتربصن بدليل قوله (الآن خفف الله عنكم) والنسخ

وذلك كالذي كان من بني قريظة اذ جاءوا أبا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغدروا بهم بعد العهد الذي كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسالمة ولن يقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت اجابتهم اياه الى ذلك موجبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وبأصحابه منهم فكذلك حكم كل قوم أهل موادعة للمؤمنين ظهر لامام المسلمين منهم من دلائل الغدر مثل الذي ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريظة منها فحق على امام المسلمين أن ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب ومعنى قوله على سواء أي حتى يستوي علمك وعلمهم بأن كل فريق منكم حرب لصاحبه لا سلم

وقيل نزلت الآية في قريظة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فانبذ اليهم على سواء قال قريظة وقد قال بعضهم السواء في هذا الموضع المهل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال انه مما تبين لنا أن قوله فانبذ اليهم على سواء أنه على مهل كما حدثنا بكير عن مقاتل بن حيان في قول الله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر وأما أهل العلم بكلام العرب فانهم في معناه مختلفون فكان بعضهم يقول معناه فانبذ اليهم على عدل يعني حتى يعتدل علمك وعلمهم بما عليه بعضكم لبعض من المحاربة واستشهدوا لقولهم ذلك بقول الراجز

واضرب وجوه الغدر للاعداء * حتى يجيبوك الى السواء

يعني الى العدل * وكان آخرون يقولون معناه الوسط من قول حسان

يا ويح أنصار الرسول ورهطه * بعدا المغيب في سواء الملحد

يعني في وسط اللحد وكذلك هذه المعاني متقاربة لان العدل وسط لا يعلو فوق الحق ولا يقصر عنه وكذلك الوسط عدل واستواء الفريقين فيما عليه بعضهم لبعض بعد المهادنة عدل من الفعل ووسط وأما الذي قاله الوليد بن مسلم من أن معناه المهل فما لا أعلم له وجها في كلام العرب

القول في تأويل قوله ﴿ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم بكسر الالف من انهم وبالتاء في تحسبن يعني ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقونا ففاتونا بأنفسهم ثم ابتدئ الخبر عن قدرة الله عليهم فقيل ان هؤلاء الكفرة لا يعجزون ربهم اذا طلبهم وأراد تعذيبهم واهلاكهم بأنفسهم فيفوتونه بها وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة ولا يحسبن الذين كفروا بالياء في يحسبن وكسر الالف من انهم وهي قراءة غير جيدة لمعنيين أحدهما خروجها من قراءة القراء وشذوذها عنها والآخر بعدها من فصيح كلام العرب وذلك أن يحسب يطلب في كلام العرب منصوبا وخبره كقوله عبد الله يحسب أخاك قائما ويقوم وقام فقارئ هذه القراءة أصحب يحسب خبر الغير مخبرا عنه مذكورا وانما كان مراده بطني ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون نافلم يفكر في صواب مخرج الكلام وسقمه واستعمل في قراءته ذلك كذلك ما ظهر له من مفهوم الكلام وأحسب أن الذي دعاه الى ذلك الاعتبار بقراءة عبد الله وذلك أنه فيما ذكر في مصحف عبد الله ولا يحسبن الذين

بالامر أليق منه بالخبر و بدليل قوله والله مع الصابرين وفيه ترغيب في الثبات على الجهاد فعسى الآية اذن ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين ثم الصبر لا يحصل الا بكونه شديدا الاعضاء قويا جلدا شجاعا غير جبان ولا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة وعند حصول هذه الامور كان يجب على الواحد أن يثبت للعشرة لما سبق من وعد النصر في قوله

كفروا أنهم سبقوا انهم لا يعجزون وهذا فصيح صحيح اذا أدخلت أنهم في الكلام لان يحسبن عاملة في أنهم واذا لم يكن في الكلام أنهم كانت خالية من اسم تعمل فيه والذي قرأ ذلك من القراء وجهان في كلام العرب وان كانا بعيدين من فصيح كلامهم أحدهما أن يكون أراد به ولا تحسبن الذين كفروا أن سبقوا أو أنهم سبقوا ثم حذف أن وأنهم كما قال جل ثناؤه ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا بمعنى أن يريكم وقد ينشد في نحو ذلك بيت لذي الرمة

أظن ابن طرثوث عينة ذاهبا * بعاديتي تكذابه وجعائله

بمعنى أظن ابن طرثوث أن يذهب بعاديتي تكذابه وجعائله وكذلك قراءة من قرأ ذلك بالباء بوجه سبقوا الى سابقين على هذا المعنى والوجه الثاني على أنه أراد اضمار منصوب بحسب كأنه قال ولا تحسبن الذين كفروا أنهم سبقوا ثم حذف الهمز وأضمر وقد وجه بعضهم معنى قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه انما ذلكم الشيطان يخوف المؤمن من أوليائه وأن ذكر المؤمن مضمر في قوله يخوف اذ كان الشيطان عنده لا يخوف أولياءه وقرأ ذلك بعض أهل الشام ولا تحسبن الذين كفروا بالتاء من تحسبن سبقوا أنهم لا يعجزون بفتح الالف من أنهم بمعنى ولا تحسبن الذين كفروا أنهم لا يعجزون ولا وجه لهذه القراءة يعقل الا أن يكون أراد القارئ بلا التي في يعجزون لا التي تدخل في الكلام حشوا وصلة فيكون معنى الكلام حينئذ ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم يعجزون ولا وجه لتوجيه حرف في كتاب الله الى التطويل بغير حجة يجب التسليم لها وله في الصحة مخرج * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ ولا تحسبن بالتاء الذين كفروا سبقوا انهم بكسر الالف من انهم لا يعجزون بمعنى ولا تحسبن أنت يا محمد الذين جحدوا حجج الله وكذبوا بها سبقونا بأنفسهم ففاتونا انهم لا يعجزوننا أي يفوتوننا بأنفسهم ولا يقدرون على الهرب منا كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون يقول لا يفوتون ﴿ القول في تأويل قوله ﴾ ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ يقول تعالى ذكره وأعدوا أيها المؤمنون لهؤلاء الذين كفروا بربهم الذين بينكم وبينهم عهد اذا خفتم خيانتهم وغدرهم أيها المؤمنون بالله ورسوله ما استطعتم من قوة يقول ما أطقتم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم يقول تخيفون باعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أويس قال سمعت أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجل من جهينة يرفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان الرمي هو القوة ألا ان الرمي هو القوة حدثنا أبو كريب قال ثنا سعيد بن بشر حبيل قال ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب وعبد الكريم بن الحرث عن أبي علي الهمداني أنه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول قال الله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ألا وان قوة الرمي ألا ان القوة الرمي ثلاثا حدثنا أبو كريب قال ثنا محبوب وجعفر بن عون ووكيع وأبو أسامة وأبو نعيم عن أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجل

حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وانما كرر النسبة مرتين لان السرايا التي كان يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينقص عددها عن العشرين وما كانت تزيد على المائة فورد على وفق الواقعة وأما في الكرة الثانية فانما كررت النسبة للطباق وليكون فيه بشارة واشارة الى أن عدد عسكر الاسلام سيؤول من العشرات والمئات الى الالوف والله أعلم مراده ثم بين السبب في الغلبة فقال (بأنهم قوم لا يفقهون) أي بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يعرفون معادا وقد انحصرت السعادة عندهم في هذه الحياة العاجلة وأيضا انهم يعولون على قوتهم وشوكتهم والمسلمون يتوكلون على ربهم ويستغيثونه ويتوقعون منه النجاز ما وعد من النصر والتأييد ووجه آخر وهو أن أهل العلم والمعرفة يكون لهم في أعين الناس هيبة وحشمة ويكونون في أنفسهم أقوياء أشداء لما تجلى عليهم من أنوار المعرفة والبصيرة يعرف ذلك أصحاب العلوم وأرباب المعارف بخلاف الجهلة الذين لا بصيرة لهم ولا نور قال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف الاول ضج المهاجرون وقالوا يا رب نحن جياع وعدونا شباع ونحن في غربة وعدونا في أهلهم وقال الانصار شغلنا بعدونا واسينا اخواننا وعن ابن جريج كان عليهم

أن لا يفروا و يثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلاثين راكبا قبل بدر فلقي أبا جهل في ثلثمائة راكب وأرادوا قتالهم فمنعهم حمزة و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس الى خالد بن صفوان وكان في جماعة فابتدر عبد الله فقال يا رسول الله صفه لي فقال انك اذا رأيته ذكرت الشيطان ووجدت لذلك قشعريرة و بلغني أنه جمع لي فاخرج اليه واقتله فلما خرجت

نحوه ودنوت منه وجدت القشعريرة فقال لي من الرجل قلت له من العرب سمعت بذكره ويجمعك ومشيت معه حتى اذا تمكنت منه قتلته بالسيف وأسرعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت أني قتلته فأعطاني عصاه وقال امسكها فانها آية بيني وبينك يوم القيامة وقال عكرمة انما أمر الرجل أن يصبر لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم ولهذا

قال ابن عباس أيما رجل فر من ثلاثة فلم يفر فان فر من اثنين فقد فر والحاصل أن الجمهور ادعوا أن قوله (الآن خفف الله عنكم) ناسخ لحكم الآية المتقدمة وأنكر ذلك أبو مسلم الاصفهاني قال لأن لفظ الآية ورد على الخبر سلمنا أنه بمعنى الامر لكن لم قلتم ان التقدير ليكن العشرون صابرين في مقابلة المائتين ولم لا يجوز أن يكون المراد ان حصل عشرون صابرون في مقابلة المائتين فليشتغلوا بجهادهم واذا كان الشرط غير حاصل في حق هؤلاء لقوله وعلم أن فيكم ضعفا فلا جرم لم يثبت ذلك الحكم فلا يتصور النسخ ولفظ التخفيف لا يقتضي ورود التثقيل قبله لان مثل هذا الكلام قد تقوله العرب ابتداء ومما يدل على عدم النسخ تقارن الآيتين والناسخ يجب أن يكون بعد المنسوخ بزمان هذا حاصل قول أبي مسلم وهو انما يستحق الجواب لو لم يحصل قبله اطباق على حصول هذا النسخ والله تعالى أعلم ومعنى قوله (وعلم أن فيكم ضعفا) ظاهر معلومه فلا يبقى لهشام حجة في مذهبه أنه تعالى لا يعلم الجزئيات الا بعد وقوعها والمراد بالضعف قيل الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك والظاهر أن المراد الضعف الانساني المذكور في قوله وخلق الانسان ضعيفا ۞ التأويل يضربون وجوههم وأدبارهم لان الكافر ذاهب عن الدنيا مع تعلقه بها فيحصل له ألم من جهة الخلف ويقبل على الآخرة ولا نور له يبصر به ما أمامه فيحصل له تألم من قدام لم يلتذ بغير انعمة مبدلا قال حسن تقديم واستعداد أعطاهم الله بعضه حتى يغروا بالكفر والتكذيب ما بانفسهم من نعم الاستعداد الفطري الذين عاهدت

عن عقبة بن عامر الجهني قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي ثلاث مرات **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجل عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر فذكر نحوه **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن أخيه محمد بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن شعبة ابن دينار عن عكرمة في قوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال الحصون ومن رباط الخيل قال الاناث **حدثنا** علي بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن رجاء بن أبي سلمة قال لقي رجل مجاهدا بمكة ومع مجاهد جوالق قال فقال مجاهد هذا من القوة ومجاهد يتجهز للغزو **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة من سلاح وأما قوله ترهبون به عدو الله وعدوكم فقال ابن وكيع **حدثنا** أبي عن اسرائيل عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن مجاهد عن ابن عباس ترهبون به عدو الله وعدوكم قال تخزون به عدو الله وعدوكم **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عثمان عن مجاهد عن ابن عباس مثله **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ترهبون به عدو الله وعدوكم قال تخزون به عدو الله وعدوكم (١) وكذا كان يقرأ جهارا ترهبون **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن عثمان بن المغيرة وخصيف عن مجاهد عن ابن عباس ترهبون به تخزون به **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس مثله يقال منه أرهبت العدو ورهبته فانا أرهبه وأرهبه ارهابا وترهيبا وهو الرهب والرهب ومنه قول طفيل الغنوي ويل أم حي دفعتم في نحورهم * بني كلاب غداة الرعب والرهب

۞ القول في تأويل قوله ﴿وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ اختلف أهل التأويل في هؤلاء الآخرين من هم وما هم فقال بعضهم هم بنو قريظة ذكر من قال ذلك **حدثت** عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآخرين من دونهم يعني من بني قريظة **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآخرين من دونهم قال قريظة * وقال آخرون من فارس ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم هؤلاء أهل فارس * وقال آخرون هم كل عدو للمسلمين غير الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يشرد بهم من خلفهم قالوا وهم المنافقون ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم

(١) يريد أن ابن عباس كان يقرأ تخزون بدل ترهبون كما نقله عنه في الكشاف اه كتبه مصححه

منهم يارب وح فى الازل لان نورك وصفتك غلب على ظلمة النفس وصفاتها فشرد يارب وح بهم من خلفهم أى بالغ فى تبديل صفات النفس وفى تزكيتها بحيث يؤثر نور تبدلها فى الصفات التى وراءها فانبذ اليهم على سواء أى أظهر عداوتك معهم وجاهدهم انهم لا يعجزون أى النفوس الكافرة تحت تصرفى فلا تقنطوا من رحمتى فى اصلاح حالهم من قوة الروح وغلبات صفاتها واعداده بمداومة الذكر وقطع التعلق ومن رباط الخيل ومن ربط القلب بطريق المراقبة لئلا يلتفت الى الدنيا وزينتها ترهبون بالذكر والمراقبة عدو الله الشيطان وعدوكم النفس والهوى وآخرين من دونهم من نفوس شياطين الانس لا تعلمونهم أنهم عدوكم من الاحباب والاصدقاء والاقربا الله يعلمهم أنهم عدو لكم كقوله ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ومما تنفقوا من شئ من شهوات النفس ولذاتها وزينتها بطريق الذكر والمراقبة يوف اليكم فوائده من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وألف بين قلوبهم بين الروح والقلب والسر وبين النفس وصفاتها لو أنفقت ما فى أرض وجودك من السعى والجد والاجتهاد لما بين الروح النورانى والنفس الظلمانى من التضاد ولكن الله ألف بين الروح والنفس وبين القلب والقالب ليكون الشخص الانسانى طلسما على كنز وجوده لم يكسر الطلسم للوصول الى الكنز والله أعلم ﴿ ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء

قال أخفتهم بهم لما تصنع بهؤلاء وقرأ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم قال هؤلاء المنافقون لا تعلمونهم لانهم معكم يقولون لا اله الا الله ويغزون معكم * وقال آخرون هم قوم من الجن * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أمر المؤمنين باعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوّون به على جهاد عدوّه وعدوّهم من المشركين من السلاح والرمى وغير ذلك ورباط الخيل ولا وجه لان يقال عنى بالقوة معنى دون معنى من معانى القوة وقد عم الله الامر بها فان قال قائل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين أن ذلك مراد به الخصوص بقوله ألا ان القوة الرمى قيل له ان الخبر وان كان قد جاء بذلك فليس فى الخبر ما يدل على أنه مراد به الرمى خاصة دون سائر معانى القوة عليهم فان الرمى أحد معانى القوة لانه انما قيل فى الخبر ألا ان القوة الرمى ولم يقل دون غيرها ومن القوة أيضا السيف والرمح والحربة وكل ما كان معونة على قتال المشركين كمعونة الرمى أو أبلغ من الرمى فيهم وفى النكاية منهم هذا مع وهى سند الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأما قوله وآخرين من دونهم لا تعلمونهم فان قول من قال عنى به الجن أقرب وأشبه بالصواب لانه جل ثناؤه قد أدخل بقوله ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الا ترى أن رباط الخيل لا رهاب كل عدو لله وللمؤمنين يعلمونهم ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة فريظة وفارس لهم لعلمهم بأنهم مشركون وأنهم لهم حرب ولا معنى لان يقال وهم يعلمونهم لهم أعداء وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ولكن معنى ذلك ان شاء الله ترهبون بارتباطكم أيها المؤمنون الخيل عدو الله وأعداءكم من بنى آدم الذين قد علمتم عداوتهم لكم لكفرهم بالله ورسوله وترهبون بذلك جنسا آخرين غير بنى آدم لا تعلمون أماكنهم وأحوالهم الله يعلمهم دونكم لأن بنى آدم لا يرونهم وقيل ان صهيل الخيل يرهب الجن وان الجن لا تقرب دارا فيها فرس فان قال قائل فان المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون فما تنكر أن يكون عنى بذلك المنافقون قيل فان المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ولا سلاحهم وانما كان يروعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم التى كانوا يسرون من الكفر وانما أمر المؤمنون باعداد القوة لارهاب العدوّ فأما من لم يرهبه ذلك فغير داخل فى معنى من أمر باعداد ذلك له المؤمنون وقيل لا تعلمونهم فاكتفى بالعلم بمنصوب واحد فى هذا الموضع لانه أريد لا تعرفونهم كما قال الشاعر

فان الله يعلمنى (١) * وانا سوف يلقاه كلانا

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون ﴾ يقول تعالى ذكره وما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة فى شراء آلة حرب من سلاح أو حراب أو كراع أو غير ذلك من النفقات فى جهاد أعداء الله من المشركين يخلفه الله عليكم فى الدنيا ويدخر لكم أجوركم على ذلك عنده حتى يوفيكموها يوم القيامة وأنتم لا تظلمون يقول يفعل ذلك بكم ربكم فلا يضيع أجوركم عليه * ويحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون أى لا يضيع لكم عند الله أجره فى الآخرة وعاجل خلفه فى الدنيا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وان جنحوا للسلم

(١) سقط منه شئ من قلم الناسخ ولم نقف على البيت فى غير هذا الكتاب مصححه

بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم ۞ القراآت أن تكون بالتاء الفوقانية أبو عمرو سهل ويعقوب ويزيد أسارى يزيد والمفضل الآخرون أسرى من الاسارى يزيد وأبو عمرو والمفضل الباقون من الاسرى من ولايتهم بكسر الواو حمزة والباقون بفتحها ۞ الوقوف فى الارض ط لتقدير الاستفهام أى أتريدون الآخرة ط حكيم ○ عظيم ○ واتقوا الله ط رحيم ○ ويغفر لكم ط رحيم ○ منهم ط حكيم ○ أولياء بعض ط حتى يهاجروا ج ميثاق ط بصير ○ أولياء بعض ط كبير ○ حقا ط كريم ○ منكم ط فى كتاب الله ط عليم ○ ۞ التفسير هذا حكم آخر من أحكام الجهاد ومعنى ما كان ما صح وما استقام والايثخان كثرة القتل واشاعته من الثخانة التى هى الغلظ والكثافة والمعنى فيه تذليل الكفر واضعافه واعزاز الاسلام واظهاره باشاعة القتل فى الكفرة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن أبى طالب فاستشار أبا بكر فيهم فقال قومك وأهلك فاستبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق وروى انه قال لهم ان شئتم

فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم ۞ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإما تخافن من قوم خيانة وغدرا فانبذ اليهم على سواء وآذنهم بالحرب وان جنحوا للسلم فاجنح لها وان مالوا الى مسالمتك ومتاركتك الحرب اما بالدخول فى الاسلام وإما باعطاء الجزية واما بموادعة ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح فاجنح لها يقول قبل اليها وابذل لهم ما مالوا اليه من ذلك وسألوكه يقال منه جنح الرجل الى كذا يجنح (١) اليه جنوحا وهى لتيم وقيس فيما ذكر عنها تقول يجنح بضم النون وآخرون يقولون يجنح بكسر النون وذلك اذا مال ومنه قول نابغة بنى ذبيان

جوانح قد أيقن أن قبيله ٭ اذا ما التقى الجمعان أول غالب

جوانح موائل ٭ ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وان جنحوا للسلم قال للصلح ونسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان جنحوا للسلم الى الصلح فاجنح لها قال وكانت هذه قبل براءة كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يوادع القوم الى أجل فاما أن يسلموا واما أن يقاتلهم ثم نسخ ذلك بعد فى براءة فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال قاتلوا المشركين كافة ونبذ الى كل ذى عهد عهده وأمره بقتالهم حتى يقولوا لا اله الا الله ويسلموا وأن لا يقبل منهم الا ذلك وكل عهد كان فى هذه السورة وفى غيرها وكل صلح يصالح به المسلمون المشركين يتوادعون به فان براءة جاءت بنسخ ذلك فأمر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا لا اله الا الله حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسن عن يزيد عن عكرمة والحسن البصرى قالا وان جنحوا للسلم فاجنح لها نسختها الآية التى فى براءة قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله وهم صاغرون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان جنحوا للسلم فاجنح لها يقول وان أرادوا الصلح فأردد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان جنحوا للسلم فاجنح لها أى ان دعوك الى السلم الى الاسلام فصالحهم عليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها قال فصالحهم قال وهذا قد نسخه الجهاد فأما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله من أن هذه الآية منسوخة فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل وقد دللنا فى غير موضع من كتابنا هذا وغيره على أن الناسخ لا يكون الا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه فأما ما كان بخلاف ذلك فغير كائن ناسخا وقول الله فى براءة فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم غير نافٍ حكمه حكم قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها لأن قوله وان جنحوا للسلم انما عنى به بنو قريظة وكانوا يهودا أهل كتاب وقد أذن الله جل ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ومتاركتهم الحرب على أخذ الجزية منهم وأما قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فانما عنى به مشركو العرب من عبدة الأوثان الذين لا يجوز قبول الجزية منهم فليس فى احدى الآيتين نفى حكم الاخرى بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان جنحوا للسلم قال قريظة وأما قوله وتوكل على الله يقول فوض الى الله يا محمد أمرك واستكفه واثق به أنه يكفيك كالذى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق

(١) أى من باب منع اه مصححه

قتلتموهم وان شئتم فادية تموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة أوقية والاوقية أربعون درهما وروى أنهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يارسول الله أخبرنى فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكى على أصحابك فى أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان فى القتل أحب الىّ * واعلم أن الطاعنين فى عصمة الانبياء عليهم السلام تمسكوا فى هذا المقام برجوه الاول ما كان لنبى صريح فى النهى وقد حصل الاسر بدليل قل لمن فى أيديكم من الاسرى الثانى انهم أمروا بالقتل يوم بدر فى قوله فاضربوا فوق الاعناق فكان الاسر معصية وأجيب بان قوله حتى يثخن يدل على ان الاسر كان مشروعا ولكن بشرط سبق الاثخان ولاشك ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما فلعل العتاب انما ترتب لان الاثخان أمر غير مضبوط فظنوا أن ذلك القدر من القتل بلغ حد الاثخان فاخطؤا فى الاجتهاد وكان قوله فاضربوا فوق الاعناق تكليفا مختصا بحالة الحرب فلم يتناول الاسر بعد انهزام الكفار الثالث قالوا الحكم بأخذ الفداء معصية والا لم يتوجه الذم فى قوله (تريدون عرض الدنيا) أى حطامها سمى بذلك لانه سريع الزوال كالعرض قسيم الجوهر (والله يريد الآخرة) أى ثوابها أو ما هو سبب الجنة وهو اعزاز الاسلام باشاعة القتل فى أعدائه وقرئ بجر الآخرة أى عرض الآخرة

وتوكل على الله ان الله كافيك وقوله انه هو السميع العليم يعنى بذلك ان الله الذى تتوكل عليه سميع لما تقول أنت ومن تسالمه وتتاركه الحرب من أعداء الله وأعدائك عند عقد السلم بينك وبينه وبشرط كل فريق منكم على صاحبه من الشروط والعليم بما يضمره كل فريق منكم للفريق الآخر من الوفاء بما عاقده عليه ومن المضمر ذلك منكم فى قلبه والمنطوى على خلافه لصاحبه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴿ يقول تعالى ذكره وان يرد يا محمد هؤلاء الذين أمرتك بأن تنبذ اليهم على سواء ان خفت منهم خيانة وعما لتهم ان جنحوا للسلم خداعك والمكر بك فان حسبك الله يقول فان الله كافيكهم وكافيك خداعهم اياك لانه متكفل باظهار دينك على الأديان ومتضمن أن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى هو الذى أيدك بنصره يقول الله الذى قواك بنصره اياك على أعدائه وبالمؤمنين يعنى بالانصار * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان يريدوا أن يخدعوك قال قريظة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو من وراء ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى هو الذى أيدك بنصره قال بالانصار ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم ﴿ يريد جل ثناؤه بقوله وألف بين قلوبهم وجمع بين قلوب المؤمنين من الاوس والخزرج بعد التفرق والتشتت على دينه الحق فصيرهم به جميعا بعد أن كانوا أشتاتا واخوانا بعد أن كانوا أعداء وقوله لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لو أنفقت يا محمد ما فى الارض جميعا من ذهب وورق وعرض ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيلك ولكن الله جمعها على الهدى فألفت واجتمعت تقوية من الله لك وتأييدا منه ومعونة على عدوك يقول جل ثناؤه والذى فعل ذلك وسببه لك حتى صار والك أعوانا وأنصارا ويدا واحدة على من بغالك سواه هو الذى ان رام عدوه منك مراما يكفيك كيده وينصرك عليه فثق به وامض لامره وتوكل عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وألف بين قلوبهم قال هؤلاء الانصار ألف بين قلوبهم من بعد حرب فيما كان بينهم حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن بشير بن ثابت رجل من الانصار أنه قال فى هذه الآية لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم يعنى الانصار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وألف بين قلوبهم على الهدى الذى بعثك به اليهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم بدينه الذى جمعهم عليه يعنى الاوس والخزرج حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن ابراهيم الجزرى عن الوليد بن أبى مغيث عن مجاهد قال اذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما قال قلت لمجاهد عصافحة يغفر لهما قال محاهد

على التقابل (والله عزيز) يغلب أولياؤه على أعدائه ويقهرونهم ويلجئونهم الى القتل والفداء بعد الاسر ولكنه (حكيم) لا يرخص فى أخذ الفداء الا بعد افشاء القتل فى الاعداء والجواب ان كل ذلك محمول على ترك الاولى وكذا الكلام فى قوله (لولا كتاب من الله سبق) أى لولا حكم من الله سبق اثباته فى اللوح وهو أنه لا يعاقب أحدا يخطئ فى الاجتهاد

لانهم نظروا فى ان استبقاءهم رجاء كان سببا فى اسلامهم وتوبتهم وحصول أولاد منهم مسلمين وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد فى سبيل الله وخفى عليهم أن قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان يوم بدر لان المسلمين كانوا قليلين فلما كثروا وقوى اسلامهم أنزل الله بعد ذلك فى الاسارى حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء

قال بعض العلماء هذا الكلام يوهم أن مقتضى الآيتين مختلف وليس كذلك فان كلتاهما تدل على انه لابد من تقديم الاثخان على الفداء وعن سعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق بانه سيحل لكم الفدية وكأن قرب الوقت من التحليل يوجب تخفيف العقاب وقال محمد بن اسحق لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحدا الا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهى وحاصل هذا القول يرجع الى ترك الاولى وذلك ان الاولى وغير الاولى يشتركان فى كونهما مباحين وانما يعاتب على ترك الاولى لا على سبيل العقوبة بل على سبيل الحث على فعل الاولى وعن بعضهم المراد حكم الله بانه لا يعذب من شهد بدرا واعترض بانه يلزم أن لا يكونوا مكلفين والجواب أن عدم العقاب على الذنب لا يوجب عدم التكليف فلعل التكليف لاجل زيادة الثواب وقيل لولا كتاب سبق بالعفو عن هذه الواقعة لكان استحقاق مس العذاب حاصلا روى انهم أمسكوا عن الغنائم أو عن أخذ الفداء لانه من جملة الغنائم فنزلت (فكلوا) والفاء للتسبيب ومعنى الآية قد أبحت لكم الغنائم فكلوا و(حلالا) نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أى أكلا حلالا (واتقوا الله) فيما يستقبل فلا تقدموا على شئ لم تؤمروا به (ان الله غفور) لما فرط منكم من ترك الاولى (رحيم) فبذلك رخص لكم فيما رخص من أخذ الفداء واستشهد

أما سمعته يقول لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم فقال الوليد لجاهد أنت أعلم منى حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير قال ثنى الوليد عن أبى عمرو قال ثنى عبدة بن أبى لبابة عن مجاهد ولقيته وأخذ بيدى فقال اذا تراءى المتحابان فى الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك اليه تحاتت خطاياهما كما تحات ورق الشجر قال عبدة فقلت له ان هذا ليسير قال لا تقل ذلك فان الله يقول لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم قال عبدة فعرفت أنه أفقه منى حدثنى محمد بن خلف قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا فضيل بن غزوان قال أتيت أبا اسحق فسلمت عليه فقلت أتعرفنى فقال فضيل نعم لولا الحياء منك لقبلتك حدثنى أبو الاحوص عن عبد الله قال نزلت هذه الآية فى المتحابين فى الله لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون عن عمير بن اسحق قال كانت أحدث أن أول ما رفع من الناس أو قال عن الناس الألفة حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أيوب بن سويد عن الاوزاعى قال ثنى عبدة بن أبى لبابة عن مجاهد ثم ذكر نحو حديث عبد الكريم عن الوليد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة وابن نمير وحفص بن غياث عن فضيل بن غزوان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص قال سمعت عبد الله يقول لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم الآية قال هم المتحابون فى الله وقوله انه عزيز حكيم يقول ان الله الذى ألف بين قلوب الاوس والخزرج بعد تشتت كلمتهما وتعاديهما وجعلهم له أنصارا عزيزا لا يقهره شئ ولا يرد قضاءه مراد ولكنه ينفذ فى خلقه حكمه يقول فعليه فتوكل وبه فثق حكيم فى تدبير خلقه

القول فى تأويل قوله ﴿ يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين الله يقول لهم جل ثناؤه ناهضوا عدوكم فان الله كافيكم أمرهم ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم فان الله مؤيدكم بنصره * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا سفيان عن شوذب بن معاذ عن الشعبى فى قوله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال حسبك الله وحسب من معك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا سفيان عن شوذب عن الشعبى فى قوله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال حسبك الله وحسب من معك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن سفيان عن شوذب عن عامر بنحوه الا أنه قال حسبك الله وحسب من شهد معك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد فى قوله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال يا أيها النبى حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين ان حسبك أنت وهم الله فمن من قوله ومن اتبعك من المؤمنين على هذا التأويل الذى ذكرناه عن الشعبى نصب عطفا على معنى الكاف فى قوله حسبك الله لا على لفظه لأنها فى محل خفض فى الظاهر وفى محل نصب فى المعنى لان معنى الكلام يكفيك الله ويكفى من اتبعك من المؤمنين وقد قال بعض أهل العربية فى من انها فى موضع رفع على العطف على اسم الله كأنه قال حسبك الله ومتبعوك الى جهاد العدو من المؤمنين دون القاعدين عنك منهم

ثم قال لاستمالة قلوب الاسارى (يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله) ان يظهر معلومه أن (فى قلوبكم خيرا) وهو الايمان والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله فى جميع التكاليف والتوبة عن الكفر وعن جميع المعاصى ويدخل فيه العزم على نصرة الرسول

والتوبة عن محاربته (يؤتكم) في الدنيا (خيرا مما أخذ منكم) من المنافع العاجلة (ويغفر لكم) في الآخرة والمراد بالخير ايصال الثواب وبالمغفرة ازالة العقاب ثم انا قد نعلم أن كل من خلص من الاسر وآمن فقد آتاه الله في الدنيا خيرا لدلالة الآية على ذلك اجمالا وذلك الخير ان كان دنيا فلا شك أن كلهم قد وجدوا ذلك لان قليل الدنيا مع الايمان أعظم من كثير الدنيا مع الكفر وان كان دنيويا فتفضيل ذلك غير معلوم الا ما روى عن بعضهم كالعباس روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأنا أرجو المغفرة وقال ابن عباس نزلت الآية في العباس وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث وكان العباس أسير يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب أخرجها ليطعم الناس وكان أحد العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم تبلغه النوبة حتى أسر فقال العباس كنت مسلما الا انهم استكرهوني فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا قال العباس وكلمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك ذلك الذهب علي فقال أما شئ خرجت به تستعين به علينا فلا قال وكافني الرسول صلى الله عليه وسلم فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتني يا محمد أتكفف قريشا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين الذهب الذي دفعته الى أم الفضل وقلت خرج لك من مكة وقلت لها لا أدري ما يصيبني في وجهي فان حديثك في حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرني به ربي قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في أمرك فأما اذ أخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فأبدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان أدناهم ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم ما أحب ان

واستشهد على صحة قوله ذلك بقوله حرض المؤمنين على القتال ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين﴾ يقول تعالى ذكره ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال حث متعبدك ومصدقيك على ما جئتهم به من الحق على قتال من أدبر وولى عن الحق من المشركين ان يكن منكم عشرون رجلا صابرون عند لقاء العدو يحتسبون أنفسهم ويثبتون لعدوهم يغلبوا مائتين من عدوهم ويقهروهم وان يكن منكم مائة عند ذلك يغلبوا منهم ألفا بأنهم قوم لا يفقهون يقول من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ولا لطلب أجر ولا احتساب لانهم لم يفقهوا أن الله موجب لمن قاتل احتسابا وطلب موعود الله في المعاد ما وعد المجاهدين في سبيله فهم لا يثبتون اذا صدقوا في اللقاء خشية أن يقتلوا فتذهب دنياهم ثم خفف تعالى ذكره عن المؤمنين اذ علم ضعفهم فقال لهم الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا يعني أن في الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوهم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة عند لقائهم للثبات لهم يغلبوا مائتين منهم وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين منهم باذن الله يعني بتخلية الله اياهم لغلبتهم ومعونتها اياهم والله مع الصابرين لعدوهم وعدوه احتسابا في صبره وطلبا لجزيل الثواب من ربه بالعون منه له والنصر عليه ﴿وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك﴾ حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا سفيان عن ليث عن عطاء في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان الواحد لعشرة ثم جعل الواحد باثنين لا ينبغي له أن يفر منهما حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنا أبي قال ثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال جعل على المسلمين على الرجل عشرة من الكفار فقال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فخفف ذلك عنهم فجعل على الرجل رجلان قال ابن عباس فما أحب أن يعلم الناس تخفيف ذلك عنهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق ثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس قال لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ومائة ألفا فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الاخرى فقال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين قال وكانوا اذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم ان يفروا منهم وان كانوا دون ذلك لم يجب عليهم أن يقاتلوا وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان لكل رجل من المسلمين عشرة لا ينبغي له أن يفر منهم فكانوا كذلك حتى أنزل الله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فعلم أن لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين فنسخ الامر الاول وقال مرة أخرى في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فأمر الله الرجل

أن لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى ثم قال (وان يريدوا خيانتك) أى نكث ما بايعوك عليه روى انه صلى الله عليه وسلم لما أطلقهم من الاسر عهد معهم أن لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة المشركين كما هو العادة فيمن يطلق من الحبس والاسر وقيل المراد من الخيانة منع ما ضمنوا من الفداء (فامكن) أى المؤمنين (منهم) يوم بدر قتلا وأسرا فقد اقر اوبال أمرهم فسيمكن المؤمنين منهم مرة أخرى ان أعادوا الخيانة (والله عليم) بأحوالهم (حكيم) فيجازيهم على حسب أعمالهم واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس هناك الى الدين ثم انتقل منها الى المدينة فمن المؤمنين من وافقه فى الهجرة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من لم يوافقه فى ذلك ومنهم من هاجر بعد هجرته فذكر فى خاتمة هذه السورة أحكام هذه الاصناف وأحوالهم مع ذكر أنصاره بالمدينة ومع ذكر الكفار أيضا فقال (ان الذين آمنوا) ويدخل فيه الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والانقياد لجميع التكاليف (وهاجروا) فأرقوا الاوطان وتركوا الاقارب والجيران فى طلب مرضاة الله (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) أما المجاهدة بالاموال فلانهم اذا فارقوا الديار ضاعت مساكنهم ومزارعهم وضياعهم وبقيت فى أيدى الاعداء واحتاجوا الى الانفاق فى تلك العزيمة والسفرة وفى الغزوات والمحاربات وأما المجاهدة بالانفس فيكفى فى وصف ذلك أنهم أقدموا على قتال أهل بدر من غير آلة ولا عدة والاعداء فى غاية الكثرة ونهاية الشدة وذلك يدل على أنهم أزالوا أطماعهم عن الحياة وبذلوا أرواحهم فى سبيل الله وكانوا أول الناس اقداما على هذه الافعال والتزاما لهذه الخصال ولهذه المسابقة أثر عظيم فى تقوية الدين لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وذلك ان غيرهم يقتدى بهم وتقوى دواعيهم بما يرون منهم والمحن تخف على القلوب بالمشاركة ولأن المهاجرين لهم سابقة قدم فى الاسلام ذكر الله

(فقد خانوا الله من قبل) فى كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه من المؤمنين أن يقاتل عشرة من الكفار فشق ذلك على المؤمنين ورحمهم الله فقال ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل رجلين من الكفار **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال الى قوله بأنهم قوم لا يفقهون وذلك أنه كان جعل على كل رجل من المسلمين عشرة من العدو يؤسرهم يعنى يغربهم بذلك ليوطنوا أنفسهم على الغزو وان الله ناصرهم على العدو ولم يكن أمرا عزمه الله عليهم ولا أوجبه ولكن كان تحريضا وصية أمر الله بها نبيه ثم خفف عنهم فقال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فجعل على كل رجل رجلين بعد ذلك تخفيفا لعلم المؤمنون أن الله بهم رحيم فقووا على الله وصبروا وصدقوا ولو كان عليهم واجبا الغزو اذا بعد كل رجل من المسلمين عمن لقى من الكفار اذا كانوا أكثر منهم فلم يقاتلوهم فلا يغرنك قول رجال فانى قد سمعت رجالا يقولون انه لا يصلح لرجل من المسلمين أن يقاتل حتى يكون على كل رجل رجلان وحتى يكون على كل رجلين أربعة ثم بحساب ذلك وزعموا أنهم يعصون الله ان قاتلوا حتى يبلغوا عدة ذلك وانه لا حرج عليهم أن لا يقاتلوا حتى يبلغوا عدة أن يكون على كل رجل رجلان وعلى كل رجلين أربعة وقد قال الله ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد وقال الله فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين فهو التحريض الذى أنزل الله عليهم فى الأنفال فلا يعجزك قائل قد سقطت بين ظهرى أناس كما شاء الله أن يكونوا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن قالا قال فى سورة الانفال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون ثم نسخ فقال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا الى قوله والله مع الصابرين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عكرمة فى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون قال واحد من المسلمين وعشرة من المشركين ثم خفف عنهم فجعل عليهم أن لا يفر رجل من رجلين **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان يكن منكم عشرون صابرون الى قوله وان يكن منكم مائة قال هذا الأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل على الرجل منهم عشرة من الكفار فضجوا من ذلك فجعل على الرجل رجلين تخفيفا من الله **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابراهيم ابن يزيد عن عمرو بن دينار وأبى معبد عن ابن عباس قال انما أمر الرجل أن يصبر نفسه لعشرة والعشرة لمائة اذا المسلمون قليل فلما كثر المسلمون خفف الله عنهم فامر الرجل أن يصبر لرجلين والعشرة للعشرين والمائة للمائتين **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان فرض عليهم اذا لقى عشرون مائتين أن لا يفروا فانهم ان لم يفروا غلبوا ثم خفف الله عنهم وقال ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين فيقول لا ينبغى أن يفر ألف من ألفين فانهم صبروا

تعالى الانصار بعدهم فقال (والذين آووا ونصروا) أى الذين أنزلوا المهاجرين بهم وجعلوا لهم مأوى ونصروهم على أعدائهم (أولئك بعضهم أولياء بعض) أطبق جم غفير من المفسرين كابن عباس وغيره على أن المراد بهذه الولاية الارث كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون القرابة حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض واستبعد الامام فخر الدين الرازى رحمه الله هذا التفسير لانه يستلزم النسخ واستلزام النسخ محذور منه ما أمكن ولان لفظ الولاية يشعر بالقرب حيث يطلق دون الارث كقولهم السلطان ولى من لا ولى له وقال سبحانه ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم فاذن المراد أن المهاجرين والانصار يعظم بعضهم بعضا وينهم معاونة وتناصروا نهم يدا واحدة على الاعداء وأن حب كل واحد لغيره جار مجرى حبه لنفسه أما قوله (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ) فوجهت قراءة حمزة بأن تولى بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كالتجارة والنصارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمرا ويباشر عملا قال المفسرون لا يجوز أن يكون المراد بهذه الولاية النصرة والمعونة والا لم يصح عطف وان استنصروكم عليه لان الشئ لا يعطف على مثله فالمراد بها الارث كما مر وأجيب بانا لو حملناها على التعظيم زال الاشكال وحصل التغاير لان أهل الايمان قد ينصر بعض أهل الذمة فى بعض الاحوال مع أنهم لا يوالونهم بمعنى الاجلال والتعظيم وكذا قد ينصر المرء عبده ولا تعظيم جعل الله تعالى حكم هؤلاء المؤمنين متوسطا بين الاولين وبين الكفرة من حيث انه نفى عنهم الولاية قبل أن يهاجروا وأثبت لهم النصرة عند الاستنصار الا على الكفار المعاهدين لانهم لا يبدؤن بالقتال ثم قال (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات الموالاة بينهم والغرض نهى المسلمين عن موالاتهم وان كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارث بعضهم بعضا وفيه أن المشركين واليهود والنصارى لما اشتركوا فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم صارت هذه الجهة موجبة لانضمام بعضهم الى بعض وقرب بعضهم من بعض وان كان كل واحد منهم فى نهاية الانكار لصاحبه وذلك من أدل الدلائل أن تلك العداوة ليست لاجل

صبروا لهم غلبوهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين جعل الله على كل رجل رجلين بعدما كان على كل رجل عشرة وهذا الحديث عن ابن عباس حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن جرير بن حازم عن الزبير بن الخريت عن عكرمة عن ابن عباس كان فرض على المؤمنين أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا فشق ذلك عليهم فأنزل الله التخفيف فجعل على الرجل أن يقاتل الرجلين قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين خفف الله عنهم ونقصوا من الصبر بقدر ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين يقول يقاتلوا مائتين فكانوا أضعف من ذلك فنسخها الله عنهم فخفف فقال فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فجعل أول مرة الرجل لعشرة ثم جعل الرجل لاثنين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان فرض عليهم اذا لقى عشرون مائتين أن لا يفروا فانهم ان لم يفروا غلبوا ثم خفف الله عنهم فقال ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فيقول لا ينبغى أن يفر ألف من ألفين فانهم ان صبروا لهم غلبوهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن جويبر عن الضحاك قال كان هذا واجبا أن لا يفر واحد من عشرة * وبه قال أخبرنا الثورى عن ليث عن عطاء مثل ذلك وأما قوله بانهم قوم لا يفقهون فقد بينا تأويله وكان ابن اسحق يقول فى ذلك ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بانهم قوم لا يفقهون أى لا يقاتلون على نية ولا حق فيه ولا معرفة لخير ولا شر وهذه الآية أعنى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان كان مخرجها مخرج الخبر فان معناها الأمر يدل على ذلك قوله الآن خفف الله عنكم فلم يكن التخفيف الا بعد التثقيل ولو كان ثبوت العشرة منهم للمائة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندبا لم يكن للتخفيف وجه لأن التخفيف انما هو ترخيص فى ترك الواجد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدو واذا لم يكن التشديد قد كان له متقدما لم يكن للترخيص وجه اذ كان المفهوم من الترخيص انما هو بعد التشديد واذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن حكم قوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ناسخ لحكم قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا وقد بينا فى كتابنا كتاب لطيف البيان عن أصول الاحكام أن كل خبر من الله وعد فيه عباده على عمل ثوابا وجزاء وعلى تركه عقابا وعذابا وان لم يكن خارجا ظاهره مخرج الامر ففى معنى الامر بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع * واختلفت القراء فى قراءة قوله وعلم أن فيكم ضعفا فقرأه بعض المدنيين وبعض البصريين وعلم أن فيكم ضعفا بضم الضاد فى جميع القرآن وتنوين الضعف على المصدر من ضعف الرجل ضعفا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وعلم أن فيكم ضعفا بفتح الضاد على المصدر أيضا من ضعف وقرأه بعض المدنيين ضعفاء على

الدين ولكنها محض الحسد والعناد ومن جعل الولاية في هذه الآيات بمعنى الارث استدل بذلك على أن الكفار في التوارث على اختلاف ملهم كأهل ملة واحدة فالمجوسي يرث الوثني والنصراني يرث المجوسي واليهودي يرث النصراني وبالعكس ثم قال (الا تفعلوه) أي ما أمرتكم به من موالاة المسلمين المهاجرين ومن عدم موالاة غير المهاجرين الا في حالة الاستنصار ومن عدم موالاة الكفرة أصلا (تكن فتنة) أي تحصل مفاسد عظيمة (في الارض) من تفرق الكلمة واختلاط المؤمن بالكافر ووقوع الهرج والمرج ثم كرر تعظيما لشأن المؤمنين وثناء عليهم قوله (والذين آمنوا وهاجروا) الآية فوصفهم بأنهم هم المؤمنون حقا و (لهم مغفرة ورزق كريم) وقد تقدم تفسير مثله في أول السورة والحاصل أن هذه السعادات العالية انما حصلت لهم لانهم أعرضوا عن اللذات الجسمانية فتركوا الاهل والوطن وبذلوا النفس والمال وفيه تنبيه على أنه لا طريق الى تحصيل السعادات الا بالاعراض عن هذه الجسمانيات ثم وصف اللاحقين بالهجرة بعد السابقين اليها فقال (والذين آمنوا من بعد) نقل الواحدي عن ابن عباس أن المراد بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل بعد نزول الآية وقيل بعد يوم بدر والأصح ان المراد والذين هاجروا بعد الهجرة الاولى (فاولئك منكم) ألحقهم بالاولين تشريفا للآخرين وتعظيما لشأن السابقين ولولا كون القسم الاول أشرف لما صح هذا الالحاق ثم ختم الكلام بقوله (وأولو الارحام) أي ذوو القرابات (بعضهم أولى ببعض) أي أحق بهم وأجدر (في كتاب الله) أي في حكمه وقسمته أو في اللوح أو في القرآن وهو آية المواريث وهذه الآية ناسخة عند الأكثرين للتوارث بالهجرة والنصرة أما الذين فسروا تلك الولاية بالنصرة والمحبة والتعظيم فانهم قالوا لما كانت تلك الولاية مخالفة للولاية يقول بسبب الميراث بين الله تعالى في هذه الآية أن ولاية الارث انما تحصل بسبب القرابة فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم أعني ازالة وهم من يجعل الولاية هناك بمعنى الارث وقد تمسك أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية في توريث ذوي الارحام وهم

تقدير فعلاء جمع ضعيف على ضعفاء كما يجمع الشريف شركاء والرحيم رحماء * وأولى القراءة في ذلك بالصواب قراءة من قرأه وعلم أن فيكم ضعفا وضعفا بفتح الضاد أو ضمها لانهما القراءتان المعروفتان وهما لغتان مشهورتان في كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب فأما قراءة من قرأ ذلك ضعفاء فانها عن قراءة القراء شاذة وان كان لها في الصحة مخرج فلا أحب لقارئ القراءة بها * القول في تأويل قوله عز ذكره ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم﴾ يقول تعالى ذكره ما كان لنبي أن يحتبس كافرا قدر عليه وصار في يده من عبدة الاوثان للفداء أو للمن والاسترق كلام العرب الحبس يقال منه مأسور يراد به محبوس ومسموع منهم أناله الله أسرا وانما قال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه أن قتل المشركين الذين أسرهم صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثم فادى بهم كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم واطلاقهم وقوله حتى يثخن في الارض يقول حتى يبالغ في قتل المشركين فيها ويقهرهم غلبة وقسرا يقال منه أثخن فلان في هذا الامر اذا بالغ فيه وحكي أثخنته معرفة بمعنى قتلته معرفة تريدون يقول المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا بأسركم المشركين وهو ما عرض للمرء منهم من مال ومتاع يقول تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطعمها والله يريد الآخرة يقول والله يريد لكم زينة الآخرة وما أعد للمؤمنين وأهل ولايته في جنانه بقتلكم اياهم وانخانكم في الارض يقول لهم واطلبوا ما يريد الله لكم وله اعملوا لا ما تدعوكم اليه أهواء أنفسكم من الرغبة في الدنيا وأسبابها والله عزيز يقول ان أنتم أردتم الآخرة لم يغلبكم عدو لكم لان الله عزيز لا يقهر ولا يغلب وانه حكيم في تدبيره أمر خلقه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض وذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا في الاساري فاما منا بعد وإما فداء فجعل الله النبي والمؤمنين في أمر الأساري بالخيار ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا الآية قال أراد أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الفداء ففادوهم بأربعة آلاف ولعمري ما كان أثخن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وكان أول قتال قاتله المشركين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن حبيب بن أبي عمرة عن مجاهد قال الاثخان القتل **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شريك عن الاعمش عن سعيد بن جبير في قوله ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض قال اذا أسرتموهم فلا تفادوهم حتى تثخنوا فيهم القتل * قال حدثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن مجاهد ما كان لنبي أن تكون له أسرى الآية نزلت الرخصة بعد ان شئت فمن وان شئت ففاد **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك

ذو وقرابة ليست بسبب فرض ولا عصوبة أو كل قريب يخرج عن أصحاب الفروض والعصبات وانهم عشرة أصناف الجد أبو الام وكل جد وجدة ساقطين وأولاد البنات وبنات الاخوة وأولاد الاخوات وبنو الاخوة للام والعم للام وبنات الاعمام والعمات والاخوال والخالات والخلاف في أنه اذا لم يوجد ذو فرض أو عصبة فهل يورث ذوو الارحام أو يوضع المال في بيت المال فقدمهم أبو حنيفة على بيت المال للآية وعكس الشافعي وقال ان الآية محتملة في الشيء الذي حصلت فيه هذه الاولوية فلما قال في كتاب الله كان معناه في الحكم الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الآية مقيدة باحكام آية الميراث فلا تبقى حجة في توريث ذوي الارحام * واعلم انه سبحانه قال في أول الآيات وجاهدوا باموالهم وأنفسهم في سبيل الله وفي براءة بتقديم في سبيل الله لان في هذه السورة تقدم ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله تريدون عرض الدنيا وفي قوله لمسكم فيما أخذتم أي من الفداء وفي قوله فكلوا مما غنمتم وفي براءة تقدم ذكر الجهاد في سبيل الله وهو قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وفي قوله كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ثم انه حذف من الآية الثانية باموالهم وأنفسهم اكتفاء بما في الاولى وحذف من الثالثة في سبيل الله أيضا اكتفاء بما في الآيتين قبلها والله أعلم ثم ختم السورة بقوله (ان الله بكل شيء عليم) والمراد أن هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها محكمة وصواب وصلاح وليس فيها عبث وعبث لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب ونظيره أن الملائكة لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها قال محيبا لهم اني أعلم ما لا تعلمون (التأويل) ما كان لنبي الروح أن يكون له أسرى أي

يقول في قوله ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض يعني الذين أسروا ببدر

حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ما كان لنبي أن تكون له أسرى من عدوه حتى يثخن في الارض أي يثخن عدوه حتى ينفيهم من الارض تريدون عرض الدنيا أي المتاع والفداء بأخذ الرجال والله يريد الآخرة بقتلهم لظهور الدين الذي يريدون اطفاءه الذي به تدرك الآخرة

حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية قال ثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما كان يوم بدر وجيء بالاسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء الاسرى فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم فاضرب أعناقهم وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا قال فقال له العباس قطعت رحمك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال من تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك الآية ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك يا ابن رواحة كمثل موسى قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم عالة فلا ينفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي الحجارة من السماء مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء قال فأنزل الله ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض الى آخر الثلاث الآيات

حدثنا ابن بشار قال ثنا عكرمة بن عمار قال ثنا أبو زميل قال ثني عبد الله بن عباس قال لما أسروا الاسارى يعني يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين أبو بكر وعمر وعلي قال ما ترون في الأسارى فقال أبو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وعسى الله أن يهديهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب فقال لا والذي لا اله الا هو ما أرى الذي رأى أبو بكر يا نبي الله ولكن أرى أن تمكننا منهم فنضرب عنق عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيب لعمر فأضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت قال عمر فلما كان من الغد جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي الذي عرض لأصحابي من أخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل

نفسر بأسوة وقوى موجهة الى تدبير أمور المعاش والدعوة الى الله وان كان تصرفا بالحق للحق حتى يشيع في أرض البشرية قتل القوى والنفوس المتطبعة بسيف الرياضة والمجاهدة ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي يتحنث في غار حراء تريدون عرض الدنيا نفسه اشارة الى أن الانسان اذا وكل الى نفسه وطبعه تكون مائلا الى الدنيا اغماضا فيما هو بدل الآخرة منكم أي ليس الانسان من

سجيته وطبعه أن يميل الى الآخرة انما هو بتوفيق الله اياه وبعنايته الازلية لولا كتاب من الله سبق بان الانسان لا يكون منجذبا بنحو عالم الارواح بالكلية وانما يكون متوسطا بين العالمين مراعيا للطرفين لسكم فيما أخذتم من فداء النفس المأسورة وهو التفاتها الى تدبير البدن عذاب عظيم هو عذاب القطيعة والبعد عن عالم النور فكلوا مما غنمتم من أوقات الجهاد الاكبر من الانوار والاسرار عند رفع الاستار حلالا طيبا نفوسكم عن لوث محبتها فكل ما يشغل المرء عن الالتفات الى الله فهو شرك وصنم واتقوا الله عما سواه ان الله غفور يستر بأنوار وجوده ظلمات وجودكم رحيم بكم حيث يغنيكم عنكم ويبقيكم به يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى من النفوس المأسورة التي أسرت في الجهاد الاكبر عند استيلاء سلطان الذل عليها ان يعلم الله في قلوبكم خيرا من الاطمئنان الى ذكر الله والانقياد لاحكامه يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من اللذات الفانية وأسبابها وذلك هو البقاء الحقيقي والذوق السرمدي وان يريدوا خيانتك يعني الميل الى ما جبلت النفوس عليه من طموح الى الزخارف الدنيوية فقد خانوا الله من قبل بالتجاوز عن حدود الشريعة ورسوم الطريقة فأمكن منهم عند استيلاء الذكر عليها وقتلها بسيف الرياضة والله عليم بأحوالها حكيم فيما دبر من أمر جهادها وتزكيتها والذين آووا وذكر الله ومحبته في القلوب ونصروا المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم أولئك بعضهم أولياء بعض في المرافقة والموافقة في الطلب والسير الى الله والذين آمنوا بأن الطلب حق ولم يهاجروا عن أوصافهم وأفعالهم ووجودهم المجازي وان استنصروكم بمكوا بأذيال ارادة الواصلين منكم فعليكم النصر بأن تدلوهم على أبو طريق الحق بعمالكم وسيركم ليقتدوا بكم وباحوالكم الاعلى قوم أي الاعلى بعض أحوالكم مما صاحلتهم عليه نفوسكم بعد ما جاهدتموها وأسرتموها وأمنتم شرها فلا تدلوا الطلاب على هذه الاحوال لئلا يعملوا الى الصلح في أوان الجهاد فاولئك منكم بشير الى أن

ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض الى قوله حلالا طيبا وأحل الله الغنيمة لهم
(٢) القول في تأويل قوله ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لاهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الاسرى الفداء لولا كتاب من الله سبق يقول لولا قضاء من الله سبق لكم أهل بدر في اللوح المحفوظ بأن الله محل لكم الغنيمة وأن الله قضى فيما قضى انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وأنه لا يعذب أحدا شهد المشهد الذي شهدتموه ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصرا دين الله لنالكم من الله بأخذكم الغنيمة والفداء عذاب عظيم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي قال ثنا عوف عن الحسن في قوله لولا كتاب من الله سبق الآية قال ان الله كان سطع هذه الامة الغنيمة وانهم أخذوا الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤمروا به قال فعاب الله ذلك عليهم ثم أحله الله **حدثنا** محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن في قول الله لولا كتاب من الله سبق الآية وذلك يوم بدر أخذ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المغانم والاسارى قبل أن يؤمروا به وكان الله تبارك وتعالى قد كتب في أم الكتاب المغانم والاسارى حلال لمحمد وأمته ولم يكن أحله لأمة قبلهم وأخذوا المغانم وأسروا الاسارى قبل أن ينزل اليهم في ذلك قال الله لولا كتاب من الله سبق يعني في الكتاب الاول أن المغانم والاسارى حلال لكم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لولا كتاب من الله سبق الآية وكانت الغنائم قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم في الامم اذا أصابوا مغنما جعلوه للقربان وحرم الله عليهم أن يأكلوا منه قليلا أو كثيرا حرم ذلك على كل نبي وعلى أمته فكانوا لا يأكلون منه ولا يغلون منه ولا يأخذون منه قليلا ولا كثيرا الا عذبهم الله عليه وكان الله حرمه عليهم تحريما شديدا فلم يحله لنبي الا لمحمد صلى الله عليه وسلم وكان قد سبق من الله في قضائه ان المغنم له ولامته حلال فذلك قوله يوم بدر في أخذ الفداء من الاسارى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن عروة عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال ان الله كان معطي هذه الامة الغنيمة وفعلوا الذي فعلوا قبل ان تحل الغنيمة **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الاعمش في قوله لولا كتاب من الله سبق قال سبق من الله ان أحل لهم الغنيمة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن بشير بن ميمون قال سمعت سعيدا يحدث عن أبي هريرة قال قرأ هذه الآية لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم قال يعني لولا انه سبق في علمي أني سأحل الغنائم لمسكم فيما أخذتم من الاسارى عذاب عظيم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح وأبو معاوية بنحوه عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحلت الغنائم لاحد سود الرؤس من قبلكم كانت تنزل نار من السماء وتأكلها حتى كان يوم بدر فوقع الناس في الغنائم فانزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم حتى بلغ حلالا طيبا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه قال فلما كان يوم بدر أسرع الناس في الغنائم **حدثنا**

المتأخرين اذا دخلوا في زمرة المتقدمين الواصلين فهم منهم وانهم ذوو رحم الوصول لانه ليس عند الله صباح ولا مساء ولهذا قال عليه الصلاة والسلام أمتي كالمطر لا يدرى أولهم خير أم آخرهم

أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن عبيدة قال أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء فتقووا به على عدوكم وان قبلتموه قتل منكم سبعون أو تقتلوهم فقالوا بل نأخذ الفدية منهم ويقتل منهم سبعون قال عبيدة وطلبوا الخيرتين كلتيهما **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن ابن سيرين عن عبيدة قال كان فداء أساري بدر مائة أوقية والأوقية أربعون درهما ومن الدنانير ستة دنانير **حدثنا** أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة أنه قال في أساري بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فتستمتع به ويستشهد منا بعدتهم **حدثني** أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا همام بن يحيى قال ثنا عطاء عن السائب عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال أمر عمر رضي الله عنه بقتل الاساري فأنزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله لولا كتاب من الله سبق قال كان المغنم محرما على كل نبي وأمته وكانوا اذا غنموا يجعلون المغنم لله قربانا تأكله النار وكان سبق في قضاء الله وعلمه ان يحل المغنم لهذه الامة يأكلونه في بطونهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء في قول الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم قال كان في علم الله ان تحل لهم الغنائم فقال لولا كتاب من الله سبق بانه أحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم * وقال آخرون معنى ذلك لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أن لا يعذبهم لمسهم عذاب عظيم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبو أحمد الزبيري عن شريك عن سالم عن سعيد لولا كتاب من الله سبق قال لاهل بدر من السعادة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر مشهدهم **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال سبق من الله خير لاهل بدر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم كان سبق لهم من الله خير وأحل لهم الغنائم **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال سبق أن لا يعذب أحدا من أهل بدر **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر ومشهدهم اياه **حدثني** يونس قال أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم لمسكم فيما أخذتم من الغنائم يوم بدر قبل أن أحلها لكم فقال سبق من الله العفو عنهم والرحمة لهم سبق أنه لا يعذب المؤمنين لانه لا يعذب رسوله ومن آمن به وهاجر معه ونصره * وقال آخرون معنى ذلك لولا كتاب من الله سبق أن لا يؤاخذ أحدا بفعل أتاه على جهالة لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر ومشهدهم اياه قال كتاب

* (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم

ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ۝ القراآت ورسوله بالنصب روح وزيد الباقون بالرفع أئمة بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة الباقون أئمة بهمز (٣٤) ثم ياء لا ايمان بكسر الهمزة ابن عامر الباقون بالفتح جميعين يعملون بياء الغيبة عباس ۝ الوقوف من المشركين ط معجزي الله لا للعطف الكافرين ○ من المشركين لا للعطف ورسوله ط لكم ج لابتداء الشرط مع الواو معجزي الله ط أليم ○ لا للاستثناء مدتهم ط المتقين ○ مرصد ج سبيلهم ط رحيم ○ مأمنه ط لا يعلمون ○ المسجد الحرام ج لان ما للجزاء مع اتصالها بالفاء فاستقيموا لهم ط المتقين ○ ولا ذمة ط قلوبهم ج فاسقون ○ ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا يعملون ○ ولا ذمة ط المعتدون ○ في الدين ط يعلمون ○ أئمة الكفر لا لتعلق لعلهم بقوله فقاتلوا وما بينهما اعتراض ينتهون ○ أول مرة ط أتخشونهم ج لان ما بعده مبتدأ مع الفاء مؤمنين ○ مؤمنين ○ لا للعطف قلوبهم ط من يشاء ط حكيم ○ وليجة ط تعملون ○ ۝ التفسير قد عد في الكشاف من أسماء هذه السورة براءة وذلك واضح والتوبة لان فيها ذكر التوبة على المؤمنين والمقشقشة لانها تقشقش من النفاق أي تبرئ منه والمبعثرة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة لانها تبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة أنكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت أحدا الا نالت منه وعن ابن عباس ما زالت لكم تقول ومنهم حتى حسبنا أن لا تدع أحدا والعلماء خلاف في سبب اسقاط التسمية من أولها فعن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان في ذلك فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها في موضع كذا وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وتوفي رسول

سبق لقوله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون سبق ذلك "وسبق أن لا يؤاخذ قوما فعلوا شيأ بجهالة لمسكم فيما أخذتم قال ابن جريج قال ابن عباس فيما أخذتم مما أسرتم ثم قال بعد فكلوا مما غنمتم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال عاتبه في الاساري وأخذ الغنائم ولم يكن أحد قبله من الانبياء يأكل مغنما من عدوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد قال ثني أبو سلمة عن محمد قال ثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأعطيت جوامع الكلم وأحلت لي المغانم ولم تحل لنبي كان قبلي وأعطيت الشفاعة خمس لم يؤتهن نبي كان قبلي قال محمد فقال ما كان لنبي أي قبلك أن يكون له أسرى الى قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم أي من الاساري والمغانم عذاب عظيم أي لولا أنه سبق مني أن لا أعذب الا بعد النهي ولم أكن نهيتكم لعذبتكم فيما صنعتم ثم أحلها له ولهم رحمة ونعمة وعائدة من الرحمن الرحيم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ما قد بيناه قبل وذلك أن قوله لولا كتاب من الله سبق خبر عام غير محصور على معنى دون معنى وكل هذه المعاني التي ذكرتها عمن ذكرت مما قد سبق في كتاب الله أنه لا يؤاخذ بشيء منها هذه الامة وذلك ما عملوا من عمل بجهالة واحلال الغنيمة والمغفرة لأهل بدر وكل ذلك مما كتب لهم واذ كان ذلك كذلك فلا وجه لأن يخص من ذلك معنى دون معنى وقد عم الله الخبر بكل ذلك بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لم يكن من المؤمنين أحد ممن نصر الا أحب الغنائم الا عمر بن الخطاب جعل لا يلقى أسيرا الا ضرب عنقه وقال يا رسول الله ما لنا والغنائم نحن قوم نجاهد في دين الله حتى يعبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو عذبنا في هذا الامر يا عمر ما نجا غيرك قال الله لا تعودوا تستحلون قبل أن أحل لكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق لما نزلت لولا كتاب من الله سبق الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه الا سعد بن معاذ لقوله يا نبي الله كان الاثخان في القتل أحب الى من استبقاء الرجال ۝ القول في تأويل قوله ﴿فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أهل بدر فكلوا أيها المؤمنون مما غنمتم من أموال المشركين حلالا لا حلالا لكم طيبا واتقوا الله يقول وخافوا الله أن تعودوا أن تفعلوا في دينكم شيأ بعد هذه من قبل أن يعهد فيه اليكم كما فعلتم في أخذ الفداء وأكل الغنيمة وأخذتموهما من قبل أن يحلا لكم ان الله غفور رحيم وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم وتأويل الكلام فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ان الله غفور رحيم واتقوا الله ويعني بقوله ان الله غفور لذنوب أهل الايمان من عباده رحيم بهم أن يعاقبهم بعد توبتهم منها ۝ القول في تأويل قوله ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي قل لمن في يديك وفي يدي أصحابك من أسرى المشركين الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذ ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يقول ان يعلم الله في قلوبكم اسلاما يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء ويغفر لكم يقول ويصفح لكم

الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين موضعها وكانت قصتها شبيهة بقصة الأنفال فقرنت بينهما وكأنه أراد بالمشابهة ماروى عن أبي بن كعب ان فى الانفال ذكر العهود وفى براءة نبذ العهود فوضعت احداهما بجنب الاخرى واستبعد جمع من العلماء هذا القول لانا لو جوزنا فى بعض السور أن لا يكون ترتيبها من الله على سبيل الوحى لجوزنا مثله فى سائر السور وفى آيات السورة الواحدة وذلك يفضى الى تجويز الزيادة والنقصان فى القرآن على ما يقول به الامامية * وقال بعض العلماء ان الصحابة اختلفوا فى أن الانفال مع التوبة سورتان أم سورة واحدة لانهما مائتان وست آيات فهما بمنزلة احدى الطوال وكلتاهما وردت فى القتال والمغازى فلكان هذا الاختلاف فرجوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم تكتب البسملة تنبيها على قول من يرى أنهما واحدة فعملوا عملا يدل على أن هذا الاشتباه حاصل وفيه أنهم لما لم يسامحوا بهذا القدر من الشبهة دل على انهم كانوا متشددين فى ضبط الدين وحفظ القرآن من التغيير والتحريف وذلك يبطل قول الامامية وفيه دليل على أن البسملة آية من كل سورة والاجازت كتابتها ههنا بل عند كل مقطع كلام وعن ابن عباس سألت على بن أبى طالب رضى الله عنه عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن الرحيم أمان وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهود وذكر سفيان بن عيينة هذا المعنى وأكده بقوله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا فقيل له أليس أن النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم فاجاب بان ذلك ابتداء منه يدعوهم الى الله ولم ينبذ اليهم عهدهم ولهذا قال فى آخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى وعما

لكم عن عقوبة جرمكم الذى اجترمتموه بقتالكم نبى الله وأصحابه وكفركم بالله والله غفور لذنوب عباده اذا تابوا رحيم بهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة وذكر أن العباس بن عبد المطلب كان يقول فى نزلت هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبى اسحق عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال قال العباس فى نزلت ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض فأخبرت النبى صلى الله عليه وسلم باسلامى وسألته أن يحاسبنى بالعشرين الاوقية التى أخذ منى فأبى فأبدلنى الله بها عشرين عبدا كلهم تاجر مالى فى يديه وقد حدثنا بهذا الحديث ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد ثنى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رياب قال كان العباس بن عبد المطلب يقول فى والله نزلت حين ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسلامى ثم ذكر نحو حديث ابن وكيع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل لمن فى أيديكم من الاسرى الآية قال ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا وقد توضأ لصلاة الظهر فما أعطى يومئذ شيأ كيلا ولا حرم سائلا وما صلى يومئذ حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه ويحثى فأخذ قال وكان العباس يقول هذا خير مما أخذ منا وأرجو المغفرة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى الآية وكان العباس أسر يوم بدر فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب فقال العباس حين نزلت هذه الآية لقد أعطانى الله خصلتين ما أحب أن لى بهما الدنيا انى أسرت يوم بدر ففديت نفسى بأربعين أوقية فاتانى أربعين عبدا وأنا أرجو المغفرة التى وعدنا الله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى الى قوله والله غفور رحيم يعنى بذلك من أسر يوم بدر يقول ان علمتم بطاعتى ونصحتم لرسولى آتيتكم خيرا مما أخذ منكم وغفرت لكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى عباس وأصحابه قال قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم آمنا بما جئت به ونشهد انك لرسول الله لنمنحن لك على قومنا فنزل ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم اعمانا وتصديقا يخلف لكم خيرا مما أصيب منكم ويغفر لكم الشرك الذى كنتم عليه قال فكان العباس يقول ما أحب أن هذه الآية نزلت فينا وان لى الدنيا لقد قال يؤتكم خيرا مما أخذ منكم فقد أعطانى خيرا مما أخذ منى مائة ضعف وقال يغفر لكم وأرجو أن يكون قد غفر لى حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليم من قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى الآية يعنى العباس وأصحابه أسروا يوم بدر يقول الله ان علمتم بطاعتى ونصحتم لى ولرسولى أعطيتكم خيرا مما أخذ منكم وغفرت لكم وكان العباس ابن عبد المطلب يقول لقد أعطانا الله خصلتين ما شيء هو أفضل منهما عشرين عبدا وأما الثانية فنحن فى موعود الصادق ننتظر المغفرة من الله سبحانه ﴿القول فى تأويل قوله ﴿وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وان يرد

يؤكد شبهة من زعم أنهما سورة واحدة هو أن ختم الانفال وقع بايجاب أن يوالى المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية وقوله براءة من الله ورسوله تأكيد لذلك الكلام وتقرير له ومعنى البراءة انقطاع العصمة وهى خبر مبتدا محذوف ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف لا بالبراءة لفساد المعنى والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز أن يكون

براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها وهي الجار والمجرور كما قلنا والخبر محذوف كما ذكرنا نظيره قولك رجل من بني تميم في الدار كان قد أذن الله في معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله النبذ اليهم وكأنه قيل للمسلمين اعلموا أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين روى أنهم كانوا عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا أن يسيحوا في الارض أربعة أشهر آمنين أين ساروا والاشهر هي الحرم لقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم والسياحة الضرب في الارض والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة مع الاقلال من الطعام والشراب ومنه يقال للصائم سائح لتركه المطعم والمشرب والمعنى في هذا الامر اباحة الذهاب مع الامان وازالة الخوف روى أن فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى عتاب بن أسيد الوقوف بالناس في الموسم فاجتمع في تلك السنة في المواقف ومعالم الحج المسلمون والمشركون ونزلت هذه السورة سنة تسع وكان قد أمر فيها أبا بكر على الموسم فلما نزلت السورة أتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروى أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد لا يبلغ رسالتك الا رجل منك فأرسل عليا فرجع أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أشئ نزل من السماء قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلي ينادي بالآي فلما كان قبل بعضهم التروية خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا اعما اذا فقر أعليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال أمرت باربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف

هؤلاء الاسارى الذين في أيديكم خيانتك أي الغدر بك والمكر والخداع باظهارهم لك بالقول خلاف ما في نفوسهم فقد خانوا الله من قبل يقول فقد خالفوا أمر الله من قبل وقعة بدر وأمكن منهم ببدر المؤمنين والله عليم بما يقولون بألسنتهم و يضمرونه في نفوسهم حكيم في تدبيرهم وتدبير أمور خلقه سواهم * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس وان يريدوا خيانتك يعني العباس وأصحابه في قولهم آمنا بما جئت به ونشهد أنك رسول الله لنتصحن لك على قومنا يقول ان كان قولهم خيانة فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم يقول قد كفروا وقاتلوك فأمكنك الله منهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان يريدوا خيانتك الآية قال ذكر لنا أن رجلا كتب لنبي الله صلى الله عليه وسلم ثم عمد فنافق فلحق بالمشركين بمكة ثم قال ما كان محمد يكتب الا ما شئت فلما سمع ذلك رجل من الانصار نذر لئن أمكنه الله منه ليضربنه بالسيف فلما كان يوم الفتح أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا عبد الله بن سعد بن أبي سرح ومقيس بن ضبابة وابن خطل وامرأة كانت تدعو على النبي صلى الله عليه وسلم كل صباح فجاء عثمان بابن أبي سرح وكان رضيعه أو أخاه من الرضاعة فقال يا رسول الله هذا فلان أقبل تائبا نادما فأعرض نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع به الأنصاري أقبل متقلدا سيفه فأطاف به وجعل ينظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يومئ اليه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم يده فبايعه فقال أما والله لقد تلومتك فيه لتوفي بنذرك فقال يا نبي الله اني هبتك فلولا أومضت الى فقال انه لا ينبغي لنبي أن يومض حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم يقول قد كفروا بالله ونقضوا عهده فأمكن منهم ببدر ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين صدقوا الله ورسوله وهاجروا يعني هجروا قومهم وعشيرتهم ودورهم يعني تركوهم وخرجوا عنهم وهجرهم قومهم وعشيرتهم وجاهدوا في سبيل الله يقول بالغوا في اتعاب نفوسهم وانصابها في حرب أعداء الله من الكفار في سبيل الله يقول في دين الله الذي جعله طريقا الى رحمته والنجاة من عذابه والذين آووا ونصروا يقول والذين آووا رسول الله والمهاجرين معه يعني أنهم جعلوا لهم مأوى يأوون اليه وهو المثوى والمسكن يقول أسكنوهم وجعلوا لهم من منازلهم مساكن اذ أخرجهم قومهم من منازلهم ونصروا يقول ونصروهم على أعدائهم وأعداء الله من المشركين أولئك بعضهم أولياء بعض يقول هاتان الفرقتان يعني المهاجرين والانصار بعضهم أنصار بعض وأعوان على من سواهم من المشركين وأيديهم واحدة على من كفر بالله وبعضهم اخوان لبعض دون أقربائهم الكفار وقد قيل انما عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض دون الله ورث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة دون القرابة والارحام وان الله نسخ ذلك بعد بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك

بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا اليه العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد الا الطعن بالرماح وضرب بالسيوف * استدلت الامامية بهذه القصة على تفضيل على كرم الله وجهه وعلى تقديمه وأجاب أهل السنة بأنه أمر أبا بكر على الموسم وبعث عليا خلفه لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلى على خلف أبى بكر ويكون ذلك جاريا مجرى التنبيه على امامة أبى بكر وأما قوله لا يبلغ عنى الا رجل منى فذلك لان المتعارف بين العرب أنه اذا عقد السيد الكبير منهم لقوم حلفا أو عاهد عهدا لم يحل ذلك العهد الا هو أو رجل من ذوى قرابته كأخ أو عم فلو تولاه أبو بكر لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا فى نقض العهد فأزيلت علتهم بتولية ذلك عليا وقيل لما أحضر أبا بكر لتولية أمر الموسم أحضر عليا لهذا التبليغ تطييبا للقلوب ورعاية للجوانب * ولنرجع الى التفسير قال ابن الانبارى فى الكلام اضمار والتقدير فقل لهم سيحوا ويكون ذلك رجوعا من الغيبة الى الحضور كقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء واختلفوا فى الاشهر الاربعة فعن الزهرى أن براءة نزلت فى شوال والمراد شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفرور بيع الاول وعشر من ربيع الآخر وكانت حراما لانهم أمنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو سميت حراما على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل ابتداء المدة من عشر ذى القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى ذلك الوقت للنسىء الذى كان

بعضهم أولياء بعض يعنى فى الميراث جعل الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوى الارحام قال الله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا يقول ما لكم من ميراثهم من شئ وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله هذه الآية وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله فى الميراث فنسخت التى قبلها وصار الميراث لذوى الارحام **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله يقول لا هجرة بعد الفتح انما هو الشهادة بعد ذلك والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض الى قوله حتى يهاجروا وذلك أن المؤمنين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاث منازل منهم المؤمن المهاجر المبين لقومه فى الهجرة خرج الى قوم مؤمنين فى ديارهم وعقارهم وأموالهم وفى قوله آووا ونصروا وأعلنوا ما أعلن أهل الهجرة وشهروا السيوف على من كذب وجحد فهذان مؤمنان جعل الله بعضهم أولياء بعض فكانوا يتوارثون بينهم اذا توفى المؤمن المهاجر ورثه الانصارى بالولاية فى الدين وكان الذى آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل انه لم يهاجر ولم ينصر فبرأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم وهى الولاية التى قال الله ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وكان حقا على المؤمنين الذين آووا ونصروا اذا استنصروهم فى الدين أن ينصروهم ان قاتلوا الا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم ميثاق فلا نصر لهم عليهم الا على العدو الذين لا ميثاق لهم ثم أنزل الله بعد ذلك أن ألحق كل ذى رحم برحمه من المؤمنين الذين هاجروا والذين آمنوا ولم يهاجروا فجعل لكل انسان من المؤمنين نصيبا مفروضا بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم وبقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الثلاث الآيات خواتيم الانفال فهن ذكر ما كان من ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مهاجرى المسلمين وبين الانصار فى الميراث ثم نسخ ذلك آخرها وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا الى قوله بما تعملون بصير قال بلغنا أنها كانت فى الميراث لا يتوارث المؤمنون الذين هاجروا والمؤمنون الذين لم يهاجروا قال ثم نزل بعد وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم فتوارثوا ولم يهاجروا قال ابن جريج قال مجاهد خواتيم الانفال الثلاث الآيات فهن ذكر ما كان والى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين المسلمين وبين الانصار فى الميراث ثم نسخ ذلك آخرها وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا الى قوله ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا قال لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة والاعرابى المسلم لا يرث من المهاجر شيأ فنسخ ذلك بعد ذلك قول الله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا أى من أهل الشرك فأجيزت الوصية ولا ميراث لهم وصارت المواريث بالملل والمسلمون يرث بعضهم بعضا

فهم ثم صار فى السنة الثانية فى ذى الحجة قال المفسرون هذا تأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده أكثر من أربعة أشهر حطت الى أربعة ومن كانت مدته أقل رفعت اليها والمقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا فى أنفسهم ويحتاطوا فى الامر ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه المدة الا أحد أمور ثلاثة الاسلام أو قبول الجزية أو السيف فيصير ذلك حاملا لهم على قبول الاسلام ظاهرا والى هذا المعنى أشار بقوله

(واعلموا أنكم غير معجزي الله) أي اعلموا أن هذا الامهال ليس لعجز ولكن لمصلحة واطف ليتوب من تاب وفيه ضرب من التهديد كأنه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما أمكنكم من اعداد الآلات والادوات فانكم لا تفوتون الله وهو مخزيكم أي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب وقوله (مخزي الكافرين) من باب الالتفات من الحضور الى الغيبة ومن وضع الظاهر موضع المضمر ليكون فيه اشارة الى ان سبب الاخزاء هو الكفر ثم أراد أن يعلم جميع الناس البراءة المذكورة فقال (وأذان) وارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها وخطئ الزجاج في قوله انه معطوف على براءة لانه لو عطف عليها لكان هو أيضا مخبرا عنه بالخبر الاول وهو الى الذين عاهدتم لكنه غير مقصود بل المقصود الاخبار عنه بقوله (الى الناس) والاذان اسم بمعنى الايذان الاعلام كالامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء ومنه أذان الصلاة أمر الله تعالى بهذا الاعلام (يوم الحج الاكبر) وهو الجمع الاعظم الذي حضر فيه المؤمن والمشرك والمعاهد والناكث وغير الناكث ليصل الخبر الى جميع الأطراف ويشتهر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يحج في السنة الآتية فأمر باظهار هذه البراءة لئلا يحضر الموقف غير المؤمنين الموحدين وقيل يوم الحج الاكبر يوم عرفة لان فيه أعظم أعمال الحج وهو الوقوف بعرفة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وهو قول عمر وسعيد بن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد واحدى الروايتين عن علي عليه السلام وابن عباس ورواية المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فقال أما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن عباس في رواية عطاء هو يوم النحر ووافقه عمين قول الشعبي والنخعي والسدي والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير وذلك أن معظم أفعال الحج من الطواف والحلق والرمي والنحر يقع فيه ومثله ما روى عن علي رضي الله عنه أن رجلا أخذ بلجام دابته فقال ما يوم الحج الاكبر فقال يومك هذا خل عن دابتي يعني يوم النحر

من المهاجرين والمؤمنين ولا يرث أهل ملتين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسن عن يزيد عن عكرمة والحسن قالا ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله الى قوله ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا كان الاعرابي لا يرث المهاجر ولا يرثه المهاجر فنسخها فقال وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شئ عليم **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض في الميراث والذين آمنوا ولم يهاجروا وهؤلاء الاعراب ما لكم من ولايتهم من شئ في الميراث وان استنصروكم في الدين يقول بانهم مسلمون فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والذين كفروا بعضهم أولياء بعض في الميراث والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم الذين توارثوا على الهجرة في كتاب الله ثم نسختها الفرائض والمواريث فتوارث الاعراب والمهاجرون ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير﴾ يعني بقوله تعالى ذكره والذين آمنوا الذين صدقوا بالله ورسوله ولم يهاجروا قومهم الكفار ولم يفارقوا دار الكفر الى دار الاسلام ما لكم أيها المؤمنون بالله ورسوله المهاجرون قومهم المشركين وأرض الحرب من ولايتهم يعني من نصرتهم وميراثهم وقد ذكرت قول بعض من قال معنى الولاية ههنا الميراث وسأذكر ان شاء الله من حضرني ذكره بعد من شئ حتى يهاجروا قومهم ودورهم من دار الحرب الى دار الاسلام وان استنصروكم في الدين يقول ان استنصركم هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا في الدين يعني بانهم من أهل دينكم على أعدائكم واعدائهم من المشركين فعليكم أيها المؤمنون من المهاجرين والانصار النصر الا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق يعني عهد قد وثق به بعضكم على بعض أن لا يحاربه والله بما تعملون بصير يقول والله بما تعملون فيما أمركم ونهاكم من ولاية بعضكم بعضا أيها المهاجرون والانصار وترك ولاية من آمن ولم يهاجر ونصرتكم اياهم عند استنصارهم في الدين وغير ذلك من فرائض الله التي فرضها عليكم بصير براه وبيصره فلا يخفى عليه من ذلك ولا من غيره شئ **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا قال كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم فكانوا يتوارثون بالاسلام والهجرة وكان الرجل يسلم ولا يهاجر لا يرث أخاه فنسخ ذلك قوله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين **حدثنا** محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ على رجل دخل في الاسلام فقال تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان وأنك لا ترى نار مشرك الا وأنت حرب **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وان استنصروكم في الدين يعني ان استنصركم الاعراب المسلمون أيها المهاجرون والانصار على عدوهم فعليكم أن تنصروهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج

وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر أيام منى كلها وهو قول سفيان الثورى وكان يقول يوم الحج الاكبر أيامه كلها كيوم صفين ويوم الجمل يراد به الحين والزمان لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أياما كثيرة وعلى هذا فقد وصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وقيل الحج الاكبر القران والاصغر الافراد عن مجاهد أيضا هذا وقد حذفت الباء التى هى صلة الاذان تخفيفا والتقدير (أن الله برىء من المشركين) وقوله (ورسوله) بالرفع مبتدأ محذوف الخبر أى ورسوله أيضا كذلك أو هو معطوف على المنوى فى برىء أى برىء هو ورسوله وجاز العطف من غير تأكيد بالمنفصل للفصل وقرئ بالجر على الجوار أو على أن الواو للقسم كقوله سبحانه لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون والفرق بين قوله براءة من الله وبين قوله أن الله برىء أن المقصود من الكلام الاول هو الاخبار بثبوت البراءة والمقصود من هذا الثانى اعلام جميع الناس بما حصل وثبت وأيضا المراد بالاول البراءة من العهد وبالثانى البراءة التى هى نقيض الموالاة ولهذا لم يصف المشركين ثانيا بوصف معين كالمعاهدة تنبيها على أن الموجب لهذه البراءة هو كفرهم وشركهم ولهذا أتبعه قوله (فان تبتم) أى عن الشرك (فهو خير لكم) وفيه ترغيب فى التوبة والاقلاع الموجب لزوال البراءة (وان توليتم) أعرضتم عن التوبة أو بقيتم على التولى والاعراض عن الايمان والوفاء (فاعلموا أنكم غير) ثابتين اخذ الله وعقابه قال بعض العلماء قوله سبحانه فاعلموا أنكم غير معجزى الله ليس بتكرار لان الاول للامكان والثانى للزمان (وبشر) يا محمد أو يا من له أهلية الخطاب وفيه من التهكم والتهديد ما فيه كيلا يظن أن عذاب الدنيا لو فات وزال خلصوا من العذاب بل العذاب الشديد معد لهم يوم القيامة أما قوله (الا الذين) فقد قال الزجاج ان الاستثناء يعود الى قوله براءة والتقدير براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوا العهد وقال فى الكشاف وجهه أن يكون مستثنى

عن ابن جريج قال قال ابن عباس ترك النبى صلى الله عليه وسلم الناس يوم توفى على أربع منازل مؤمن مهاجر والانصار واعرابى مؤمن لم يهاجر ان استنصره النبى صلى الله عليه وسلم نصره وان تركه فهو اذن له وان استنصر النبى صلى الله عليه وسلم فى الدين كان حقا عليه أن ينصره فذلك قوله وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر والرابعة التابعون باحسان حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان الذين آمنوا وهاجروا الى آخر السورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وترك الناس على أربع منازل مؤمن مهاجر ومسلم أعرابى والذين آووا ونصروا والتابعون باحسان ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير﴾ يقول تعالى ذكره والذين كفروا بالله ورسوله بعضهم أولياء بعض يقول بعضهم أعوان بعض وأنصاره وأحق به من المؤمنين بالله ورسوله وقد ذكرنا قول من قال عنى بيان أن بعضهم أحق بميراث بعض من قراباتهم من المؤمنين وسنذكر بقيته من حضر ذكره حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك قال قال رجل نورث أرحامنا من المشركين فنزلت والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الآية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير نزلت فى مواريث مشركى أهل العهد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا الى قوله وفساد كبير قال كان المؤمن المهاجر والمؤمن الذى ليس مهاجرا لا يتوارثان وان كانا أخوين مؤمنين قال وذلك لان هذا الدين كان بهذا البلد قليلا حتى كان يوم الفتح فلما كان يوم الفتح وانقطعت الهجرة توارثوا حيثما كانوا بالارحام وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقرأ وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله * وقال آخرون معنى ذلك ان الكفار بعضهم أنصار بعض وانه لا يكون مؤمنا من كان مقيما بدار الحرب ولم يهاجر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض قال كان ينزل الرجل بين المسلمين والمشركين فيقول ان ظهر هؤلاء كنت معهم وان ظهر هؤلاء كنت معهم فأبى الله عليهم ذلك وأنزل الله فى ذلك فلا تراءى نار مسلم ونار مشرك الا صاحب جزية مقرا بالخراج حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حض الله المؤمنين على التواصل لجعل المهاجرين والانصار أهل ولاية فى الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض * وأما قوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه الا تفعلوا أيها المؤمنون ما أمرتم به من موارثة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة والانصار بالايمان دون أقربائهم من أعراب المسلمين ودون الكفار تكن فتنة يقول يحدث بلاء فى الارض بسبب ذلك وفساد كبير يعنى ومعاصى الله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض

من قوله فسيحوا فى الارض لان الكلام خطاب للمسلمين والتقدير فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فأتموا اليهم عهدهم وقيل استثناء من قوله الى الذين عاهدتم ومعنى (لم ينقصوكم شيأ) لم يقتلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط ومعنى (لم يظاهروا) لم يعاونوا أى لم يقدموا على المحاربة بانفسهم ولم يهيجوا أقواما آخرين وقرئ ينقضوكم بالضاد المعجمة أى لم ينقضوا عهدكم ومعنى (فأتموا اليهم) أدوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقى لحى من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتم اليهم عهدهم ثم ختم الآية بقوله (ان الله يحب المتقين) يعنى أن قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين ولا يجعل الوفى كالغادر ومن جملة الغادرين بنو بكر عدوا على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشد

لاهم انى ناشد محمدا *
حلف أبينا وأبيك الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا *
ونقضوا ذماءك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا *
وقتلونا ركعا وسجدا

فقال صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم أنصركم ومعنى ناشد محمدا أذكره الحلف والعهد لانه كان بين أبيه عبد المطلب وبين خزاعة حلف قديم والأتلد الأقدم ثم بين حكم انقضاء أجل الناكثين فقال (فاذا انسلخ الأشهر الحرم) أى التى أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا وانسلاخ الشهر تكامله جزأ فجزأ الى أن ينقضى كانسلاخ الجلد عما يحويه شبه خروج المتزمن عن زمانه بانفصال الممكن عن مكانه فكلاهما ظرف (فاقتلوا المشركين) يعنى الناقضين (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم وفى أى وقت كان (وخذوهم) وأسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم) بالله. امنعوهم من التصرف فى البلاد وقيدوهم وقال ابن عباس حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد) أى فى كل ممر ومجاز فرقبوهم هنالك وانتصابه على الظرف كما مر فى قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة)

وفساد كبير الا تفعلوا هذا تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون تكن فتنة فى الارض وفساد كبير قال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الايمان الا بالهجرة ولا يجعلونهم منهم الا بالهجرة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض يعنى فى الميراث الا تفعلوه يقول الا تأخذوا فى الميراث بما أمرتكم به تكن فتنة فى الارض وفساد كبير * وقال آخرون معنى ذلك الا تناصروا أيها المؤمنون فى الدين تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال جعل المهاجرين والانصار أهل ولاية فى الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ثم قال الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ان يتول المؤمن الكافر دون المؤمن ثم رد المواريث الى الارحام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير قال الا تعاونوا وتناصروا فى الدين تكن فتنة فى الارض وفساد كبير * قال أبو جعفر وأولى التأويلين بتأويل قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض قول من قال معناه أن بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين وأنه دلالة على تحريم الله على المؤمن المقام فى دار الحرب وترك الهجرة لان المعروف فى كلام العرب من معنى الولى أنه النصير والمعين أو ابن العم والنسيب فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه الا بمعنى أنه يليه فى القيام بارثه من بعده وذلك معنى بعيد وان كان قد يحتمله الكلام وتوجيهه معنى كلام الله الى الاظهر الاشهر أولى من توجيهه الى خلاف ذلك واذ كان ذلك كذلك فبين أن أولى التأويلين بقوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير تأويل من قال الا تفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين تكن فتنة فى الارض اذ كان مبتدأ الآية من قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله بالحث على الموالاة على الدين والتناصر جاء وكذلك الواجب أن يكون خاتمتها به ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم﴾ يقول تعالى ذكره والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه ونصروهم ونصروا دين الله أولئك هم أهل الايمان بالله ورسوله حقا لا من آمن ولم يهاجر دار الشرك وأقام بين أظهر أهل الشرك ولم يغزم المسلمين عدوهم لهم مغفرة يقول لهم ستر من الله على ذنوبهم يعفوه لهم عنها ورزق كريم يقول لهم فى الجنة طعم ومشرب هنئ كريم لا يتغير فى أجوافهم فيصير نجوا ولكنه يصير رشحا كرشح المسك وهذه الآية تنبئ عن صحة ما قلنا ان معنى قول الله بعضهم أولياء بعض فى هذه الآية وقوله ما لكم من ولايتهم من شئ انما هو النصرة والمعونة دون الميراث لانه جل ثناؤه عقب ذلك بالثناء على المهاجرين والانصار والخبر عما لهم عنده دون من لم يهاجر بقوله والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا الآية ولو كان مرادا بالآيات قبل ذلك الدلالة على حكم ميراثهم لم يكن عقيب ذلك الا الحث على مضى الميراث على ما أمر وفى صحة ذلك الدليل الواضح على أن لا ناسخ فى هذه الآيات لشئ ولا منسوخ ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ يقول تعالى ذكره والذين آمنوا

ان حصلوا على شروطها (فخلوا سبيلهم) المراد من التخلية الكف عنهم واطلاقهم من الاسر والحصر عن البيت الحرام أو عن التصرف في مهماتهم (ان الله غفور رحيم) يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر قال الشافعي انه تعالى أباح دماء الكفار بجميع الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر واقامة الصلاة وايتاء (٤١) الزكاة فما لم يوجد أحد هذه الامور لم يوجد

بالله ورسوله من بعد تبياني ما بينت من ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا وانقطاع ولايتهم ممن آمن ولم يهاجر حتى يهاجروا ويدار الكفر الى دار الاسلام وجاهدوا معكم أيها المؤمنون فاولئك منكم في الولاية يجب عليكم لهم من الحق والنصرة في الدين والموارثة مثل الذي يجب لكم عليهم ولبعضكم على بعض كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم رد المواريث الى الارحام التي بينهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله أي في الميراث ان الله بكل شئ عليم

القول في تأويل قوله ﴿ وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شئ عليم ﴾

يقول تعالى ذكره والمتناسبون بالارحام بعضهم أولى ببعض في الميراث اذا كانوا ممن قسم الله له منه نصيبا وحظا من الحليف والولي في كتاب الله يقول في حكم الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ والسابق من القضاء ان الله بكل شئ عليم يقول ان الله عالم بما يصلح عباده في توريثه بعضهم من بعض في القرابة والنسب دون الحلف بالعقد وبغير ذلك من الامور كلها لا يخفى عليه شئ منها * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمان قال ثنا أبي قال ثنا قتادة انه قال كان لا يرث الاعرابي المهاجر حتى أنزل الله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن معاذ قال ثنا ابن عون عن عيسى بن الحرث أن أخاه شريح بن الحرث كانت له سرية فولدت منه جارية فلما شبت الجارية تزوجت فولدت غلاما ثم ماتت السرية واختصم شريح بن الحرث والغلام الى شريح القاضي في ميراثها فجعل شريح بن الحرث يقول ليس له ميراث في كتاب الله قال فقضى شريح بالميراث للغلام قال وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله فركب ميسرة ابن يزيد الى ابن الزبير وأخبره بقضاء شريح وقوله فكتب ابن الزبير الى شريح ان ميسرة أخبرني أنك قضيت بكذا وكذا وقلت وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وانه ليس كذلك انما نزلت هذه الآية ان الرجل كان يعاقد الرجل يقول ترثني وأرثك فنزلت وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله فجاء بالكتاب الى شريح فقال شريح أعتقها جنين بطنها وأبى أن يرجع عن قضائه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال ثني عيسى ابن الحرث قال كانت لشريح بن الحرث سرية فذكر نحوه الا انه قال في حديثه كان الرجل يعاقد الرجل يقول ترثني وأرثك فلما نزلت تركت ذلك

﴿ القول في تفسير السورة التي يذكر فيها التوبة ﴾

القول في تأويل قوله عز ذكره ﴿ براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين ﴾ يعني بقوله جل ثناؤه براءة من الله ورسوله هذه براءة من الله ورسوله فبراءة مرفوعة بمحذوف وهو هذه كما قوله سورة أنزلناها مرفوعة بمحذوف هو هذه ولو قال قائل براءة مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله الى الذين عاهدتم وجعلها كالمعرفة ترفع ما بعدها اذ كانت قد صارت بصلتها وهي قوله من الله ورسوله

هذا المجموع فوجب أن تبقى اباحة الدم على الاصل فتارك الصلاة يقتل ولعل أبا بكر استدل بمثل ذلك على جواز قتال مانعي الزكاة وحمل أكثر الأئمة الاقامة والايتاء ههنا على اعتقاد وجوبهما والاقرار بذلك وان كان له وجه عدول عن الظاهر وعن الحسن أن أسيرا نادى بحيث يسمع النبي صلى الله عليه وسلم أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لأهله فأرسلوه قال بعض العلماء ذكر التوبة ههنا عبارة عن تطهير القوة النظرية عن الجهل وذكر الصلاة والزكاة عبارة عن تطهير القوة العملية عما لا ينبغي ولا ريب أن كمال السعادة منوط بهذا المعنى جعلنا الله من أهلها لما أوجب الله سبحانه بعد انسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على أن حجة الله تعالى قد قامت عليهم وأن ما ذكره الرسول قبل ذلك من أنواع الدلائل والبينات كفى في ازاحة علتهم فينتج ذلك أن أحدا من المشركين لو طلب الدليل والحجة لم يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام أو بالجزية أو بالقتل فأزال الله تعالى بكل ذلك ما أفتته هذه الشبهة فقال (وان أحد من المشركين استجارك) الآية قال علماء العربية ارتفع أحد بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك أحد استجارك كرهوا الجمع بين المفسر

والمفسر لحذفوا المفسر والغرض بناء الكلام على الابهام ثم التفسير من حيث

ان ان من مظان وقوع الفعل بعده وأيضا ذكر الفاعل ههنا أهم لما بينا أن ظاهر الدليل يقتضي اباحة دم المشرك فقدم ليدل على مزيد العناية بصون دمه عن الاهدار يقال استجرت فلانا أي طلبت منه أن يكون جارا لي أي محاميا وحافظا من أن يظلمني ظالم ومنه

يقال أجاره الله من العذاب أى أنقذه والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انسلاخ الاشهر لاعهد بينك وبينه فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن فأمنه (حتى يسمع كلام الله) سماع تدبر وتأمل (ثم أبلغه) داره التى يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت فيها وفيه أن المقصود من شرع القتل قبول الدين والاقرار بالتوحيد (٤٣) وأن النظر فى دين الله من أعلى المقامات فان الكافر الذى دمه مهدر لما أظهر من نفسه كونه طالبا للنظر والاستدلال زال ذلك الاهدار ووجب على الرسول ان يبلغه مأمنه أمازمان مهلة النظر فليس فى الآية ما يدل على ذلك ولعله مفوض الى اجتهاد الامام فمتى ظهر على ذلك المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال أمهل وترك ومتى ظهر عليه كونه معرضا عن الحق دافعا للزمان بالاكاذيب لم يلتفت اليه وأبلغ المأمن ويشبه أن يقال المدة أربعة أشهر وهو الصحيح من مذهب الشافعى والمذكور فى الآية كونه طالبا لسماع القرآن الآنه ألحق به كونه طالبا لسماع الدلائل ولجواب الشبهات لانه تعالى علل وجوب الاجارة بكونه غير عالم حيث قال فى آخر الآية (ذلك بانهم قوم لا يعلمون) فكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت اجارته وفى سماع كلام الله وجوه قيل أراد جميع القرآن لان تمام الدلائل والبينات فيه وقيل أراد سماع سورة براءة لأنها مشتملة على كيفية المعاملة مع المشركين والاولى حمله على كل الدلائل وانما خص القرآن بالذكر لانه الكتاب الحاوى لمعظم الدلائل * واعلم أن الامان قد يكون عاما يتعلق بأهل اقليم أو بلدة أو ناحية وهو عقد المهادنة ويختص بالامام وقد مر فى تفسير قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقد يكون خاصا يتعلق بأفراد الكفار وهذا يصح من الولاة ومن آحاد المسلمين أيضا وهذا مقصود الآية وانه ثابت غير منسوخ روى عن سعيد بن جبير أن رجلا من المشركين جاء الى على رضى الله عنه فقال ان أراد الرجل منا أن يأتى محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل قال لا واستدل بالآية وعن السدى والضحاك هو منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين

كالمعرفة وصار معنى الكلام (١) براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين كان مذهبا غير مدفوعة صحته وان كان القول الاول أعجب الىّ لأن من شأن العرب أن يضمروا الكل معاين نكرة كان أو معرفة ذلك المعاين هذا وهذه فيقولون عندمعاينتهم الشئ الحسن حسن والله والقبيح قبيح والله يريدون هذا حسن والله وهذا قبيح والله فلذلك اخترت القول الاول وقال براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم والمعنى الى الذين عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين لان العهود بين المسلمين والمشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يتولى عقدها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من يعقدها بأمره ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه وأن عقود النبى صلى الله عليه وسلم على أمته كانت عقودهم لانهم كانوا الكل أفعاله فيهم راضين ولعقوده عليهم مسلمين فصار عقده عليهم كعقودهم على أنفسهم فلذلك قال الى الذين عاهدتم من المشركين لما كان من عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده * وقد اختلف أهل التأويل فيمن برئ الله ورسوله اليه من العهد الذى كان بينه وبين رسول الله من المشركين فأذن له فى السياحة فى الارض أربعة أشهر فقال بعضهم هم صنفان من المشركين أحدهما كانت مدة العهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل من أربعة أشهر وأمهل بالسياحة أربعة أشهر والآخر منهما كانت مدة عهده بغير أجل محدود فقصر به على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل حيثما أدرك ويؤسر الا أن يتوب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أميرا على الحاج من سنة تسع ليقيم للناس حجهم والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين ونزلت سورة براءة فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم أن لا يصد عن البيت أحد جاءه وأن لا يخاف أحد فى الشهر الحرام وكان ذلك عهدا عاما بينه وبين الناس من أهل الشرك وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص الى أجل مسمى فنزلت فيه وفيمن تخلف عنه من المنافقين فى تبوك وفى قول من قال منهم فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون منهم من سمى لنا ومنهم من لم يسم لنا فقال براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين أى لأهل العهد العام من أهل الشرك من العرب فسيحوا فى الارض أربعة أشهر الى قوله ان الله برئ من المشركين ورسوله أى بعد هذه المدة * وقال آخرون بل كان امهال الله عز وجل بسياحة أربعة أشهر من كان من المشركين بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأما من لم يكن له من رسول الله عهد فانما كان أجله خمسين ليلة وذلك عشرون من ذى الحجة والمحرم كله قالوا وانما كان ذلك كذلك لان أجل الذين لا عهد لهم كان الى انسلاخ الاشهر الحرم كما قال الله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية قالوا والنداء ببراءة كان يوم الحج الاكبر وذلك يوم النحر فى قول قوم وفى قول آخرين يوم عرفة وذلك خمسون يوما قالوا وأما تأجيل الاشهر الاربعة فانما كان لاهل العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم نزلت براءة قالوا ونزلت فى أول شوال فكان انقضاء مدة أجلهم انسلاخ الاشهر الحرم وقد كان بعض من يقول هذه المقالة يقول ابتداء التأجيل

(١) فيه شئ وعلى الأصل براءة موصوفة بأنها من الله الخ وأصله الى الذين الخ تأمل

وشرط الامان الاسلام والتكليف فيصح من العبد والمرأة والفاسق روى أنه صلى الله عليه وسلم قال يسعى بذمتهم أدناهم وعن أم هانئ قالت أجرت رجلين من أحمائى فقال صلى الله عليه وسلم أمنا من أمنت ويعتبر مع الاسلام والتكليف الاختيار فلا يصح أمان المكره على عقد الامان وينعقد الامان بكل لفظ مفيد للغرض صريحا كقوله أجرتك (٤٣) أولا تخف وكناية كقوله أنت على ما تحب أو كن كيف شئت ومثله الكتابة والرسالة والاشارة المفهمة روى عن عمر أنه قال والذى نفسى بيده لو أن أحدكم أشار باصبعه الى مشرك فنزل على ذلك ثم قتله لقتلته هذا اذا دخل الكافر بلادنا بلا سبب أما اذا دخل لسفارة فلا يتعرض له وكذا اذا دخل لسماع الدلائل وقصد التجارة لا يفيد الامان الا اذا رأى الامام مصلحة فى دخول التجار وحكم الامان اذا انعقد عصمة المؤمن من القتل والسبى فان قتله قاتل ضمن بما يضمن به الذمى ولا يتعدى الامان الى ما خلفه فى دار الحرب من أهل ومال وأما الذى معه منهما فان وقع التعرض لامانه اتبع الشرط والا فالأرجح ان لا يتعدى الامان الى ذلك * وقد بقى فى الآية مسئلة أصولية هى أن المعتزلة استدلوا بالآية على أن كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة ويتبع ذلك أن يكون كلامه محدثا لأن دخول هذه الحروف فى الوجود على التعاقب وأجيب بأن هذه المسموعة فعل الانسان وليست هى التى خلقها الله تعالى أولا عندكم فعلمنا أن هذا المسموع ليس كلام الله بالاتفاق فيجب ارتكاب التجوز البتة ونحن نحمله على انها هى الدالة على الكلام النفسى فلهذا أطلق عليها أنها كلام الله كما ان الجمانى قال ان كلام الله شئ مغاير لهذه الحروف والاصوات وهو باق مع قراءة كل قارئ وزعم بعض الناس حين رأوا انه تعالى جعل كلامه مسموعا أن هذه الحروف والاصوات قديمة للزم قدم كلامه تعالى وفيه ما فيه ثم أكد المعانى المذكورة من أول السورة الى ههنا فقال على سبيل الاستنكار والاستبعاد (كيف يكون للمشركين عهد) المرفوع اسم كان وفى خبره ثلاثة أوجه الاول كيف وقدم للاستفهام الثانى للمشركين وعند على هذين ظرف للعهد. أو ليكون

كان للفريقين واحدا أعنى الذى له العهد والذى لا عهد له غير أن أجل الذى كان له عهد كان أربعة أشهر والذى لا عهد له انسلاخ الاشهر الحرم وذلك انقضاء المحرم ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر قال حد الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسيحون فيها حيث شاؤا وحدا أجل من ليس له عهد انسلاخ الاشهر الحرم من يوم النحر الى انسلاخ المحرم فذلك خمسون ليلة فاذا انسلخ الاشهر الحرم أمره بان يضع السيف فيمن عاهد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما نزلت براءة من الله الى وأن الله مخزى الكافرين يقول براءة من المشركين الذين كان لهم عهد يوم نزلت براءة فجعل مدة من كان له عهد قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر وأمرهم أن يسيحوا فى الارض أربعة أشهر وجعل مدة المشركين الذين لم يكن لهم عهد قبل أن تنزل براءة انسلاخ الاشهر الحرم وانسلاخ الاشهر الحرم من يوم أذن ببراءة الى انسلاخ المحرم وهى خمسون ليلة عشرون من ذى الحجة وثلاثون من المحرم فاذا انسلخ الاشهر الحرم الى قوله واقعدوا لهم كل مرصد يقول لم يبق لاحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة وانسلخ الاشهر الحرم ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم اذن ببراءة الى عشر من أول ربيع الآخر فذلك أربعة أشهر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قبل أن تنزل براءة عاهد ناسا من المشركين من أهل مكة وغيرهم فنزلت براءة من الله الى كل أحد ممن كان عاهد له من المشركين فانى انقض العهد الذى بينك وبينهم فأوجلهم أربعة أشهر يسيحون حيث شاؤا من الارض آمنين وأجل من لم يكن بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم عهد انسلاخ الاشهر الحرم من يوم أذن ببراءة وأذن بها يوم النحر فكان عشرين من ذى الحجة والمحرم ثلاثين فذلك خمسون ليلة فامر الله نبيه اذا انسلخ المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبين نبى الله صلى الله عليه وسلم عهد يقتلهم حتى يدخلوا فى الاسلام وأمر بمن كان له عهدا اذا انسلخ أربعة من يوم النحر أن يضع فيهم السيف أيضا يقتلهم حتى يدخلوا فى الاسلام فكانت مدة من لا عهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة من يوم النحر ومدة من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد أربعة أشهر من يوم النحر الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله براءة من الله ورسوله الى قوله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم قال ذكر لنا أن عليا نادى بالاذان وأمر على الحاج أبو بكر رضى الله عنهما وكان العام الذى حج فيه المسلمون والمشركون ولم يحج المشركون بعد ذلك العام قوله الذين عاهدتم من المشركين الى قوله الى مدتهم قال هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وكان بقى من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر وأمر الله نبيه ان يوفى بعهدهم الى مدتهم ومن لا عهد له انسلاخ المحرم ونبذ الى كل ذى عهد عهده وأمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولا يقبل منهم الا ذلك * وقال آخرون

أو للجار أو هو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين أو متعلق بيكون وكيف حال من العهد يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد وهم أضداد لكم يضمرون الغدر في كل عهد فلا تطمعوا في الوفاء منهم ولا تتوانوا في قتلهم ثم استثنى منهم المعاهدين عند المسجد الحرام الذين لم يظهر منهم نكث كبني (٤٤) كنانة وبني ضمرة ثم بين حكمهم فقال (فما استقاموا لكم) في ما وجهان

أحدهما أن تكون زمانية وهي المصدرية على التحقيق أي استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم الثاني شرطية أي ان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله (ان الله يحب المتقين) فيه اشارة الى أن الوفاء بالعهد والاستقامة عليه من أعمال المتقين ثم كرر الاستبعاد فقال (كيف) وحذف الفعل لكونه معلوما أي كيف يكون لهم عهد (و) حالهم انهم (ان يظهروا عليكم) أي يغلبوكم ويظفروا بكم وذلك أن الغلبة من الكمال عند الشخص وكل من تصور في نفسه كمالا فانه يريد أن يظهر ذلك لغيره فأطلق الظهور على الغلبة لكونه من لوازمها (لا يرقبوا) لا يراعوا (فيكم) ولا ينتظروا بكم (الا ولا ذمة) قال في الصحاح الال العهد والقرابة ووجه ذلك في الكشاف بأن اشتقاقه من الأل وهو الجؤار والأنين لانهم اذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وسميت به القرابة لانها تعقد بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق وفي الصحاح أيضا ان الال بالكسر من أسماء الله عز وجل وفي الكشاف انه قرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرئل من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن قال الزجاج الال عندي على ما توجبه اللغة يدور على معنى الحدة من ذلك الألة الحربة وأذن مؤللة محددة ومعنى العهد والقرابة غير خارج من ذلك والذمة العهد وجمعها ذمم وذمام وهو كل أمر لزمك وكان بحيث لو ضيعته فسيحوا

لزمك مذمة وقال أبو عبيدة الذمة ما يتذمم منه أي ما يجتنب فيه الذم قال في الكشاف (يرضونكم) كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد واباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يحرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل

كان ابتداء تأخير المشركين أربعة أشهر وانقضاء ذلك لجميعهم وقتا واحدا قالوا وكان ابتداؤه يوم الحج الاكبر وانقضاؤه انقضاء عشر من ربيع الآخر ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال لما نزلت هذه الآية برئ من عهد كل مشرك ولم يعاهد بعدها الا من كان عاهد وأجرى لكل مدتهم فسيحوا في الارض أربعة أشهر لمن دخل عهده فيها من عشر ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر قال ثنا محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الموسم سنة تسع وبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بثلاثين أو أربعين آية من براءة فقرأها على الناس يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون في الارض فقرأ عليهم براءة يوم عرفة أجل المشركين عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشرا من ربيع الآخر وقرأها عليهم في منازلهم وقال لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فسيحوا في الارض أربعة أشهر عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر ورربيع الاول وعشر من ربيع الآخر كان ذلك عهدهم الذي بينهم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد براءة من الله ورسوله الى أهل العهد خزاعة ومدلج ومن كان له عهد من غيرهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ثم قال انه يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فأرسل أبا بكر وعليا رضي الله عنهما فطافا بالناس بذي المجاز وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون بها وبالمواسم كلها فآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر فهي الاشهر المتواليات عشرون من آخر ذي الحجة الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وآذن الناس كلهم بالقتال الا أن يؤمنوا **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال أهل العهد مدلج والعرب الذين عاهدهم ومن كان له عهد قال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ منها وأراد الحج ثم قال انه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فأرسل أبا بكر وعليا رضي الله عنهما فطافا بالناس بذي المجاز وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون بها وبالموسم كله وآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر فهي الاشهر الحرم المنسلخات المتواليات عشرون من آخر ذي الحجة الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وآذن الناس كلهم بالقتال الا أن يؤمنوا فآمن الناس أجمعون حينئذ ولم يسح أحد * وقال حين رجع من الطائف مضى من فوره ذلك فغزا تبوك بعد ما جاء الى المدينة * وقال آخرون ممن قال ابتداء الاجل لجميع المشركين وانقضاؤه كان واحدا كان ابتداؤه يوم نزلت براءة وانقضاؤه انقضاء الاشهر الحرم وذلك انقضاء المحرم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري

ثم قال سبحانه (وأكثرهم فاسقون) عن ابن عباس لا يبعد أن يكون بعض هؤلاء الكفار قد أسلم وتاب فلهذا لم يحكم بالفسق على الكل والظاهر أنه أراد ان أكثرهم فساق في دينهم لا يتحرزون عن الكذب ونقض العهد الذي هو مذموم في جميع الأديان والنحل (اشتروا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن أو بالاسلام (ثمنا قليلا) هو اتباع الأهواء (فصدوا (٤٥) عن سبيله) فصرفوا عنه غيرهم وعدلوا بهم أنفسهم قال مجاهد أراد الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم وقيل لا يبعد أن يراد طائفة من اليهود الذين أعانوا المشركين على نقض العهود فان هذا اللفظ من القرآن كالأمر المختص باليهود ولانه وصفهم بقوله (لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة) ولو أراد المشركين كان تكرارا (وأولئك هم المعتدون) المتجاوزون حدود الله في دينه وما يوجبه العهد والعقد ثم قال (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) فان كان هذا في اليهود وما ذكره قبل في الكفار فلا تكرار وان كان كلا هما في الكفار فجزاء الاول تخلية سبيلهم وجزاء هذا الثاني قوله (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم (في الدين) فلم يكن من التكرار في شئ قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة (ونفصل الآيات) نبينها (لقوم يعلمون) لانهم هم المنتفعون بالبيان وهذه جملة معترضة تفيد الحث على التأمل في أحكام المشركين وعلى المحافظة على مواردها (وان نكثوا) يعني هؤلاء الناكثين (أيمانهم من بعد عهدهم) أي من بعد اسلامهم حتى يكونوا مرتدين أو المراد نكث المشركين عهودهم ومواثيقهم والنكث نقض طاقات الحبل من بعد ابرامه (وطعنوا في دينكم) ثلبوه وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) هي جمع امام وأصلها أأممة كمثال

فسيحوا في الارض أربعة أشهر قال نزلت في شوال فهذه الاربعة الاشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم * وقال آخرون انما كان تأجيل الله الاشهر الاربعة المشركين في السياحة لمن كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد مدته أقل من أربعة أشهر أما من كان له عهد مدته أكثر من أربعة أشهر فانه أمر صلى الله عليه وسلم أن يتم له عهده الى مدته ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الكلبي انما كانت الاربعة الاشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون الاربعة الاشهر فأتم له الاربعة ومن كان له عهد أكثر من أربعة أشهر فهو الذي أمر أن يتم له عهده وقال أتموا اليهم عهدهم الى مدتهم * قال أبو جعفر رحمه الله وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال الأجل الذي جعله الله لأهل العهد من المشركين وأذن لهم بالسياحة فيه بقوله فسيحوا في الارض أربعة أشهر انما هو لأهل العهد الذين ظاهر وا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته فأما الذين لم ينقضوا عهدهم ولم يظاهروا عليه فان الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم باتمام العهد بينه و بينهم الى مدته بقوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فان ظن ظان أن قول الله تعالى ذكره فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يدل على خلاف ما قلنا في ذلك اذ كان ذلك ينبئ عن أن الفرض على المؤمنين كان بعد انقضاء الاشهر الحرم قتل كل مشرك فان الامر في ذلك بخلاف ما ظن وذلك أن الآية التي تتلو ذلك تنبئ عن صحة ما قلنا وفساد ما ظنه من ظن أن انسلاخ الاشهر الحرم كان يبيح قتل كل مشرك كان له عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يكن كان له منه عهد وذلك قوله كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين فهؤلاء مشركون وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة لهم في عهدهم ما استقاموا لهم بترك نقض صلحهم وترك مظاهرة عدوهم عليهم و بعد ففي الأخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين بعث عليا رضي الله عنه ببراءة الى أهل العهود بينه و بينهم أمره فيما أمره أن ينادي به فيهم ومن كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته أوضح الدليل على صحة ما قلنا وذلك أن الله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بنقض عهد قوم كان عاهدهم الى أجل فاستقاموا على عهدهم بترك نقضه وأنه انما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل أو من كان له عهد الى أجل غير محدود فأما من كان أجل عهده محدودا ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان باتمام عهده الى غاية أجله مأمورا وبذلك بعث مناديه ينادي به في أهل الموسم من العرب حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن مغيرة عن الشعبي قال ثنى محرر بن أبي هريرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنت مع علي رضي الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ينادي فكان اذا حمل صوته ناديت قلت بأي شئ كنتم تنادون قال بأربع لا يطوف بالكعبة عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته

وأمثلة نقلت حركة الميم الى الهمزة وأدغمت الميم في الميم وهو من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة على أن من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة الوفاء وعدم الحياء فهو عريق في الكفر متقدم فيه لا يشق كافر غباره وقيل خص سادتهم بالذكر لان من سواهم يتبعهم لا محالة ثم أبدى غرض القتال بقوله (لعلهم ينتهون) ليعلم أن الباعث على قتالهم هو ردهم الى طاعة معبودهم رحمة عليهم لا أمر نفساني وداع شهواني

ووسط بين الامر بالقتال وبين الحامل عليه قوله انهم لا أيمان لهم تنبيها على العلة الفاعلية للقتال أثبت لهم الأيمان أولا في الظاهر حيث قال وان نكثوا أيمانهم ثم نفاها عنهم في الحقيقة لأن أيمانهم ليست مما يعد أيمانا اذلم يوفوا بها وبهذا تمسك أبو حنيفة في أن يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين لانه تعالى وصفها بالنكث ولو لم تكن منعقدة لم يتصور نكثها ومن قرأ لا ايمان لهم بالكسر أي لا اسلام لهم أولا يعطون الأمان بعد الردة والنكث فظاهر * قال العلماء اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة ثم شرع في ذكر سائر الاسباب المحرضة على القتال فقال (ألا تقاتلون) قال أهل المعاني اذا قلت ألا تفعل كذا فانما تستعمل ذلك في فعل مقدر وجوده واذا قلت ألست تفعل فانما تتول ذلك في فعل تحقق وجوده والفرق أن لا ينفي بها المستقبل فاذا دخلت عليه الالف صار تحضيضا على فعل ما يستقبل وليس مستعمل في نفي الحال فاذا دخلت عليه الالف صار لتحقيق الحال قال ابن اسحق والسدي والكلبي نزلت في كفار مكة نكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية وأعانوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حتى هاجر أو من المدينة يريد اليهود هموا باخراجه منها ونكثوا عهده وظاهروا أبا سفيان عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب وقيل همت قريش يوم الحديبية بان يدخلوه صلى الله عليه وسلم مكة ثم يخرجوه قبل أن يتم حجه استخفافا به صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أريد بالهم العزم على الفعل وان لم يوجد (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال يعني يوم بدر لانهم حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدا ومن معه أو المراد أنهم قاتلوا حلفاءه من خزاعة أو المراد أن

ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يحج بعد عامنا هذا مشرك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا عفان قال ثنا قيس بن الربيع قال ثنا الشيباني عن الشعبي قال أخبرنا المحرر بن أبي هريرة عن أبيه قال كنت مع علي رضي الله عنه فذكر نحوه الا أنه قال ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى أجله وقد حدث بهذا الحديث شعبة فخالف قيسا في الاجل فحدثني يعقوب بن ابراهيم ومحمد بن المثنى قالا ثنا عثمان بن عمر قال ثنا شعبة عن المغيرة عن الشعبي عن المحرر بن أبي هريرة عن أبيه قال كنت مع علي حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة الى أهل مكة فكنت أنادي حتى صحل صوتي فقلت بأي شئ كنت تنادي قال أمرنا أن ننادي أنه لا يدخل الجنة الا مؤمن ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأجله الى أربعة أشهر فاذا حل الاجل فان الله بري من المشركين ورسوله ولا يطف بالبيت عريان ولا يحج بعد العام مشرك * قال أبو جعفر رحمه الله وأخشى أن يكون هذا الخبر وهما من ناقله في الاجل لان الاخبار متظاهرة في الاجل بخلافه مع خلاف قيس شعبة في نفس هذا الحديث على ما بينته حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبي اسحق عن الحرث الاعور عن علي رضي الله عنه قال أمرت بأربع أمرت أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطف رجل بالبيت عريانا ولا يدخل الجنة الا كل نفس مسلمة وأن ينبذ الى كل ذي عهد عهده حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبي اسحق عن زيد بن يثيع قال نزلت براءة فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ثم أرسل عليا فأخذها منه فلما رجع أبو بكر قال هل نزل في شئ قال لا ولكني أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتي فانطلق الى مكة فقام فيهم بأربع أن لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ولا يطف بالكعبة عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده الى مدته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي اسحق عن زيد بن يثيع عن علي قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم حين أنزلت براءة بأربع أن لا يطف بالبيت عريان ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عبد الأعلى عن معمر عن أبي اسحق عن الحرث عن علي رضي الله عنه قال بعثت الى أهل مكة بأربع ثم ذكر الحديث حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري قال ثنا حسين بن محمد قال ثنا سليمان بن قرم عن الأعمش عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ببراءة ثم أتبعه عليا فأخذها منه فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله حدث في شئ قال لا أنت صاحبي في الغار وعلى الحوض ولا يؤدي عني الا أنا أو علي وكان الذي بعث به عليا أن لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ابن أبي خالد عن عامر قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم

علينا

الرسول صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى المقاتلة والبادي أظلم والحاصل أن من كان في مثل صناتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء للقتال حقيق بان لا تترك مقاتلته وأن يوبخ من فرط فيها ثم زاد في التوبيخ

فقال فيه (أتخشونهم) تقريرا للخشية منهم وتقوية لداعية القتال كما اذا قلت للرجل أتخشى خصمك لانه يستنكف أن ينسب الى كونه خائفا من خصمه ثم بين ما يجب أن يكون الامر عليه قائلا (فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين) يعنى أن مقتضية الايمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن الا الله لان قدرته أتم وعقابه أشد بل لا قدرة الا له ولا يكون الا ما يريد وفى الفاء نوع تعليل لان الاستفهام فى معنى النهى كأنه قيل لا تخشوهم لان الله أحق بالخشية وأحرى بالطاعة وفيه نوع مجازاة كأنه قيل ان صح أنكم مؤمنون فلا تخشوا الا الله ثم زاد فى تأكيد الامر بالقتال فقال (قاتلوهم) ورتب عليه خمس نتائج * الاولى قوله (يعذبهم الله بأيديكم) أى بالقتل والأسر واغتنام الاموال وهذا لا ينافى ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم لانه أراد هناك عذاب الاستئصال قالت الأشاعرة فى الآية دلالة على أن الذى يدخل فى الوجود من الافعال كلها من الله يظهرها على أيدى العباد واعترض الجبائى بأنه لو كان كذلك لجاز أن يقال كذب الله أنبياءه على لسان الكفرة وأجيب بأن الامر كذلك عندنا الا أنا لا نقوله رعاية للادب كما لا يقال يا خالق الخنافس والحشرات وكما أنكم لا تقولون يا مسهل أسباب الزنا واللواط ويا دافع الموانع عنها * الثانية (ويخزهم) قيل هو الاسر وقيل المراد ما نزل بهم من الذل والهوان حين شاهدوا أنفسهم مقهورين فى أيدى المؤمنين وهو قريب من الاول أو هو هو وقيل هو عذاب الآخرة * الثالثة (وينصركم عليهم) أورد عليه أن النصر يستتبعه اخزاء الخصم فأى حاجة الى افراده بالذكر والجواب أن المغايرة كافية فى افراد كل من المتلازمين بالذكر على أنه من المحتمل أن يحصل لهم الخزى من جهة المؤمنين الا أن المؤمنين يحصل لهم آفة لسبب آخر فلما وعدهم النصر على الاطلاق زال ذلك الاحتمال * الرابعة (ويشف صدور قوم مؤمنين) هم خزاعة وعن ابن عباس بطون من اليمن وسبا قد موا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال أبشروا فان الفرج قريب * الخامسة (ويذهب غيظ قلوبهم) قيل شفاء الصدر واذهاب غيظ

علىا رضى الله عنه فنادى ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله الى مدته والله برىء من المشركين ورسوله **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبى جعفر محمد بن على بن حسين بن على قال لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضى الله عنه ليقيم الحج للناس قيل له يا رسول الله لو بعثت الى أبى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل من أهل بيتى ثم دعا على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى انه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته فخرج على بن أبى طالب رضى الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق فلما رآه أبو بكر قال أمير أو مأمور قال مأمور ثم مضيا رضى الله عنهما فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب اذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج التى كانوا عليها فى الجاهلية حتى اذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فأذن فى الناس بالذى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له الى مدته فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا من براءة فمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة الى الأجل المسمى **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال لما نزلت هذه الآيات الى رأس أربعين آية بعث بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر وأمره على الحج فلما سار فبلغ الشجرة من ذى الحليفة أتبعه بعلى فأخذها منه فرجع أبو بكر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بأبى أنت وأمى أنزل فى شأنى شىء قال لا ولكن لا يبلغ عنى غيرى أو رجل منى أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معى فى الغار وأنك صاحبى على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر على الحاج وعلى يؤذن ببراءة فقام يوم الأضحى فقال لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فله عهده الى مدته وان هذه أيام أكل وشرب وان الله لا يدخل الجنة الا من كان مسلما فقالوا نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك الا من الطعن والضرب فرجتمع المشركون فلازم بعضهم بعضا وقالوا ما تصنعون وقد أسلمت قريش فأسلموا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق عن زيد بن يثيع عن على قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وأن يتم الى كل ذى عهد عهده قال معمر وقاله قتادة * قال أبو جعفر رحمه الله فقد أنبأت هذه الاخبار ونظائرها عن صحة ما قلنا وان أجل الاشهر الاربعة انما كان لمن وصفنا فأما من كان عهده الى مدة معلومة فلم يجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين نقضه ومظاهرة أعدائهم عليهم سبيلا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وفى له

القلب كلاهما بمعنى فيكون تكرارا والجواب أن القلب أخص من الصدر كقوله * يادار مية بالعلياء فالسند * أو شفاء الصدر
اشارة الى الوعد بالفتح ولا ريب ان الانتظار شاق وان كان مع الثقة بالموعود فاذهاب غيظ القلب اشارة الى الفتح وقد حصل الله لهم هذه
المواعيد كلها وكان ذلك دليلا على صدق النبي صلى الله عليه وسلم واعجازه ثم قال (ويتوب الله على من يشاء) وهو ابتداء

بعهده الى مدته عن أمر الله اياه بذلك وعلى ذلك دل ظاهر التنزيل وتظاهرت به الأخبار عن
الرسول صلى الله عليه وسلم وأما الاشهر الاربعة فانها كانت أجل من ذكرنا وكان ابتداؤها يوم
الحج الاكبر وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر فذلك أربعة أشهر متتابعة جعل لأهل
العهد الذين وصفنا أمرهم فيها السياحة في الارض يذهبون حيث شاؤا لا يعرض لهم فيها من
المسلمين أحد بحرب ولا قتل ولا سلب فان قال قائل فاذا كان الامر في ذلك كما وصفت فما وجه
قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقد علمت أن انسلاخها انسلاخ
المحرم وقد زعمت أن تأجيل القوم من الله ومن رسوله كان أربعة أشهر وانما بين يوم الحج الأكبر
وانسلاخ الاشهر الحرم خمسون يوما أكثره فأين الخمسون يوما من الاشهر الاربعة قيل ان
انسلاخ الاشهر الحرم انما كان أجل من لا عهد له من المشركين من رسول الله صلى الله عليه وسلم
والاشهر الاربعة لمن له عهد اما الى أجل غير محدود واما الى أجل محدود وقد نقضه فصار بنقضه
اياه بمعنى من خيف خيانته فاستحق النبذ اليه على سواء غير أنه جعل له الاستعداد لنفسه
والارتياد لها من الاجل الاربعة الاشهر ألا ترى الله يقول لاصحاب الاشهر الاربعة ويصفهم
بأنهم أهل عهد براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة
أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله ووصف المجعول لهم انسلاخ الاشهر الحرم أجلا بأنهم أهل
شرك لا أهل عهد فقال وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين
ورسوله الآية الا الذين عاهدتم من المشركين الآية ثم قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم فأمر بقتل المشركين الذين لا عهد لهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم وباتمام عهد
الذين لهم عهد اذا لم يكونوا نقضوا عهدهم بالمظاهرة على المؤمنين وادخال النقص فيه عليهم
فان قال قائل وما الدليل على أن ابتداء التأجيل كان يوم الحج الاكبر دون أن يكون كان من
شوال على ما قاله قائل ذلك قيل له ان قائلي ذلك زعموا أن التأجيل كان من وقت نزول براءة
وذلك غير جائز أن يكون صحيحا لان المجعول له أجل السياحة الى وقت محدود اذ لم يعلم ما جعل له
ولا سيما مع عهده له قد تقدم قبل ذلك بخلافه فكيف لم يجعل له ذلك لانه اذا لم يعلم ماله في الاجل
الذي جعل له وما عليه بعد انقضائه فهو كهيئته قبل الذي جعل له من الاجل ومعلوم أن القوم
لم يعلموا بما جعل لهم من ذلك إلا حين نودي فيهم بالموسم واذا كان ذلك كذلك صح أن ابتداءه
ما قلنا وانقضاءه كان ما وصفنا وأما قوله فسيحوا في الارض أربعة أشهر فانه يعني فسيروا فيها
مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه يقال منه ساح فلان
في الارض يسيح سياحة وسيوحا وسيحانا وأما قوله واعلموا أنكم غير معجزي الله فانه يقول لأهل
العهد من الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد قبل نزول هذه الآية اعلموا
أيها المشركون أنكم ان سحتم في الارض واخترتم ذلك مع كفركم بالله على الاقرار بتوحيد الله
وتصديق رسوله غير معجزي الله يقول غير مفيتيه بأنفسكم لانكم حيث ذهبتم وأين كنتم من
الارض ففي قبضته وسلطانه لا يمنعكم منه وزير ولا يحول بينكم وبينه اذا أراد كم بعذاب معقل
ولا موئل الا الايمان به وبرسوله والتوبة من معصيته يقول فبادروا عقوبته بتوبة ودعوا السياحة

كلام للاخبار بأن بعض أهل مكة
يتوب عن كفره وقد وقع فقد أسلم
ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ
ويتوب بالنصب باضمار أن ودخول
التوبة في جملة ما أجيب به الامر
من طريق المعنى كقوله فأصدق
وأكن أما ان التوبة كيف تقع
جزاء للمقاتلة فذلك من قبل الكفرة
واضح فان القتال قد يصير سببا للتوبة
بعضهم عن الكفر وأما من جهة
المؤمنين فلعل القتال كان شاقا على
بعضهم فاذا أقدم عليه صار ذلك
العمل جاريا مجرى التوبة عن تلك
الكراهة وأيضا ان حصول النصر
والظفر انعام عظيم والعبد اذا شاهد
توالي النعم ليبعد أن يصير ذلك
داعيا له الى أن يتوب عن جميع
الذنوب وقد تصير كثرة المال والجاه
سببا لتحصيل اللذات بالطريق
الحلال فينتهي عن الحرام وأيضا
الانسان حريص على ما منع فاذا
انفتحت عليه أبواب الخيرات
الدنيوية فربما يصير ذلك سببا
لانقباضه عن الدنيا واعراضه عنها
وهذا هو أحد الوجوه التي ذكروها
في تفسير قوله تعالى حكاية عن
سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي يعني بعد
حصول هذا الملك لا ينبغي للنفس
الاشتغال بالدنيا (والله عليم) بكل
ما يجري في ملكه وملكوته (حكيم)
مصيب في أفعاله وأقواله وأحكامه
وتدابيره عن ابن عباس ان قوله
ألا تقاتلون الآية ترغيب في فتح مكة لان النتائج المذكورة مشاكلة لتلك الاحوال واستبعده الحسن لان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة بسنة ثم بين أنه ليس الغرض من ايجاب القتال نفس القتال وانما المقصود أن يؤتى به انقيادا لامر الله
ولتكليفه ليظهر المخلص من المنافق فقال (أم حسبتم) الآية وقد مر وجه اعرابه في آل عمران عند قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة

ولما يعلم الله الذين جاهدوا وقوله (ولم يتخذوا) معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة والوليجة البطانة يعني الحبيب الخالص فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل أو هو الرجل يكون في القوم وليس منهم قال الواحدي يقال هو وليجتي وهم وليجتي يستوي فيه الواحد والجمع ومعنى الآية لا تحسبوا أن تتركوا على ما أنتم عليه ولم يظهر بعد معلوم الله من تميز ﴿٤﴾ المجاهدين المنافقين من المجاهدين الخلص الذين جاهدوا لوجه الله ولم يتخذوا حبيبا من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ثم ختم الآية بقوله (والله خبير بما تعملون) ليعلموا أنه لم يزل عالما بالأشياء لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء فيجدوا في استقامة السيرة ويجتهدوا في نقاء السريرة ﴿التأويل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من النفوس المشركة التي اتخذت الهوى وصنم الدنيا معبودا فهادتها الروح والقلب في أوان الطفولية لاستكمال القالب وتربيته فسيحوا في أرض البشرية أربعة أشهر هي مدة كمال الأوصاف الاربعة النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية وأذان من الله ورسوله الى الصفات الناسوتية يوم الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة الجمال والحج الاصغر الوصول الى كعبة القلب ان زيارة كعبة الوصال حرام على مشركي الصفات الناسوتية فان تبتم عن الناسوتية بافنائها في اللاهوتية فهو خير لكم من قيامكم بالناسوت وان توليتم وركنتم الى غير الله فاعلموا أنكم غير معجزي الله عن التصرف فيكم أما لأهل السعادة فبالجذبات الازلية وأما لأهل الشقاوة فبأليم عذاب القطيعة الا الذين عاهدتم أيها القلوب والارواح من مشركي النفوس على الموافق في العبودية ثم لم ينقصوكم شيأ من وظائف الشريعة ولم يظاهروا عليكم أحدا

النبي لا تنفعكم وأما قوله وأن الله مخزي الكافرين يقول واعلموا أن الله مذل الكافرين ومورثهم العار في الدنيا والنار في الآخرة ﴿القول في تأويل قوله عز ذكره﴾ ﴿وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله بري من المشركين ورسوله﴾ يقول تعالى ذكره واعلام من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر وقد بينا معنى الاذان فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده وكان سليمان بن موسى يقول في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال زعم سليمان بن موسى الشامي أن قوله وأذان من الله ورسوله قال الأذان القصص فاتحة براءة حتى تختم وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله فذلك ثمان وعشرون آية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأذان من الله ورسوله قال اعلام من الله ورسوله ورفع قوله وأذان من الله عطفا على قوله براءة من الله كأنه قال هذه براءة من الله ورسوله وأذان من الله وأما قوله يوم الحج الاكبر فان فيه اختلافا بين أهل العلم فقال بعضهم هو يوم عرفة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال أخبرنا أبو زرعة وهب الله بن راشد قالا أخبرنا حيوة بن شريح قال أخبرنا أبو صخر أنه سمع أبا معاوية البجلي من أهل الكوفة يقول سمعت أبا الصهباء البكري وهو يقول سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن يوم الحج الأكبر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه يقيم للناس الحج وبعثني معه بأربعين آية من براءة حتى أتى عرفة خطب الناس يوم عرفة فلما قضى خطبته التفت الي فقال قم يا علي وأد رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ثم صدرنا حتى أتينا منى فرميت الجمرة ونحرت البدنة ثم حلقت رأسي وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا خطبة أبي بكر يوم عرفة فطفقت أتتبع بها الفساطيط أقرؤها عليهم فمن ثم إخال حسبتم أنه يوم النحر الا وهو يوم عرفة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي اسحق قال سألت أبا جحيفة عن يوم الحج الاكبر فقال يوم عرفة فقلت أمن عندك أو من أصحاب محمد قال كل ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال الحج الاكبر يوم عرفة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عمر بن الوليد الشني عن شهاب بن عباد العصري عن أبيه قال قال عمر رضي الله عنه يوم الحج الأكبر يوم عرفة فذكرته لسعيد بن المسيب فقال أخبرك عن ابن عمر أن عمر قال الحج الاكبر عرفة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عمر بن الوليد الشني قال ثنا شهاب بن عباد العصري عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب رحمة الله عليه يقول هذا يوم عرفة يوم الحج الاكبر فلا يصومنه أحد قال فحججت بعد أبي فأتيت المدينة فسألت عن أفضل أهلها فقالوا سعيد بن المسيب فأتيته فقلت اني سألت عن أفضل أهل المدينة فقالوا سعيد بن المسيب فأخبرني عن صوم يوم عرفة فقال أخبرك عمن هو أفضل مني أضعافا عمر أو ابن عمر كان ينهى عن صومه ويقول هو يوم الحج الأكبر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الصمد بن حبيب عن معقل بن داود قال سمعت ابن الزبير يقول يوم عرفة هذا يوم الحج الاكبر فلا يصمه أحد حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا غالب بن عبيد الله قال سألت عطاء عن يوم الحج الاكبر

(٧ - ابن جرير عاشر)

من الشيطان والدنيا فأتموا اليهم عهدهم بالمداراة والرفق الى أوان طلوع فجر العناية ونجم الجذبة والهداية فاذا انسلخ الاشهر الحرم استكملت مدة التربية بتمام الاوصاف الاربعة فاقتلوا النفوس المشركة بسيف النهي عن الشهوات حيث وجدتموهم في الطاعة بأن تكلفوها اياها وفي المعصية بأن تزجروها عنها وخذوهم بآداب الطريقة واحصروهم احبسوهم في حصار

الحقيقة واقعدوا لهم كل مرصد اقبوهم في الأحوال كلها فان تابوا رجعوا الى طلب الحق وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة تركت عن الاخلاق الذميمة فخلوا سبيلهم اتركوا التشديد عليهم بالرياضات ليعملوا بالشريعة بعد الوصول الى الحقيقة فان النهاية هي الرجوع الى البداية وان أحد من مشركي (٥٠) صفات النفس استجارك يا قلب لتزكه ما هو المخصوص به من الصفات الذميمة فأجره حتى يسمع كلام الله حتى يلهم بالهام ثم أبلغه مأمنه وهو وارد الجذبة الالهية وان الجذبة اذا تعلقت بصفة من صفات النفس تنجذب النفس بجميع صفاتها ذلك بانهم قوم لا يعلمون الله وأسراره فلا يعلمون اليه ويعلمون الدنيا وشهواتها فيركنون اليها كيف يكون لمشرك النفوس ثبات على العهد وقد جبلت ميالة الى السفليات وغايتها بعد اصلاح حالها أن تميل الى نعيم الجنات الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهو مقام الوصول المحرم على أهل الدنيا وهو مقام أهل الله وخاصته الذين تنورت نفوسهم بانوار الجمال والجلال فيثبتها الله على العهد بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فاستقاموا لكم على الصراط المستقيم فاستقيموا لهم لسرحها في متسع رياض الشريعة لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يحفظوا حقوق الجنسية فان الارواح والقلوب والنفوس مزدوجة في عالمي الامر والخلق برضونكم بالاعمال الظاهرة وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون فيما يعملون خارجون عن الصدق والاخلاص اشتروا بدلالات توصلهم الى الله ثمنا قليلا من متاع الدنيا ومصالحها فصدوا عن سبيله قطعوا طريق الحق على الارواح والقلوب فاخوانكم في الدين رفقاؤكم في طلب الحق فارعوا حقوقهم فان لنفسك عليك حقا لقوم يعلمون أن السير الى الله من أعظم المقامات وأهم المهمات وطعنوا في دينكم يحيى أنكروا مذهب السلوك أئمة الكفر النفوس وهو ابا خراج الرسول يعني الواردات الغيبية بانسداد روزنة القلب أول مرة في أوان الطفولية أتتخشونهم في فوات حظوظها فالله أحق أن تخشوه بفوات حقوقها ويذهب غيظ قلوبهم يعني وحشة الارواح والقلوب وكدورتها ويتوب

فقال يوم عرفة فأفض منها قبل طلوع الفجر حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال أخبرني محمد بن قيس بن مخرمة قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة ثم قال أما بعد وكان لا يخطب الا قال أما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد الوهاب عن مجاهد قال يوم الحج الاكبر يوم عرفة حدثني الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا اسحق بن سليمان عن سلمة بن محب عن عكرمة عن ابن عباس قال يوم الحج الأكبر يوم عرفة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني طاوس عن أبيه قال قلنا ما الحج الأكبر قال يوم عرفة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال هذا يوم الحج الأكبر * وقال آخرون هو يوم النحر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن الحرث عن علي قال يوم الحج الأكبر يوم النحر حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن سلام عن الأجلح عن أبي اسحق عن الحرث قال سمعت عليا يقول الحج الأكبر يوم النحر حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبي اسحق عن الحرث قال سألت عليا عن الحج الأكبر فقال هو يوم النحر حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا سليمان الشيباني قال سألت عبد الله بن أبي أوفى عن الحج الأكبر قال فقال يوم النحر حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عياش العامري عن عبد الله بن أبي أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر * قال ثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن أبي أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الملك قال دخلت أنا وأبو سلمة على عبد الله بن أبي أوفى قال فسألته عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر يوم يهراق فيه الدم حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن الشيباني قال سألت ابن أبي أوفى عن يوم الحج الاكبر قال هو يوم النحر حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا الشيباني عن عبد الله بن أبي أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر * قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك بن عمير قال سمعت عبد الله بن أبي أوفى وسئل عن قوله يوم الحج الاكبر قال هو اليوم الذي يراق فيه الدم ويحلق فيه الشعر حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن علي أنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجمرة فجاءه رجل فأخذ بلجام بغلته فسأله عن الحج الاكبر فقال هو يوم ذا خل سبيلها حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ثنا اسحق عن مالك بن مغول وبشير عن أبي اسحق عن الحرث عن علي قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن أبي اسحق عن الحرث عن علي قال سئل عن يوم الحج الاكبر قال هو يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شعبة عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن علي أنه لقيه رجل يوم النحر فأخذ بلجامه فسأله عن يوم الحج الاكبر قال هو هذا اليوم حدثنا ابن وكيع قال ثنا

الله على من يشاء بالرجوع الى الحق قبل التمادى فى الباطل من غير حاجة الى رياضة شديدة والله عليم باستعدادات النفوس حكيم فيما يدبر لكل منها أم حسبتم أيها النفوس الأمارة أن تتركوا بلا رياضة ولبجة أولياء من الشيطان والدنيا والهوى

﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك (٥١) حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون انما

يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور

يحيى بن آدم عن قيس عن عبد الملك بن عمير وعياش العامرى عن عبد الله بن أبى أوفى قال هو اليوم الذى يهراق فيه الدماء حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ابن أبى أوفى قال الحج الاكبر يوم تهراق فيه الدماء ويحلق فيه الشعر ويحل فيه الحرام حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن عبد الله بن يسار قال ثنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير فقال هذا يوم الاضحى وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش عن عبد الله بن يسار قال خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير وقال هذا يوم الاضحى وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش عن عبد الله بن يسار قال خطبنا المغيرة ابن شعبة فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد عن حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا سليمان الشيبانى قال سمعت سعيد بن جبير يقول الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى جحيفة قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر قال اختصم على بن عبد الله بن عباس ورجل من آل شيبة فى يوم الحج الاكبر قال على هو يوم النحر وقال الذى من آل شيبة هو يوم عرفة فأرسل الى سعيد بن جبير فسألوه فقال هو يوم النحر ألا ترى أن من فاته يوم عرفة لم يفته الحج فاذا فاته يوم النحر فقد فاته الحج حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن سعيد بن جبير أنه قال الحج الاكبر يوم النحر قال فقلت له ان عبد الله ابن شيبة ومحمد بن على بن عبد الله بن عباس اختلفا فى ذلك فقال محمد بن على هو يوم النحر وقال عبد الله هو يوم عرفة فقال سعيد بن جبير أرأيت لو أن رجلا فاته يوم عرفة أكان يفوته الحج واذا فاته يوم النحر فاته الحج حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن الشيبانى عن سعيد بن جبير قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال ثنى رجل عن أبيه عن قيس بن عبادة قال ذو الحجة العاشر النحر وهو يوم الحج الاكبر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن عبد الله ابن شداد قال يوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن شريك عن أبى اسحق عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن مسلم الحجبى قال سألت نافع بن جبير بن مطعم عن يوم الحج الاكبر قال يوم النحر حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن المغيرة عن ابراهيم قال كان يقال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال يوم الحج الاكبر يوم يهراق فيه الدم ويحل فيه الحرام حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه قال يوم الحج الاكبر يوم النحر الذى يحل فيه كل حرام * قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى عن على قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن ابن عون قال سألت محمدا عن يوم الحج

رحيم يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم﴾ القراءة آت مسجد الله ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون على الجمع يبشرهم خفيفا حمزة وعاصم وعشيراتكم على الجمع أبو بكر وحماد وحبلة وضاقت رحبت حموها بمالة حمزة رحبت ثم مظهرا أبو جعفر ونافع وابن كثير وخلف ويعقوب وعاصم

و بناء المسجد واصلاحه نفل والانسان ما لم يفرغ عن الواجب لم يشتغل بالنافلة فلولم يكن مؤديا للزكاة فالظاهر أنه لم يشتغل بعمارة المسجد
ثم قال (ولم يخش الا الله) ليعلم أنه لو أتى المسجد وبناه رياء وسمعة لم يكن عامرا له فعلى المؤمن أن يختار في جميع الاحوال رضوان الله على غيره
فان ذلك لو ضر في العاجل فسينفعه في الآجل (٤٠) وفي ادخال كلمة انما في صدر الآية تنبيه على أن من لم يكن موصوفا بالصفات

الذكورة لم يكن من أهل عمارة المسجد وأن المسجد يجب صونه عن غير العبادة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعنه صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال صلى الله عليه وآله قال الله تعالى ان بيوتي في أرضي المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره ومن عمارة المساجد تعظيمها والدرس فيها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح فعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له مادام في ذلك المسجد ضوؤه وفي قوله (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) حسم لأطماع الكفار في الانتفاع بأعمالهم فان الموصوفين بالصفات المذكورة اذا كان اهتداؤهم المستعقب لصلاح حالهم في الدارين دائرا بين عسى وعل فما ظنك باهتداء المشركين ومغبتهم وفيه أن المؤمن يجب أن لا يغتر بالله عز وجل هذا وقد مر أن بعض الامة ذهبوا الى أن عسى من الله الكريم واجب وقال بعضهم ان الرجاء راجع الى العباد ثم انه

قال (أجعلتم سقاية الحاج) ومعناه هبوا أن عمارة المسجد وسقي الحجيج يوجب لكم نوعا من الفضيلة الا أن هذه القول
الاعمال في مقابلة الايمان بالله والجهاد شيء نزر قال المفسرون انها نزلت في مناظرة جرت بين فريقين الا انهم اختلفوا فقيل كافر ومؤمن
لقوله لكن آمن وقصته ما مر أن العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر

فيه كقول الناس يوم عرفة وذلك يوم وقوف الناس بعرفة ويوم الاضحى وذلك يوم يضحون فيه ويوم الفطر وذلك يوم يفطرون فيه وكذلك يوم الحج يوم يحجون فيه وانما يحج الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر لان في ليلة النهار يوم النحر الوقوف بعرفة كان الى طلوع الفجر وفي صبيحتها يعمل أعمال الحج فأما يوم عرفة فانه وان كان فيه الوقوف بعرفة فغير فائت الوقوف به الى طلوع الفجر من ليلة النحر والحج كله يوم النحر وأما ما قال مجاهد من أن يوم الحج انما هو أيامه كلها فان ذلك وان كان جائزا في كلام العرب فليس بالاشهر الأعرف في كلام العرب من معانيه بل غلب على معنى اليوم عندهم أنه من غروب الشمس الى مثله من الغد وانما حمل تأويل كتاب الله على الأشهر الأعرف من كلام من نزل الكتاب بلسانه * واختلفوا أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لهذا اليوم يوم الحج الاكبر فقال بعضهم سمي بذلك لأن ذلك كان في سنة اجتمع فيها الحج المسلمين والمشركين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن قال انما سمي الحج الاكبر من أجل أنه حج أبو بكر الحجة التي حجها واجتمع فيها المسلمون والمشركون فلذلك سمي الحج الاكبر وافق أيضا عيد اليهود والنصارى حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال يوم الحج الاكبر كانت حجة الوداع اجتمع فيه حج المسلمين والنصارى واليهود ولم يجتمع قبله ولا بعده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قال قوله يوم الحج الاكبر قال انما سمي الحج الاكبر لانه يوم حج فيه أبو بكر ونبذت فيه العهود * وقال آخرون الحج الاكبر القران والحج الأصغر الافراد ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو بكر النهشلي عن حماد عن مجاهد قال كان يقال الحج الاكبر والحج الأصغر فالحج الاكبر القران والحج الاصغر إفرادا الحج * وقال آخرون الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج عن عطاء قال الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة * قال ثنا عبد الأعلى عن داود عن عامر قال قلت له هذا الحج الاكبر فما الحج الاصغر قال العمرة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال كان يقال الحج الاصغر العمرة في رمضان * قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال كان يقال الحج الاصغر العمرة * قال ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن أبي أسماء عن عبد الله بن شداد قال يوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري أن أهل الجاهلية كانوا يسمون الحج الاصغر العمرة * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب في ذلك عندي قول من قال الحج الاكبر الحج لانه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها فقيل له الاكبر لذلك وأما الاصغر فالعمرة لان عملها أقل من عمل الحج فلذلك قيل لها الاصغر لنقصان عملها عن عمله وأما قوله أن الله بريء من المشركين ورسوله فان معناه أن الله بريء من عهد المشركين ورسوله بعد هذه الحجة ومعنى الكلام واعلام من الله ورسوله الى الناس في يوم الحج الاكبر أن الله ورسوله من عهد المشركين بريئان كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أن الله بريء من المشركين ورسوله أي بعد هذه الحجة

المسجد الحرام ونسقي الحاج وروى ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت اليهود لهم أنتم أفضل وقيل ان كلا الفريقين مؤمن لقوله أولئك أعظم درجة وهذا يقتضي ان يكون للمفضول أيضا درجة وقصته ما روى عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥٥) فقال رجل لا أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أسقي الحاج وقال الآخر ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد ان أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكني اذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه ففعل فأنزل الله الآية وروى عن الحسن والشعبي أن طلحة قال أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو أشاء بت فيه وقال العباس وذلك بعد اسلامه أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي رضي الله عنه ما أدري ما تقولان لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فنزلت وعن ابن سيرين قال علي رضي الله عنه للعباس بعد أن كان أسلم ألا تهاجر ألا تلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال ألست في أفضل من الهجرة ألست أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الآية فقال العباس ما أرانى الا تارك سقايتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا والسقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر ولابد من تقدير مضاف أي أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كخصال من آمن ثم كان لسائل أن يسأل

﴿ القول في تأويل قوله ﴾ فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم ﴿ يقول تعالى فان تبتم من كفركم أيها المشركون ورجعتم الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والانداد فالرجوع الى ذلك خير لكم من الاقامة على الشرك في الدنيا والآخرة وان توليتم يقول وان أدبرتم عن الايمان بالله وأبيتم الا الاقامة على شرككم فاعلموا أنكم غير معجزي الله يقول فأيقنوا أنكم لا تفوتون الله بأنفسكم من أن يحل بكم عذابه الأليم وعقابه الشديد على اقامتكم على الكفر كما فعل بذويكم من أهل الشرك من انزال نقمه به واحلاله العذاب عاجلا بساحته وبشر الذين كفروا يقول وأعلم يا محمد الذين جحدوا نبوتك وخالفوا أمرك بهم بعذاب موجع يحل بهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قوله فان تبتم قال آمنتم ﴿ القول في تأويل قوله ﴾ الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين ﴿ يقول تعالى ذكره وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برئ من المشركين ورسوله الا من عهد الذين عاهدتم من المشركين أيها المؤمنون ثم لم ينقصوكم شيأ من عهدكم الذي عاهدتموهم ولم يظاهروا عليكم أحدا من عدوكم فيعينوهم بأنفسهم وأبدانهم ولا بسلاح ولا خيل ولا رجال فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم يقول ففوا لهم بعهدهم الذي عاهدتموهم عليه ولا تنصبوا لهم حربا الى انقضاء أجل عهدهم الذي بينكم وبينهم ان الله يحب المتقين يقول ان الله يحب من اتقاه بطاعته بأداء فرائضه واجتناب معاصيه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم يقول الى أجلهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الا الذين عاهدتم من المشركين أي العهد الخاص الى الاجل المسمى ثم لم ينقصوكم شيأ الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا الآية قال هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر فأمر الله نبيه أن يوفي لهم بعهدهم الى مدتهم ومن لا عهد له الى انسلاخ المحرم ونبذ الى كل ذي عهد عهده وأمره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأن لا يقبل منهم الا ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال مدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة الى عشر من شهر ربيع الآخر وذلك أربعة أشهر فان نقض المشركون عهدهم وظاهروا عدوا فلا عهد لهم وان وفوا بعهدهم الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يظاهروا عليه عدوا فقد أمر أن يؤدي اليهم عهدهم ويفي به ﴿ القول في تأويل قوله ﴾ فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم ﴿ يعني جل ثناؤه بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاذا انقضى ومضى وخرج يقال منه سلخ شهر كذا اذا سلخه سلخا وسلوخا بمعنى خرج منه ومنه قولهم شاة مسلوخة بمعنى المنزوعة من جلدها المخرجة منه ويعني

ما بال أحد الفريقين لا يشبه بالآخر فلا جرم قال مستأنفا (لا يستوون عند الله) ثم صرح بالمفضول فقال (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي المشركين ان الشرك لظلم عظيم وأي ظلم أشنع من وضع الموجودات وهو الاصنام مقام أشرفها وهو الله سبحانه وأعالم بهم ذهم الله لعدم قابليته وقع في استعدادهم الفطري وذلك لكونهم مظاهر القهر فانهم ثم صرح بالفريق الفاضل فقال (الذين آمنوا) الآية

ثم من قال ان الفريقين المتناظرين كافرو مؤمن أورد عليه أن قوله أعظم درجة يوجب ان يكون المفضول أيضا درجة ولكنه ليس للكافر درجة وأجيب بان هذا وارد على حسب ما كانوا يقدرونه لانفسهم من الدرجة والفضيلة نظيره قوله أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم أو المراد أنهم أعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بالهجرة والجهاد وان كان مؤمنا فضلا عن الكافر أو المراد ترجيح الايمان والهجرة والجهاد على السقاية والعمارة لاشك أنهما من أعمال الخير ومو جبان للثواب لولا الكفر وفي قوله (عند الله) تشريف عظيم كقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته وكذا في قوله (وأولئك هم الفائزون) دلالة على انحصار الفوز فيهم ثم فسر الفوز بقوله (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات) التنكير فيها يفيد أنها وراء وصف الواصف قال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فالتبشير بالرحمة والرضوان اشارة الى غاية التعظيم ونهاية الاجلال والجنات اشارة الى حصول المنافع العظيمة وقوله (لهم فيها نعيم) اشارة الى خلوص تلك المنافع عن شوائب الكدورات ثم عبر عن دوامها بثلاثة ألفاظ مؤكدات أولها بمقيم وثانيها بخالدين وثالثها (أبدا) وقال أهل التحقيق الفرح بالنعمة قد يكون من حيث انها نعمة وقد يكون من حيث ان المنعم خصها كالسلطان اذا أعطى بعض الحاضرين تفاحة مثلا ثم النعمة قد تكون حسية وقد تكون عقلية فقوله يبشرهم ربهم اشارة الى أعلى المراتب وهو مقام العارفين الذين نظرهم على مجرد سماع البشارة لا على المبشر به وقوله برحمة منه ورضوان اشارة الى المرتبة الوسطى وهم العاكفون على عتبة اللذات الروحانية العقلية وقوله جنات الى آخرها اشارة الى المرتبة السفلى وهم الواقفون عند سماعات مواقع اللذات الحسيات وفي تخصيص الرب بالمقام اشارة الى أن الذي يربيكم في الدنيا بالنعم التي لا حد لها يسركم بخيرات دائمة وسعادات باقية لا حصر لها ويجوز أن تكون الرحمة اشارة الى رضا العبد بقضائه فتسهل عليه الغموم والآفات والرضوان اشارة الى رضاه عن العبد فكون كقوله ارجعي الى ربك

بالاشهر الحرم ذا القعدة وذا الحجة والمحرم أو انما أريد في هذا الموضع انسلاخ المحرم وحده لان الاذان كان ببراءة يوم الحج الاكبر فعلموا أنهم لم يكونوا أجلوا الأشهر الحرم كلها وقد دل على صحة ذلك فيما مضى ولكنه لما كان متصلا بالشهر بن الآخرين قبله الحرامين وكان هولهما ثالثهما كلها متصل بعضها ببعض قيل فاذا انسلخ الاشهر الحرم ومعنى الكلام فاذا انقضت الاشهر الحرم الثلاثة عن الذين لا عهد لهم أو عن الذين كان لهم عهد فنقضوا عهدهم عظاهرتهم الأعداء على رسول الله وعلى أصحابه أو كان عهدهم الى أجل غير معاوم فاقتلوا المشركين بقول فاقتلوهم حيث وجدتموهم بقول حيث لقيتموهم من الارض في الحرم وغير الحرم في الاشهر الحرم وغير الاشهر الحرم وخذوهم بقول وأسروهم واحصروهم بقول وامنعوهم التصرف في بلاد الاسلام ودخول مكة واقعدوا لهم كل مرصد بقول واقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم كل مرصد يعني كل طريق ومرقب وهو مفعل من قول القائل رصدت فلانا أرصده رصدا يعني رقبته فان تابوا بقول فان رجعوا عما هم عليه من الشرك بالله وجحود نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والانداد والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأقاموا الصلاة بقول وأدوا ما فرض الله عليهم من الصلاة بحدودها وأعطوا الزكاة التي أوجبها الله عليهم في أموالهم أهلها فخلوا سبيلهم بقول فدعوهم يتصرفون في أمصاركم ويدخلون البيت الحرام ان الله غفور رحيم لمن تاب من عباده فأناب الى طاعته بعد الذي كان عليه من معصيته ساتر على ذنبه رحيم به أن يعاقبه على ذنوبه السالفة قبل توبته بعد التوبة وقد ذكرنا اختلاف المختلفين في الذين أجلوا الى انسلاخ الاشهر الحرم * وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا عبد الاعلى بن واصل الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به شيأ فارقها والله عنه راض قال وقال أنس هو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الاحاديث واختلاف الاهواء وتصديق ذلك في كتاب الله قال الله فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم قال توبتهم خلع الاوثان وعبادة ربهم واقام الصلاة وايتاء الزكاة ثم قال في آية أخرى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حتى ختم الآية وكان قتادة يقول خلوا سبيل من أمركم الله أن تخلوا سبيله فانما الناس ثلاثة رهط مسلم عليه الزكاة ومشرك عليه الجزية وصاحب حرب يأمن بتجارته في المسلمين اذا أعطى عشور ماله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فاذا انسلخ الاشهر الحرم وهي الاربعة التي عددت لك يعني عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيعا الاول وعشرا من شهر ربيع الآخر وقال قائلو هذه المقالة قيل لهذه الاشهر الحرم لان الله عز وجل حرم على المؤمنين فيها دماء المشركين والعرض لهم الا بسبيل خير ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن ابراهيم بن أبي بكر أنه أخبره

راضية مرضية ثم أكد المعاني المذكورة بقوله (الله عنده أجر عظيم) وفي تصدير الجملة الاسمية بان وفي لفظ عنده وتقديمه وتنكير أجر ووصفه بالعظم مبالغات لا تخفى قال الكلبي لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة جعل الرجل يقول لابيه ولاخيه ولقرابته انا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك و يعجبه ومنهم من تتعلق به زوجته وعياله وولده فيقولون ننشدك الله أن لا تدعنا الى غير شئ فنضيع فيرق فيجلس معهم و يدع فنزل فيهم (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا) الآيتين وذكروا في وجه النظم أن هذه الآية جواب عن شبهة أخرى قالوها وهي انه كيف يمكن دعوى البراءة من الكفار و بينهم و بين المسلمين قرابات ومواصلات ومعاملات فذكر الله تعالى أن الانقطاع عن الآباء والابناء والاخوان واجب بسبب الكفر ومعنى استحبوا اختاروا وهو في الاصل طلب المحبة ثم ان النهي كان يحتمل أن يكون نهي تنزيه لا تحريم فلا زال ذلك الوهم ختم الآية بقوله (ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) قال ابن عباس يريد أنه يكون مشركا مثلهم لان الرضا بالشرك شرك وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الايمان حتى يحب في الله و يبغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس و يبغض في الله أقرب الناس وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بأن يهاجر و يصارم أقاربه الكفرة و يقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من يخالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا و بقينا ضائعين فنزلت قل ان كان آباؤكم الآية فهاجروا فعل الرجل

عن مجاهد وعمرو بن شعيب في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم أنها الاربعة التي قال الله فسيحوا في الارض قال هي الحرم من أجل انهم أومنوا فيها حتى يسيحوها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر قال ضرب لهم أجل أربعة أشهر وتبرأ من كل مشرك ثم أمر اذا انسلخت تلك الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد لا تتركوهم يضربون في البلاد ولا يخرجون للتجارة ضيقوا عليهم بعدها أمر بالعفو فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاذا انسلخ الاشهر الحرم يعني الاربعة التي ضرب لهم اجلا لاهل العهد العام من المشركين فاقتلوهم حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد الآية القول في تأويل قوله ﴿وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وان استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم أحد ليسمع كلام الله منك وهو القرآن الذي أنزله الله عليه فأجره يقول فأمنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه ثم أبلغه مأمنه يقول ثم رده بعد سماعه كلام الله ان هو أبى أن يسلم ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن الى مأمنه يقول الى حيث يأمن منك وممن في طاعتك حتى يلحق بداره وقومه من المشركين ذلك بانهم قوم لا يعلمون يقول تفعل ذلك بهم من اعطائك اياهم الامان ليسمعوا القرآن ورددك اياهم اذا أبوا الاسلام الى مأمنهم من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة ولا يعلمون ما لهم بالايمان بالله لو آمنوا وما عليهم من الوزر والاثم بتركهم الايمان بالله * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان أحد من المشركين استجارك أي من هؤلاء الذين أمرتك بقتالهم فأجره **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي فأجره حتى يسمع كلام الله أما كلام الله فالقرآن **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان أحد من المشركين استجارك فأجره قال انسان يأتيك فيسمع ما تقول و يسمع ما أنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا فلقي العدو وأحرج المسلمون رجلا من المشركين وأشرعوا فيه الأسنة فقال الرجل ارفعوا عني سلاحكم وأسمعوني كلام الله تعالى فقالوا تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وتخلع الانداد وتتبرأ من اللات والعزى فقال فاني أشهدكم أني قد فعلت **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم أبلغه مأمنه قال ان لم يوافقه ما تقول عليه وتحدثه فأبلغه قال وليس هذا بمنسوخ واختلف في حكم هذه الآية هل هو منسوخ أو هو غير منسوخ فقال بعضهم هو غير منسوخ وقد ذكرنا قول من قال ذلك وقال آخرون هو منسوخ ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا

يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عز وجل عن موالاتهم قال الواحدي عشيرة الرجل أهله الأدنون وهم الذين يعاشرونه من قرأ على الوحدة فلان العشيرة اسم جمع ومن قرأ على الجمع فلان كل واحد من الخاطبين له عشيرة قال الازهري لا تكاد

العرب تجمع عشيرة على عشيرات وانما يجمعونها على عشائر والقرآن حجة عليه والاقتراف الاكتساب والتركيب يدور على الدنو والكاسب يدنى الشئ من نفسه ويدخله تحت ملكه والترتيب المذكور فى الآية فى غاية الحسن لان أعظم الاسباب الداعية الى المخالطة القرابة القريبة ثم البعيدة ثم انه يتوسل بتلك المخالطة الى ابقاء الاموال المكتسبة ثم الى التجارات المثمرة وفى آخر المراتب الرغبة

فى الاوطان التى بنيت للسكنى فبين تعالى أنه يجب تحمل هذه المضار فى الدنيا لمبتغى الدين سليما وذكر أنه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية أولى عندكم من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة فى سبيل الله (فتربصوا) انتظروا وانما تحبون (حتى يأتى الله بأمره) عن الحسن هو عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل يعنى القتال وعن ابن عباس هو فتح مكة وفيه بعد لما روى أن هذه السورة نزلت بعد فتح مكة (والله لا يهدى القوم الفاسقين) الخارجين عن طاعة الله الى معصيته ولا يخفى ما فيه من التهديد ثم لما أوجب ترك مصالح الدنيا لاجل الدين أراد أن يبين أن كل من أعرض عن الدنيا لاجل مصالح دينه فان الله تعالى يراعى مصالح دنياه فيفوز بسعادة الدارين وضرب لنا مثلا فقال (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) قال الواحدى النصر المعونة على الاعداء خاصة والمواطن جمع موطن وهو كل موضع أقام به الانسان لامر ومواطن الحرب مقاماتها ومواقعها وامتناعها من الصرف لانه على صيغة منتهى الجموع ولاهاء كمساجد والمواطن الكثيرة غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وهى على ما فى الصحاح تسع عشرة منها غزوة بدر وقريظة والنضير وأحد وغزوة الخندق وذات الرقاع وغزوة بنى المصطلق وغزوة أمار وغزوة ذى قرد وخيبر والحديبية والفتح (ويوم حنين) أى وفى يوم حنين واستبعد صاحب الكشاف عطف الزمان على المكان فقال معناه فى أيام مواطن كثيرة ويوم حنين وجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضى الله عنه قال على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر أى ونصركم يوم حنين لان قوله اذ أعجبتكم كثرتكم بدل من

سفيان عن جرير عن الضحاك فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم نسختها فاما منا بعد واما فداء * قال ثنا سفيان عن السدى مثله * وقال آخرون بل نسخ قوله فاقتلوا المشركين قوله فاما منا بعد واما فداء * ذكر من قال ذلك حدثنى ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان عن ابن أبى عروبة عن قتادة حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق نسختها قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال ليس ذلك بمنسوخ وقد دللنا على أن معنى النسخ هو نفى حكم قد كان ثبت بحكم آخر غيره ولم تصح حجة بوجوب حكم الله فى المشركين بالقتل بكل حال ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء ولا على وجه المن عليهم فاذ كان ذلك كذلك فكان الفداء والمن والقتل لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من أول حرب حاربهم وذلك من يوم بدر كان معلوما أن معنى الآية فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم للقتل أو المن أو الفداء واحصروهم واذا كان ذلك معناه صح ما قلنا فى ذلك دون غيره ﴿القول فى تأويل قوله﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين﴾ يقول تعالى ذكره أنى يكون أيها المؤمنون بالله ورسوله وبأى معنى يكون للمشركين بربهم عهد ونمة عند الله وعند رسوله يوفى لهم به ويتركوا من أجله آمنين يتصرفون فى البلاد وانما معناه لا عهد لهم وأن الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم الا الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم فان الله جل ثناؤه أمر المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم والاستقامة لهم عليه ما داموا عليه للمؤمنين مستقيمين * واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فقال بعضهم هم قوم من جذمة ابن الديل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم هم بنو جذمة بن الديل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن محمد بن عباد بن جعفر قوله الا الذين عاهدتم من المشركين قال هم جذمة بكر من كنانة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق كيف يكون للمشركين الذين كانوا وأنتم على العهد العام بأن لا تمنعوهم ولا يمنعوكم من الحرم ولا فى الشهر الحرام عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهى قبائل بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية الى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فلم يكن نقضها الا هذا الحى من قريش وبنو الديل من بكر فأمر باتمام العهد لمن لم يكن نقض عهده من بنى بكر الى مدته فما استقاموا لكم الآية * وقال آخرون هم قريش ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم قريش حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يعنى أهل مكة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يقول هم قوم كان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم مدة ولا يتبغى لمشرك

يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها وجوز أن يكون اذ منصوبا باضمار اذكر قلت ولعله لا حاجة الى هذه التكلفات فلا استبعاد في عطف الزمان على المكان وما جعل بدلا عن الزمان لا يلزم أن يكون بدلا عن المكان حتى يكون الفعل الاول مقيدا بهما جميعا وحنين واد بين مكة والطائف قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقعد بقيت أيام من شهر رمضان خرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف واختلفوا في عدد عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ فعن عطاء عن ابن عباس كانوا ستة عشر ألفا وقال قتادة كانوا اثني عشر ألفا عشرة آلاف من الذين حضروا مكة وألفان من الطلقاء الاسارى الذين أعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وبالجملة كانوا عددا كثيرين وكانت هوازن وثقيف أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فهذه الكلمة ساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي المراد من قوله (اذ أعجبتكم) وقيل قالها أبو بكر وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعيد لانه كان في جميع الاحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها ثم قال (فلم تغن عنكم شيأ) والاغناء اعطاء ما يدفع الحاجة أي لم تعطكم الكثرة شيأ يدفع حاجتكم ولم تفدكم (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) ما مصدرية والباء بمعنى مع والرحب السعة والجار والمجرور في موضع الحال أي متلبسة برحبها كقولك دخلت عليه بثياب السفر والمعنى انكم لشدة ما لحقكم من الرعب لم تجدوا في الارض ذات الطول والعرض موضعا يصلح لهربكم اليه وكانها ضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) أي انهزمتم انهزاما قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا وأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحرث والذي لا اله الا الله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم دبره قط لقد رأيته وأبو سفيان اخذ بالركاب والعباس آخذ

لشرط أن يدخل المسجد الحرام ولا يعطى المسلم الجزية فاستقاموا لكم فاستقيموا لهم يعني أهل العهد من المشركين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم قال هؤلاء قريش وقد نسخ هذا الاشهر التي ضربت لهم وغدروا بهم فلم يستقيموا كما قال الله فضرب لهم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما أن يسلموا واما أن يلحقوا بأي بلاد شاؤا وقال فاسلموا قبل الاربعة الاشهر وقبل وقبل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم قال هم قوم جذيمة قال فلم يستقيموا نقضوا عهدهم أي أعانوا بني بكر حلف قريش على خزاعة حلف النبي صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون هم قوم من خزاعة ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام قال أهل العهد من خزاعة * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب عندي قول من قال هم بعض بني بكر ممن كانت كنانة ممن كان أقام على عهده ولم يكن دخل في نقض ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية من العهد مع قريش حين نقضوه بمعونتهم حلفاءهم من بني الديل على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة وانما قلت هذا القول أولى الاقوال في ذلك بالصواب لان الله أمر نبيه والمؤمنين باتمام العهد لمن كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام ما استقاموا على عهدهم وقد بينا أن هذه الآيات انما نادى بها علي في سنة تسع من الهجرة وذلك بعد فتح مكة بسنة فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافر يومئذ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فيؤمر بالوفاء له بعهده ما استقام على عهده لأن من كان منهم من ساكني مكة كان قد نقض العهد وحورب قبل نزول هذه الآيات وأما قوله ان الله يحب المتقين فان معناه ان الله يحب من اتقى الله وراقبه في أداء فرائضه والوفاء بعهده لمن عاهده واجتناب معاصيه وترك الغدر بعهود من عاهده * القول في تأويل قوله ﴿كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون﴾ يعني جل ثناؤه بقوله كيف يكون لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم أو لمن لا عهد له منهم منكم أيها المؤمنون عهد وذمة وهم ان يظهروا عليكم يغلبوكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة واكتفى بكيف دليلا على معنى الكلام لتقدم ما يراد من المعنى بها قبلها وكذلك تفعل العرب اذا أعادت الحرف بعد مضي معناه استجازوا حذف الفعل كما قال الشاعر

وخبرتماني انما الموت في القرى * فكيف وهذي هضبة وكثيب

فحذف الفعل بعد كيف لتقدم ما يراد بعدها قبلها ومعنى الكلام فكيف يكون الموت في القرى وهذي هضبة وكثيب لا ينجو فيهما منه أحد * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة فقال بعضهم معناه لا يرقبوا الله فيكم ولا عهدا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يرقبون في مؤمن الا قال الله حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سليمان عن أبي مجلز في قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة قال مثل قوله جبرائيل ميكائيل اسرافيل كأنه يقول يضاف جبر وميكا واسراف الى ايل يقول محمد الله

بلجام الدابة وهو يقول أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب وطفق يركض بغلته نحو الكفار
لا يبالي وكانت بغلته شهباء ثم قال للعباس ناد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا صيتا فنادى يا أصحاب الشجرة فرجعوا ونزلت الملائكة
عليهم ثياب بيض وهم على خيول بلق (٦٠) وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كفا من الحصباء فرماهم بها

لا يرقبون في مؤمن الا كانه يقول لا يرقبون الله حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنى محمد بن ثور
عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الا ولا ذمة لا يرقبون الله ولا غيره * وقال آخرون الال
القرابة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على
عن ابن عباس قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة يقول قرابة ولا عهدا وقوله وان يظهروا عليكم
لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال يعنى القرابة والذمة العهد حدثني محمد بن سعد قال ثنى
أبي قال ثنى عمى قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة الال القرابة
والذمة العهد يعنى أهل العهد من المشركين يقول ذمتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية
وعبدة عن حوشب عن الضحاك الال القرابة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا
محمد بن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن عكرمة عن ابن عباس لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة قال
الال القرابة والذمة العهد حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا
عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة الال القرابة
والذمة الميثاق حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى
كيف وان يظهروا عليكم المشركون لا يرقبوا فيكم عهدا ولا قرابة ولا ميثاقا * وقال آخرون معناه
الحلف ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله
لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال الحلف والذمة العهد * وقال آخرون الال هو العهد ولكنه كرر
لما اختلف اللفظان وان كان معناهما واحدا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال
ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد إلا قال عهدا حدثني يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال لا يرقبوا فيكم عهدا ولا ذمة
قال احداهما من صاحبتها كهيئة غفور رحيم قال فالكلمة واحدة وهي تفترق قال والعهد هو الذمة
حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه عن خصيف عن مجاهد ولا ذمة قال العهد حدثني
الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن خصيف عن مجاهد ولا ذمة قال الذمة العهد
* قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء
المشركين الذين أمر نبيه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم وحصرهم والقعود لهم
على كل مرصد أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم إلا والال اسم يشتمل على معان ثلاثة
وهي العهد والعقد والحلف والقرابة وهو أيضا بمعنى الله فاذ كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة
ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى فالصواب أن يعم ذلك كما عم بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة
فيقال لا يرقبون في مؤمن الله ولا قرابة ولا عهدا ولا ميثاقا ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى القرابة
قول ابن مقبل

أفسد الناس خلوف خلفوا * قطعوا الال وأعراق الرحم

بمعنى قطعوا القرابة وقول حسان بن ثابت

لعمرك ان إلك من قريش * كال السقب من رأل النعام

وأما معناه اذا كان بمعنى العهد فقول القائل

وقال شاهت الوجوه فانزل جدهم مدبرا وحدهم كليلا ولم يبق منهم أحدا الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب فانهزموا وذلك قوله سبحانه (ثم أنزل الله سكينته) رحمته التي سكنوا بها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين) الذين كانوا انهزموا وعلى الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب (وأنزل جنودا لم تروها) يعني الملائكة ستة عشر ألفا أو ثمانية آلاف أو خمسة آلاف على اختلاف الروايات وعن سعيد بن المسيب قال حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا أكتافنا واختلفوا في قتال الملائكة فقيل قاتلوا وقيل ما قاتلوا الا يوم بدر وانما نزلوا في هذا اليوم لتكثير السواد ولالقاء الخواطر الحسنة في قلوب المؤمنين ثم قال (وعذب الذين كفروا) أي بالقتل والاسر وأخذ الاموال وسبي الذراري احتجت الاشاعرة بانزال السكينة وهي داعية السكون والثبات وبقوله وعذب على أن الدواعي والافعال كلها بخلق الله تعالى ثم ختم الآية بقوله (وذلك جزاء الكافرين) واعلم ان الحنفية تمسكوا في مسئلة الجلد مع التغريب بقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا قالوا الفاء للجزاء والجزاء اسم للكافي وكون الجلد كافيا يمنع ان يكون وجدناهم
غيره مشروعا معه وأجابت الشافعية بانه تعالى قال في هذه الآية وذلك أي الأخذ والاسر جزاء الكافرين سمى العذاب العاجل جزاء مع انه غير كاف لان العذاب الآجل باق أما قوله (ثم يتوب الله من بعد ذلك) أي يسلم ناس منهم روى أن ناسا منهم جاؤا تائبين فاسلموا وقالوا يا رسول الله

أنت خير الناس وابرهم وقد سبى أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبى يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم مالا يحصى فقال ان عندى ماترون يعنى العساكر الفقراء وان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين واناخيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده شئ وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا أدرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه صلى الله عليه وسلم العرفاء أن قد رضوا ثم انه سبحانه أجاب عن شبهة أخرى لهم وذلك أن علينا عليه السلام حين قرأ عليهم براءة فنبذ اليهم عهدهم قال أناس بأهل مكة سوف تعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قال فى الكشاف هو مصدر كالقذر ومعناه ذو نجس وقال الليث انه صفة يستوى فيه الواحد وغيره رجل نجس وقوم نجس وامرأة نجس قلت ويجوز أن يجعل المصدر نعتا للمبالغة فى الوصف واختلف فى تفسير كون المشرك نجسا فعن ابن عباس ان أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وهو قول الهادى من أئمة الزيدية وأما الفقهاء فقد اتفقوا على طهارة أبدانهم واحتج القاضى على ذلك بما روى أنه صلى الله عليه وسلم شرب من أوانيهم وبانه لو كان نجس العين لما تبدلت النجاسة بسبب الاسلام وأولوا الآية بان معناها انهم لا يغتسلون عن الجنابة ولا يتوضؤن عن الحدث أو انهم بمنزلة الشئ النجس فى وجوب الاجتناب والاحتراز عنهم أو ان كفرهم الذى هو صفة لهم بمنزلة النجاسة الملتصقة بالشئ (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وهى السنة التاسعة من الهجرة التى وقع النداء فيها بالبراءة من المشركين واختلفوا فى هذا النهى فعن أبى حنيفة وأصحابه أن المراد أن لا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلونه فى الجاهلية

وجدناهم كذبا لهم * وذو الال والعهد لا يكذب

وقد زعم بعض من ينسب الى معرفة كلام العرب من البصريين أن الال والعهد والميثاق واليمين واحد وأن الذمة فى هذا الموضع التذمم ممن لا عهد له والجمع ذمم وكان ابن اسحق يقول عنى بهذه الآية أهل العهد العام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق كيف وان يظهروا عليكم أى المشركون الذين لا عهد لهم الى مدة من أهل العهد العام لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة فأما قوله يرضونكم بافواههم فانه يقول يعطونكم بالسنتهم من القول خلاف ما يضمرونه لكم فى نفوسهم من العداوة والبغضاء وتأبى قلوبهم أى تأبى عليهم قلوبهم أن يذعنوا لكم بتصديق ما يبدونه لكم بألسنتهم يحذر جل ثناؤه أمرهم المؤمنين و يشحذهم على قتلهم واجتياحهم حيث وجدوا من أرض الله وأن لا يقصروا فى مكروههم بكل ما قدروا عليه وأكثرهم فاسقون يقول وأكثرهم مخالفون عهدكم ناقضون له كافرون بربهم خارجون عن طاعته القول فى تأويل قوله اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون يقول جل ثناؤه اتباع هؤلاء المشركون الذين أمركم الله أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم بتركهم اتباع ما احتج الله به عليهم من حجته يسيرا من العوض قليلا من عرض الدنيا وذلك أنهم فيما ذكر عنهم كانوا نقضوا العهد الذى كان بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكلة أطعمهموها أبو سفيان بن حرب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا قال أبو سفيان بن حرب أطعم حلفاءه وترك حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وأما قوله فصدوا عن سبيله فان معناه فمنعوا الناس من الدخول فى الاسلام وحاولوا رد المسلمين عن دينهم انهم ساء ما كانوا يعملون يقول جل ثناؤه ان هؤلاء المشركين الذين وصفت صفاتهم ساء عملهم الذى كانوا يعملون من اشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى وصدهم عن سبيل الله من آمن بالله ورسوله أو من أراد أن يؤمن القول فى تأويل قوله لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون يقول تعالى ذكره لا يتقى هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم فى قتل مؤمن لو قدروا عليه الا ولا ذمة يقول فلا يبقوا عليهم أيها المؤمنون كما لا يبقون عليكم لو ظهروا عليكم وأولئك هم المعتدون يقول المتجاوزون فيكم الى ما ليس لهم بالظلم والاعتداء القول فى تأويل قوله فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون يقول جل ثناؤه فان رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم عن كفرهم وشركهم بالله الى الايمان به و برسوله وأنابوا الى طاعته وأقاموا الصلاة المكتوبة فأدوها بحدودها وآتوا الزكاة المفروضة أهلها فاخوانكم فى الدين يقول فهم اخوانكم فى الدين الذى أمركم الله به وهو الاسلام ونفصل الآيات يقول و نبين حجج الله وأدلته على خلقه لقوم يعلمون ما بين لهم فنشرحها لهم مفصلة دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله بيانه ومحكم آياته و بنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين يقول ان تركوا اللات والعزى

والدليل عليه قول علي عليه السلام في النداء ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك وقال الشافعي المراد المنع من الدخول فيه وهو ظاهر النص وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع من الدخول فيه وقيل المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وعن عطاء أن المراد بالمسجد الحرام الحرم وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله وتنهى المشركين أن يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه لقوله تعالى (وان خفتم عيلة) أي فقرا بسبب منع المشركين وموضع التجارات ليس هو عين المسجد بل الحرم كله ومن قال ان المراد منعهم من الحج قال انهم اذا لم يحضر والموسم لم يحصل للمسلمين ما كان لهم في قدومهم عليهم من الأرفاق والمكاسب فلهذا خافوا الفقر ثم وعدهم الله ازالة الفقر بقوله (فسوف يغنيكم الله من فضله) أي من تفضله بوجه آخر قال عكرمة أنزل الله عليهم المطر فكثر خيرهم وعن الحسن جعل الله لهم أخذ الجزية بدلا عن ذلك وقيل أغناهم من الفيء وعن مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وحرش وحملوا الطعام الى مكة فكان ذلك أعود عليهم واعلم ان هذا اخبار بالغيب وقد وقع فكان معجزا ومعنى (ان شاء) تعليم وارشاد وأن لا يغتر المسلمون بذلك فيتركوا التضرع الى الله واللجأ اليه وليعلم أن حصول ذلك لا يكون في كل الاوقات لاغراض ومقاصد لا يعلمها الا ضابط الامور ورابط الاسباب ولهذا ختم الآية بقوله (ان الله عليم) أي باحوالكم (حكيم) لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب ﴿التأويل ما كان لمشرك النفوس الامارة أن يعمروا مساجد الله وهي القلوب وهم مصرون على ما جبلوا عليه من التمرد وتعبد النهوى حبطت أعمالهم التي صدرت عنهم رياء وسمعة انما يعمر القلوب من آمن بالله واليوم الآخر صدق بان المقصود والمعبود هو الله وعمل لنيل السعادات الاخروية وأدام المناجاة مع الله بصدق الطلب وزكى نفسه عن الاخلاق الذميمة ولم يخف فوات الحظوظ الدنيوية وانما يخاف فوات الحقوق الالهية بسقاية الحاج خدمة هذه الطائفة للاغراض الفاسدة وعمارة المسجد الحرام بالاعمال الموحشة لعمارة القلوب على

وشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن ليث عن رجل عن ابن عباس فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة قال حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وقرأ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين وأبى أن يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال أمرتم باقام الصلاة وايتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له وقيل فاخوانكم فرفع بضمير فهم اخوانكم اذ كان قد جرى ذكرهم قبل كما قال فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين بمعنى فهم اخوانكم في الدين ﴿القول في تأويل قوله ﴿وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾ يقول تعالى ذكره فان نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم من قريش عهودهم من بعد ما عاقدوكم أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم وطعنوا في دينكم يقول وقدحوا في دينكم الاسلام فقاتلوه وعابوه فقاتلوا أئمة الكفر يقول فقاتلوا رؤساء الكفر بالله انهم لا أيمان لهم يقول ان رؤساء الكفر لا عهد لهم لعلهم ينتهون لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف بينهم في المعنيين بأئمة الكفر فقال بعضهم هم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب ونظراؤهم وكان حذيفة يقول لم يأت أهلها بعد ذكر من قال هم من سميت حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم الى لعلهم ينتهون يعني أهل العهد من المشركين سماهم أئمة الكفر وهم كذلك يقول الله لنبيه وان نكثوا العهد الذي بينك وبينهم فقاتل أئمة الكفر لانهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم الى ينتهون فكان من أئمة الكفر أبو جهل بن هشام وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان وسهيل بن عمرو وهم الذين هموا باخراجه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أئمة الكفر أبو سفيان وأبو جهل وأمية ابن خلف وسهيل بن عمرو وعتبة بن ربيعة حدثنا ابن وكيع وابن بشار قال ابن وكيع ثنا غندر وقال ابن بشار ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن أبي بشر عن مجاهد فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم قال أبو سفيان منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال ثنا أسباط عن السدي وان نكثوا أيمانهم الى ينتهون هؤلاء قريش يقول ان نكثوا عهدهم الذي عاهدوا على الاسلام وطعنوا فيه فقاتلوهم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فقاتلوا أئمة الكفر يعني رؤس المشركين أهل مكة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فقاتلوا أئمة الكفر أبو سفيان بن حرب وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وسهيل بن عمرو وهم الذين نكثوا عهد الله وهموا باخراج الرسول وليس والله كما تأوله أهل الشبهات والبدع والقرى

اذا كانت مشوبة بالرياء والهوى لا يستوون عند الله الطالبون والبطالون والله لا يهدى القوم الظالمين الذين يضعون الاعمال الصالحة فى غير موضعها الذين آمنوا أى القلوب المؤمنة وهاجروا أى الارواح المهاجرة الى القوالب وجاهدوا فى سبيل الله الجهاد الاكبر باموالهم وأنفسهم ببذل الموجود والوجود جميعا يبشرهم ربهم بعد الخلاص عن حبس الوجود بتجلى صفات لطفه وحنات الشواهد والكشوف ان الله عنده أجر عظيم أى من وصل الى مقام العندية فالله يعظم أجره لا تتخذوا آباءكم الآيتان فيهما اشارة الى ان من آثر محبة المخلوق على محبة الخالق فقد أبطل الاستعداد الفطرى لقبول الفيض الالهى ويوم حنين أى حين حنت قلوبكم شوقا الى لقاء ربها وحسبتم أنكم تبلغونه بكثرة الطاعات وضاقت عليكم أرض الوجود ثم أعرضتم عن الطلب اذ احتجبتم بحجب الغيب مدبرين الى عالم الطبيعة الحيوانية ثم أنزل الله سكينته وهى واردات ترد على الارواح والقلوب فتسكن الى ربها على رسول الروح وعلى القلوب المؤمنة وأنزل جنودا من المواهب الربانية وعذب النفوس المتمردة باستعمالها فى أحكام الشريعة وآداب الطريقة وذلك جزاء الكافرين أى علاج النفوس المتمردة ثم يتوب الله من بعد ذلك العلاج بجذبة ارجعى انما المشركون النفوس العابدة للدنيا والشيطان والهوى فلا يقربوا القلب بعد عامهم هذا وهو حالة البلوغ وجريان قلم التكليف على الانسان نهى القلوب حينئذ عن اتباع النفوس وأمرها بقتالها ومنعها عن طوافها الثلاث تحس كعبة القلب بنجاسة شرك النفس وأوصافها الذميمة وان خفتم عيلة لحظوظا يستلذ بها عند اتباع النفس فسوف يغنيكم الله بعد انقطاع تصرفات النفس عن القلب بالواردات الربانية والكشوف الروحانية ان الله عليم بمستحق فضله حكيم فيما دبر من قتال النفوس ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت

على الله وعلى كتابه ذكر الرواية عن حذيفة بالذى ذكرنا عنه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة فقاتلوا أئمة الكفر قال ما قوتل أهل هذه الآية بعد حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حبيب بن حسان عن زيد بن وهب قال كنت عند حذيفة فقرأ هذه الآية فقاتلوا أئمة الكفر فقال ما قوتل أهل هذه الآية بعد حدثنى أبو السائب قال ثنا الاعمش عن زيد بن وهب قال قرأ حذيفة فقاتلوا أئمة الكفر قال ما قوتل أهل هذه الآية بعد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان واسرائيل عن أبى اسحق عن صلة بن زفر انهم لا أيمان لهم لا عهد لهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وان نكثوا أيمانهم قال عهدهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وان نكثوا أيمانهم عهدهم الذى عاهدوا على الاسلام حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن صلة عن عمار بن ياسر فى قوله لا أيمان لهم قال لا عهد لهم حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أبو الاحوص عن أبى اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة فى قوله فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم قال لا عهد لهم وأما النكث فان أصله النقض يقال منه نكث فلان قوى حبله اذا نقضها والايمان جمع اليمين * واختلفت القراء فى قراءة قوله انهم لا ايمان لهم فقرأه قراء الحجاز والعراق وغيرهم انهم لا أيمان لهم بفتح الالف من أيمان بمعنى لا عهد لهم على ما قد ذكرنا من قول أهل التأويل فيه وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك انهم لا امان لهم بكسر الالف بمعنى لا اسلام لهم وقد يتوجه لقراءته كذلك وجه غير هذا وذلك أن يكون أراد بقراءته ذلك كذلك انهم لا أمان لهم أى لا تؤمنوهم ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم كأنه أراد المصدر من قول القائل آمنته فانا أومنه اعمانا * قال أبو جعفر والصواب من القراءة آت فى ذلك الذى لا أستجيز القراءة بغيره قراءة من قرأ بفتح الالف دون كسرها لاجماع الحجة من القراء على القراءة به ورفض خلافه ولاجماع أهل التأويل على ما ذكرت من أن تأويله لا عهد لهم والأيمان التى هى بمعنى العهد لا تكون الا بفتح الالف لانها جمع يمين كانت على عقد كان بين المتواعدين * القول فى تأويل قوله ﴿ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله حاضا لهم على جهاد أعدائهم من المشركين ألا تقاتلون أيها المؤمنون هؤلاء المشركين الذين نقضوا العهد الذى بينكم وبينهم وطعنوا فى دينكم وظاهروا عليكم أعداءكم وهموا باخراج الرسول من بين أظهرهم فأخرجوه وهم بدؤكم أول مرة بالقتال يعنى فعلهم ذلك يوم بدر وقيل قتالهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة أتخشونهم يقول أتخافونهم على أنفسكم فتتركوا قتالهم خوفا على أنفسكم منهم فالله أحق أن تخشوه يقول فالله أولى بكم أن تخافوا عقوبته بترككم جهادهم وتحذروا سخطه عليكم من هؤلاء المشركين الذين لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا الا باذن الله ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مقرين أن خشية الله لكم أولى من خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ألا تقاتلون قوما نكثوا

النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم
ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن
يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين

الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين ﴿القرا آت عزير ابن بالتنوين مكسورة للساكنين عاصم وعلى وسهل ويعقوب الباقون بغير تنوين يضاهؤن بالهمز عاصم الآخرون يضاهون بحذف الهمزة أن يطفؤا ولو اطلوا بحذف الهمزة فيهما يزيد وحمزة فى الوقف وان شاءلين الهمزة اثنياعشر بسكون العين يزيد والخزاز انما النسى بالتشديد ورش من طريق النجارى وحمزة فى الوقف الباقون

أيمانهم من بعد عهدهم وهموا باخراج الرسول يقول هموا باخراجه فأخرجوه وهم بدؤكم أول مرة بالقتال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وهم بدؤكم أول مرة قال قتال قريش حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أمر الله رسوله بجهاد أهل الشرك ممن نقض من أهل العهد ومن كان من أهل العهد العام بعد الاربعة الاشهر التى ضرب لهم أجلا الا أن يعودوا فيها على دينهم فيقبل بعد ثم قال ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول الى قوله والله خبير بما تعملون ﴿القول فى تأويل قوله ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره قاتلوا أيها المؤمنون بالله ورسوله هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم ونقضوا عهودهم بينكم وبينهم وأخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم يعذبهم الله بأيديكم يقتلهم الله بأيديكم ويخزهم يقول ويذلهم بالاسر والقهر وينصركم عليهم فيعطيكم الظفر عليهم والغلبة ويشف صدور قوم مؤمنين يقول ويبرئ داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم واذلالكم وقهركم اياهم وذلك الداء هو ما كان فى قلوبهم عليهم من الموجدة بما كانوا ينالونهم به من الاذى والمكروه وقيل ان الله عنى بقوله ويشف صدور قوم مؤمنين صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن قريشا نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعونتهم بكرا عليهم ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد فى هذه الآية ويشف صدور قوم مؤمنين قال خزاعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو ابن محمد العنقزى عن أسباط عن السدى ويشف صدور قوم مؤمنين قال خزاعة يشف صدورهم من بنى بكر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدى مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويشف صدور قوم مؤمنين خزاعة حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد ويشف صدور قوم مؤمنين قال حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ﴿القول فى تأويل قوله ﴿ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم﴾ يقول الله تعالى ذكره ويذهب وجد قلوب هؤلاء القوم المؤمنين من خزاعة على هؤلاء القوم الذين نكثوا أيمانهم من المشركين ونقمها وكرجها عما فيها من الوجد عليهم بمعونتهم بكرا عليهم كما حدثنى ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد العنقزى عن أسباط عن السدى ويذهب غيظ قلوبهم حين قتلهم بنو بكر وأعانتهم قريش حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى مثله الا أنه قال وأعانهم عليهم قريش وأما قوله ويتوب الله على من يشاء فانه خبر مبتدأ ولذلك رفع وجزم الاحرف الثلاثة قبل ذلك على وجه المجازاة كأنه قال قاتلوهم فانكم

بياء بعدها همزة يضل بضم الياء وفتح الضاد على وحمزة غير المجلى وحفص وخلف لنفسه يضل بضم الياء وكسر الضاد ان المجلى وأوقيه تور ويس الباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد ﴿الوقوف صاغرون ○ المسيح ابن الله ط بأفواههم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف من قبل ط قاتلهم الله ج يؤفكون ○ ابن مريم ج لاحتمال الجملة بعده أن تكون حالا واستئنافا

واحدا ج لان مابعده يصلح ابتداء ووصفا الاهو ط يشركون ٥ الكافرون ٥ كله لا لتعلق لو عما قبله المشركون ٥ عن سبيل الله ط فى سبيل الله لا لتعلق الفاء أليم ٥ لا أى فى يوم وظهورهم ط تكنزون ٥ حرم ط يقاتلونكم كافة ط المتقين ٥ فيحلوا ماحرم الله ط أعمالهم ط الكافرين ٥ ۞ التفسير انه (٦٥) سبحانه لما ذكر شبهات المشركين وأجاب عنها

ان تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ثم ابتدأ فقال ويتوب الله على من يشاء لان القتال غير موجب لهم التوبة من الله وهو موجب لهم العذاب من الله والخزى وشفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم فجزم ذلك شرطا وجزاء على القتال ولم يكن موجبا القتال التوبة فابتدأ الحكم به ورفع ومعنى الكلام ويمن الله على من يشاء من عباده الكافرين فيقبل به الى التوبة بتوفيقه اياه والله عليم بسرائر عباده ومن هو للتوبة أهل فيتوب عليه ومن منهم غير أهل لها فيخذله حكيم فى تصريف عباده من حال كفر الى حال ايمان بتوفيق من وفقه لذلك ومن حال ايمان الى كفر بخذلانه من خذل منهم عن طاعته وتوحيده وغير ذلك من أمرهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين الذين أمرهم بقتال هؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم الذى بينهم وبينه بقوله قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الآية حاضا على جهادهم أم حسبتم أيها المؤمنون أن يتركم الله بغير محنة يمتحنكم بها وبغير اختبار يختبركم به فيعرف الصادق منكم فى دينه من الكاذب فيه ولما يعلم الله الذين جاهدوا يقول أحسبتم أن تتركوا بغير اختبار يعرف به أهل ولايته المجاهدين منكم فى سبيله من المضيعين أمر الله فى ذلك المفرطين ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله يقول ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والذين لم يتخذوا من دون الله ولا من دون رسوله ولا من دون المؤمنين وليجة هو الشئ يدخل فى آخر غيره يقال منه ولج فلان فى كذا يلجه فهو وليجة وانما عنى بها فى هذا الموضع البطانة من المشركين نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من عدوهم من المشركين أولياء يفشون اليهم أسرارهم والله خبير بما تعملون يقول والله ذو خبرة بما تعملون من اتخاذكم من دون الله ودون رسوله والمؤمنين به أولياء وبطانة بعد ما قد نهاكم عنه لا يخفى ذلك عليه ولا غيره من أعمالكم والله مجازيكم على ذلك ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا وبنحو الذى قلت فى معنى الوليجة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا المؤمنين وليجة يتولجها من الولاية للمشركين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع وليجة قال دخلا، حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أم حسبتم أن تتركوا الى قوله وليجة قال أبى أن يدعهم دون التمحيص وقرأ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقرأ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآيات كلها أخبرهم أن لا يتركهم حتى يمحصهم ويختبرهم وقرأ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون لا يختبرون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أى الله الا أن يمحص حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن وليجة قال هو الكفر والنفاق أو قال أحدهما وقيل أم حسبتم ولم يقل أحسبتم لانه من الاستفهام المعترض فى وسط الكلام فادخلت فيه أم ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدا وقد بينت نظائر ذلك فى غير

والمشهور أن كلام الله واحد واختلفوا فى أن خلاف المعلوم هل هو مقدور له وأما اختلافات المعتزلة وسائر الفرق فأكثر من أن تحصى هاهنا وأجيب بأن المجسم خالف فى الذات لانه يقول ان الاله جسم والبرهان دال على أن الاله العالم ليس بجسم ولا جسمانى وأما الخلاف فى المسائل المذكورة فراجع الى الصفة فظاهر الفرق نعم انا نكفر الحلولية والحروفية

بأجوبة صحيحة أراد أن يبين أحكام أهل الكتاب والمقصود تعييرهم من المشركين فى الحكم لان الواجب فى المشركين القتال الى الاسلام والواجب فى أهل الكتاب القتال الى الاسلام أو الجزية واعلم أنه تعالى ذكر صفات أربعة وأمر بقتال من اتصف بها ثم بين الموصوفين بها بقوله (من الذين أوتوا الكتاب) فدل ذلك على ان أهل الكتاب متصفون بتلك الصفات فالصفة الاولى انهم لا يؤمنون بالله فأورد عليه أن القوم يقولون نحن نؤمن بالله وأجيب بأن ايمانهم بالله كلا ايمان لانهم مشبهة وحلولية واعترض ثانيا بأن كل من نازع فى صفة من صفات الله لو كان منكرا لله لزم أن يكون أكثر المتكلمين كذلك فالاشعرى من أهل السنة أثبت البقاء صفة والقاضى أنكره وعبد الله بن سعيد أثبت القدم صفة والباقون أنكروه والقاضى اثبت لله ادراك الطعوم وادراك الروائح والحرارة والبرودة والاستاذ أبو اسحق أنكره والقاضى أثبت للصفات سبعة أحوال معللة بتلك الصفات وغيره أنكره وعبد الله ابن سعيد زعم أن كلام الله فى الازل ما كان أمرا ولا نهيا ولا خبرا ثم صار كذلك عند الانزال والآخرون أنكروه وقوم من قدماء الاشاعرة أثبتوا لله خمس كلمات الامر والنهى والاستخبار والخبر والنداء

القائلين بن كلام الله تعالى حل فى كل لسان وفى كل جسم كتب فيه القرآن كما تكفر النصارى القائلين بأن أقنوم الكلمة حلت فى عيسى * الصفة الثانية أنهم لا يؤمنون باليوم الآخر لان اليهود والنصارى ينكرون المعاد الجسمانى والقرآن دل على ان أهل الجنة يأكلون ويشربون وباللذات يتمتعون أما السعادات الروحانية (٦٦) فتتفق عليها * الصفة الثالثة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله أى لا يحرمون ما حرم الله فى القرآن والرسول فى سنته كالخمر والخنزير ونحوهما وقال أبو روق أى لا يعملون بما فى التوراة والانجيل بل حرفوهما وأتوا باحكام توافق مشتهاهم * الصفة الرابعة ولا يدينون دين الحق أى لا يعتقدون صحة دين الاسلام الذى هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذ ذلك دينه ومعتقده وقيل الحق هو الله ثم ذكر غاية القتال فقال (حتى يعطوا الجزية) فعلة من جزى يجزى اذا قضى ما عليه قال الواحدى هى ما يعطى المعاهد على عهده وقال فى الكشاف سميت جزية لانها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أى يقضوه أو لأنهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل ومعنى (عن يد) ان أريد بها يد المعطى أى عن يد مؤاتية غير ممتنعة يقال أعطى يده اذا انقاد وأصحب أو المراد حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على يد أحد وان أريد بها يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أى بسببها كقوله * يمنون عن أكل وعن شرب * أى يتناهون فى السمن بسببهما أو المراد عن انعام عليهم فان قبول الجزية منهم بدلا عن أرواحهم نعمة عظيمة عليهم قيل ان من اليهود من وحدة فما وجه ايجاب الجزية عليهم والجواب انه اذا ثبت وجوب الجزية على بعضهم لزم القول به فى حق الكل لتعسر الامتياز ولو جود الصفات الباقية فيهم أما مقدار الجزية فعن أنس قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل محتلم دينارا وقسم عمر أفضل على فقرائهم فى المدينة اثنى عشر درهما وعلى الاوساط أربعة وعشرين وعلى أهل الثروة ثمانية وأربعين فذهب الشافعى الى أن أقل الجزية دينار ولا يزاد على الدينار الا بالتراضى وذهب أبو حنيفة الى قسم عمر والمجوس سبيلهم سبيل أهل الكتاب لقوله صلى الله عليه

موضع من الكتاب ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون ﴾ يقول تعالى ذكره ما ينبغى للمشركين أن يعمروا مساجد الله وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر يقول ان المساجد انما تعمر لعبادة الله فيها لا للكفر به فمن كان بالله كافرا فليس من شأنه أن يعمر مساجد الله وأما شهادتهم على أنفسهم بالكفر فانها كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر يقول ما ينبغى لهم أن يعمروها وأما شاهدين على أنفسهم بالكفر فان النصرانى يسئل ما أنت فيقول نصرانى واليهودى فيقول يهودى والصابئ فيقول صابئ والمشرك يقول اذا سألته ما دينك فيقول مشرك لم يكن ليقوله أحد الا العرب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو العنقزى عن أسباط عن السدى ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله قال يقول ما كان ينبغى لهم أن يعمروها حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى شاهدين على أنفسهم بالكفر قال النصرانى يقال له ما أنت فيقول نصرانى واليهودى يقال له ما أنت فيقول يهودى والصابئ يقال له ما أنت فيقول صابئ وقوله أولئك حبطت أعمالهم يقول بطلت وذهبت أجورها لانها لم تكن لله بل كانت للشيطان وفى النار هم خالدون يقول ما كثون فيها أبد الآباد أحياء ولا أمواتا واختلفت القراء فى قراءة قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة مساجد الله على الجمع وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين مسجد الله على التوحيد يعنى المسجد الحرام وهم جميعا مجتمعون على قراءة قوله مساجد الله على الجمع لانه اذا قرئ كذلك احتمل معنى الواحد والجمع لان العرب قد تذهب بالواحد الى الجمع وبالجمع الى الواحد كقولهم عليه ثوب أخلاق ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ يقول تعالى ذكره انما يعمر مساجد الله المصدق بوحدانية الله المخلص له العبادة واليوم الآخر يقول الذى يصدق ببعث الله الموتى أحياء من قبورهم يوم القيامة وأقام الصلاة المكتوبة بحدودها وأدى الزكاة الواجبة عليه فى ماله الى من أوجبها الله له ولم يخش الا الله يقول ولم يرهب عقوبة شئ على معصيته اياه سوى الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين يقول لخليق بأولئك الذين هذه صفتهم أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحق وأصابة الصواب حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر يقول من وحد الله وآمن باليوم الآخر يقول أقر بما أنزل الله وأقام الصلاة يعنى الصلوات الخمس ولم يخش الا الله يقول ثم لم يعبد الا الله قال فعسى أولئك يقول ان أولئك هم المفلحون كقوله لنبيه عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا يقول ان ربك سيبعثك مقاما محمودا وهى الشفاعة وكل عسى فى القرآن فهى واجبة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ذكر قول قريش انا أهل الحرم وسقاة الحاج وعمار هذا البيت ولا أحد

وسلم سنوا بهم سنة أهل الكتاب ويروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر وذلك أن لهم شبهة كتاب ومعنى ذلك أن كتبهم وهى الصحف التى أنزلت على ابراهيم صلى الله عليه وسلم قد رفعت الى السماء لأحداث أحدثوها وليس المقصود من أخذ الجزية تقرير الكفرة على كفرهم بدينار واحد حتى يصير موجبا للطعن وانما الغرض حقن دمائهم (٦٧) وامهالهم مدة لعلهم يتفكرون فى كتابهم فيعرفون صدق محمد ومادعاهم اليه . وأيضا فيه حرمة أنبيائهم وحرمة كتابهم وحرمة آبائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والانجيل وأما قوله (وهم صاغرون) فمعناه أنه لابد مع أخذ الجزية من الحاق الذل والصغار بهم والسبب فيه أن طبع العاقل ينفر عن تحمل الذل فاذا أمهل الكافر مدة وهو يشاهد عز الاسلام وذل الكفر ويسمع الدلائل فالظاهر أن مجموع ذلك يحمله على الانتقال الى الاسلام وفسروا الصغار فى الآية بأخذ الجزية على سبيل الاهانة بأن يكون الذمى قائما والمسلم الذى يأخذ الجزية قاعدا ويأمره بأن يخرج يده من جيبه ويحنى ظهره ويطأطئ رأسه فيصب مامعه فى كفة الميزان ويأخذ المستوفى بلحيته ويضرب فى لهزمتيه وهذه الهيئة مستحبة على الاصح لا واجبة وقيل الصغار هو نفس أخذ الجزية والجزية تسقط بالاسلام عند أبى حنيفة دون الشافعى وانها تؤخذ عند أبى حنيفة فى أول السنة وعند الشافعى فى آخرها ولا تؤخذ من فقير لا كسب له ولا من امرأة وخنثى ولا صبى ولا مجنون وعبد ولا من سيده بسببه وتضرب على الزمن والعسيف والشيخ الفانى والراهب والاعمى على الاصح من قولى الشافعى لان الجزية بمنزلة الكراء يستوى فيه المعذورون وغيرهم قال الشافعى فى أحد قوليه العاجز عن الكسب يعقد له الذمة بالجزية فاذا تم الحول أخذنا ان أيسر والا فهى فى ذمته الى أن يوسر وهكذا فى كل حول ولا يصح عقد الذمة الا من الامام أو نائبه الذى فوضه اليه لانه من الامور الكلية وكيفية العقد أن يقول أقررتكم وأذنت لكم فى الاقامة فى دار الاسلام على أن تبذلوا كذا وتنقادوا لاحكام الاسلام التى يراها الامام ولا يقر أهل الكتاب بالجزية فى أرض الحجاز لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أخرجوا اليهود من

أفضل منافقال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أى ان عمارتكم ليست على ذلك انما يعمر مساجد الله أى من عمرها بحقها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فاولئك عمارها فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وعسى من الله حق القول فى تأويل قوله (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين) وهذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت فأعلمهم جل ثناؤه أن الفخر فى الايمان بالله واليوم الآخر والجهاد فى سبيله لا فى الذى افتخروا به من السدانة والسقاية وبذلك جاءت الآثار وتأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو الوليد الدمشقى أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنى معاوية بن سلام عن جده أبى سلام الأسود عن النعمان بن بشير الانصارى قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فقال رجل منهم ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام وقال آخر بل الجهاد فى سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه قال ففعل فأنزل الله تبارك وتعالى أجعلتم سقاية الحاج الى قوله والله لا يهدى القوم الظالمين حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج ونفك العانى قال الله أجعلتم سقاية الحاج الى قوله الظالمين يعنى أن ذلك كان فى الشرك ولا أقبل ما كان فى الشرك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أجعلتم سقاية الحاج الى قوله الظالمين وذلك أن المشركين قالوا عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعماره فذكر الله استكبارهم واعراضهم فقال لأهل الحرم من المشركين قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون يعنى أنهم يستكبرون بالحرم وقال به سامرا لأنهم كانوا يسمرون ويهجرون القرآن والنبى صلى الله عليه وسلم يخبرهم الايمان بالله والجهاد مع نبى الله صلى الله عليه وسلم على عمران المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به أن كانوا يعمرون بيته ويخدمونه قال الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين يعنى الذين زعموا أنهم أهل العمارة فسماهم الله ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيأ حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن أبى كثير عن النعمان بن بشير أن رجلا قال ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج وقال آخر ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلنا عليه

الحجاز قال الشافعي هو مكة والمدينة ومخاليفها ما أي قراهما وما روى أنه صلى الله عليه وسلم أوصى بان يخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب فمحمول على انه أراد الحجاز جمعا بين الحديثين وقد بقي في الآية نكتة ذكرها بعض العلماء في أن المسلم لا يقتل بالذمي قال لأن قوله قاتلوا اشتمل على اباحة دمهم وعلى عدم وجوب القصاص بسبب قتلهم فلما قال حتى يعطوا الجزية علمنا أن المجموع انتفى عند اعطاء الجزية ولكن انتفاء المجموع يكفي فيه انتفاء أحد جزأيه وأحد الجزأين وهو وجوب قتلهم مرتفع بالاتفاق فيبقى الآخر وهو عدم وجوب القصاص بقتلهم بعد أداء الجزية كما كان ولقائل أن يقول لا نزاع في الاحتمال ولكن ما الدليل على عدم وجوب القصاص وأنت بصدد اثباته ولما حكم في الآية المتقدمة أن أهل الكتاب لا يؤمنون بالله شرع في اثبات تلك الدعوى فقال (وقالت اليهود عزير ابن الله) الآية العلم مبتدأ والابن خبره ومن أسقط التنوين من عزير فلانه اسم أعجمي زائد على ثلاثة أحرف فيمتنع من الصرف كعازر وقيل منصرف لكونه عربيا وكان الوجه كسر التنوين كقراءة عاصم ولكنه أسقط التنوين للساكنين على مذهب بعضهم أو لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا وطعن في هذا الوجه عبد القاهر باستلزامه احتمال توجه الذم الى الخبر دون الوصف وحينئذ يحصل تسليم كونه ابنا لله ومعلوم أن ذلك كفر وهذا قول ناس من اليهود بالمدينة وما هو بقول كلهم الا أنه جاء على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد يقال فلان يركب الخيول أو يجالس الملوك ولعله لم يركب أو لم يجالس الا واحدا عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وعنه أيضا أن اليهود أضاعوا التوراة وهم يعلمون وبغير الحق فأنساهم الله التوراة ونسخها من صدورهم فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فأنذرهم فلما جربوه وجدوه وصادقا فيه فقالوا هذا ابن الله وقال عمر بن عمير انما قال هذا القول رجل من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء

فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الى قوله لا يستوون عند الله **حدثنا** الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عمرو عن الحسن قال نزلت في علي وعباس وعثمان وشيبة تكلموا في ذلك فقال العباس ما أرانى الا تارك سقايتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن اسمعيل عن الشعبي قال نزلت في علي والعباس تكلما في ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرت عن أبي صخر قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب فقال طلحة أنا صاحب البيت معي مفتاحه لو أشاء بت فيه وقال عباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بت في المسجد وقال علي ما أدري ما تقولان لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الآية كلها **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن الحسن قال لما نزلت أجعلتم سقاية الحاج قال العباس ما أرانى الا تارك سقايتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا **حدثني** محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله قال افتخر علي وعباس وشيبة بن عثمان فقال العباس أنا أفضلكم أنا أسقي حجاج بيت الله وقال شيبة أنا أعمر مسجد الله وقال علي أنا هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاهد معه في سبيل الله فأنزل الله الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله الى نعيم مقيم **حدثت** عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله أجعلتم سقاية الحاج الآية أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك فقال العباس أما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونفك العاني ونحجب البيت ونسقي الحاج فأنزل الله أجعلتم سقاية الحاج الآية فتأويل الكلام اذا أجعلتم أيها القوم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون هؤلاء وأولئك ولا تعتدل أحوالهما عند الله ومنازلهما لأن الله تعالى لا يقبل بغير الايمان به وباليوم الآخر عملا والله لا يهدي القوم الظالمين يقول والله لا يوفق لصالح الاعمال من كان به كافرا ولتوحيده جاحدا ووضع الاسم موضع المصدر في قوله كمن آمن بالله اذ كان معلوما معناه كما قال الشاعر

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى * ولكنما الفتيان كل فتى ندى

فجعل خبر الفتيان أن وهو كما يقال انما السخاء حاتم والشعر زهير ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ وهذا قضاء من الله بين فرق المفتخرين الذين افتخر أحدهم بالسقاية والآخر بالسدانة والآخر بالايمان بالله والجهاد في سبيله يقول تعالى ذكره الذين آمنوا بالله صدقوا بتوحيده من المشركين ومما جروا دورهم وقومهم وجاهدوا المشركين في دين الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله

وقيل لعل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع ولا عبرة بانكار اليهود وقول الله أصدق وقال في الكشاف الدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب وأما النصارى فلاشك أنهم يقولون ذلك وقد حكى الواحدي في سبب ذلك أن أتباع عيسى كانوا على الحق بعد رفع عيسى الى السماء حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جمعا من أصحاب عيسى ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار واني أحتال فأضلهم فعرقب فرسه وأظهر الندامة بما كان يصنع ووضع على رأسه التراب وقال تبت من السماء ليس لك توبة الا أن تتنصر وقد تبت فأدخله النصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج وتعلم الانجيل فصدقوه وأحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلا اسمه نسطور وعلمه أن عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة وتوجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما ولكنه الله وعلم رجلا آخر يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا يقال له ملكا فقال له ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى ثم دعا هؤلاء الثلاثة وقال لكل واحد منهم أنت خليفتي فادع الناس الى نحلتك ولقد رأيت عيسى في المنام ورضي عني واني غدا أذبح نفسي لمرضاة عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه هذا هو السبب في وقوع هذا الكفر في طوائف النصارى والأقرب أن لفظ الابن قد وقع في الانجيل على سبيل التشريف حيث قال انك أنت الابن الوحيد كما وقع لفظ الخليل في حق ابراهيم عليه السلام وقال المسيح عليه السلام للحواريين أحبوا أعداءكم وباركوا على لاعنيكم وأحسنوا الى مبغضيكم وصلوا على من يؤذيكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السماء الذي أشرق شمسه على الصالحين والفجرة ثم ان القوم لاجل عداوة اليهود ولاجل أن يقابلوا غلوهم الفاسد في أحد الطرفين بغلو فاسد في الطرف الآخر حملوا لفظ الابن على البنوة الحقيقية والله تعالى أعلم بحقيقة الحال ثم قال سبحانه (ذلك قولهم بافواههم) وفائدة هذا التخصيص وكل قول فانما يقال بالفم أنه قول لا يعضده برهان بل

الله وأرفع منزلة عنده من سقاة الحاج وعمار المسجد الحرام وهم بالله مشركون وأولئك يقول وهؤلاء الذين وصفناصفتهم أنهم آمنوا وهاجروا وجاهدوا هم الفائزون بالجنة الناجون من النار ﴿ القول في تأويل قوله ﴿يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم﴾ يقول تعالى ذكره يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله ربهم برحمة منه لهم أنه قد رحمهم من أن يعذبهم وبرضوان منه لهم بانه قد رضي عنهم بطاعتهم اياه وأدائهم ما كلفهم وجنات يقول وبساتين لهم فيها نعيم مقيم لا يزول ولا يبيد ثابت دائم أبدا لهم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الموسوي قال ثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله سبحانه أعطيكم أفضل من هذا فيقولون ربنا أي شيء أفضل من هذا قال رضواني ﴿ القول في تأويل قوله ﴿خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم﴾ يقول تعالى ذكره خالدين فيها ماكثين فيها يعني في الجنات أبد الآبدين لا نهاية لذلك ولا حد ان الله عنده أجر عظيم يقول ان الله عنده لهؤلاء المؤمنين الذين نعتهم جل ثناؤه النعت الذي ذكر في هذه الآية أجر ثواب على طاعتهم لربهم وأدائهم ما كلفهم من الاعمال عظيم وذلك النعيم الذي وعدهم أن يعطيهم في الآخرة ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله لا تتخذوا آباءكم واخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون اليهم أسراركم وتطلعونهم على عورة الاسلام وأهله وتؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة الى دار الاسلام ان استحبوا الكفر على الايمان يقول ان اختاروا الكفر بالله على التصديق به والاقرار بتوحيده ومن يتولهم منكم يقول ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين ويؤثر المقام معهم على الهجرة الى رسول الله ودار الاسلام فأولئك هم الظالمون يقول فالذين يفعلون ذلك منكم هم الذين خالفوا أمر الله فوضعوا الولاية في غير موضعها وعصوا الله في أمره وقيل ان ذلك نزل نهيا من الله المؤمنين عن موالاة أقربائهم الذين لم يهاجروا من أرض الشرك الى دار الاسلام ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام قال أمر وا بالهجرة فقال العباس بن عبد المطلب أنا أسقي الحاج وقال طلحة أخو بني عبد الدار أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر فأنزلت لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء الى قوله يأتي الله بأمره بالفتح في أمر دار اهم بالهجرة هذا كله قبل فتح مكة ﴿ القول في تأويل قوله ﴿قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة الى دار الاسلام المقيمين بدار الشرك ان كان المقام مع آبائكم وأبنائكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وكانت أموال اقترفتموها يقول اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها بفراقكم بلدكم ومساكن ترضونها فسكنتموها أحب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله من دار الشرك ومن جهاد في سبيله يعني في نصرة دين الله الذي ارتضاه

البرهان دال على نقيضه لاستحالة اثبات الولد لمن هو مبرأ عن الحاجة والشهوة والمضاجعة واتخاذ الصاحبة فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي لا تجاوز الحناجر ولا يؤثر معناها في القلب بل لا معنى لها حتى تؤثر نظيره قوله وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم أو نقول ان الانسان قد يختار مذهبا ولكن لا يصرح به ولا يذكره بلسانه أما اذا نطق به فذلك هو الغاية في اختياره واذا ساعده عليه دليل كان نهاية في الحسن والتأثير فالمراد بالقول المذهب وانهم يصرحون به لا يخفونه البتة أو انه مذهب لا يساعده دليل فلا تأثير له في القلوب ويحتمل أن يراد انهم دعوا الخلق الى هذه المقالة حتى وقعت في الافواه والألسنة (يضاهؤن) من قرأ بغير همز فظاهر لانه من ضاهى يضاهي منقوصا أي شاكل ومن قرأ بالهمز فلمجيء ضاهأت من قولهم امرأة ضهيأ على وزن فعيل وهي التي شاكلت الرجال في انها لا تحيض ومن جعل ضهيأ على فعلا لزيادة الهمزة كما في غرقئ لقشرة البيض السفلى لمجيء ضهياء حمد وادا بمعناه فلا ثبت في هذا الثاني عنده ولا بد من تقدير مضاف أي يضاهي قولهم قول الذين حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه وانقلب مرفوعا لفقد الجار والمعنى أن قول هؤلاء المعاصرين للنبي من أهل الكتاب يشبه قول قدمائهم أي انه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو يضاهي قول أهل الكتاب قول المشركين القائلين الملائكة بنات الله وقيل الضمير في يضاهؤن للنصارى فقط أي يشاكل قول النصارى المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لان اليهود أقدم منهم ثم قال على عادة محاورات العرب معجبا ومستفهما على سبيل الانكار (قاتلهم الله أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق أي هم أحقاء بأن يقال لهم هذا تعجيبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ان ركبوا شنعاء تاتلهم الله ما أعجب فعلهم ولمن ضل عن الطريق أين تذهب ثم وصفهم بضرب آخر من الاشراك فقال (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم) قال أهل المعاني الحبر العالم الذي يعبر عما يريد بأحسن بيان والراهب الذي ظهرت آثار الرهبة من قلبه على وجهه ولباسه لكن

فتربصوا يقول فتنظروا حتى يأتي الله بأمره حتى يأتي الله بفتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين يقول والله لا يوفق للخير الخاير جين عن طاعته وفي معصيته وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد حتى يأتي الله بأمره بالفتح **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فتربصوا حتى يأتي الله بأمره فتح مكة **حدثنا** محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها يقول تخشون أن تكسد فتبيعوها وما سكن ترضونها قال هي القصور والمنازل **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأموال اقترفتموها يقول أصبتموها ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين﴾ يقول تعالى ذكره لقد نصركم الله أيها المؤمنون في أماكن حرب توطنون فيها أنفسكم على لقاء عدوكم ومشاهد تلتقون فيها أنتم وهم كثيرة ويوم حنين يقول وفي يوم حنين أيضا قد نصركم وحنين واد فيما ذكر بين مكة والطائف وأجرى لانه مذكر اسم لمذكر وقد يترك اجراؤه ويراد به أن يجعل اسما للبلدة التي هو بها ومنه قول الشاعر

نصروا نبيهم وشدوا أزره * بحنين يوم تواكل الابطال

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثني أبي قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة قال حنين واد الى جنب ذي المجاز اذ أعجبتكم كثرتكم وكانوا ذلك اليوم فيما ذكر لنا اثني عشر ألفا وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك اليوم لن نغلب من قلة وقيل قال ذلك رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول الله اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ يقول فلم تغن عنكم كثرتكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت يقول وضاقت الارض بسعتها عليكم والباء ههنا في معنى في ومعناه وضاقت عليكم الارض في رحبها وبرحبها يقال منه مكان رحيب أي واسع وانما سميت الرحاب رحابا لسعتها ثم وليتم مدبرين عدوكم منهزمين مدبرين يقول وليتموهم الادبار وذلك الهزيمة يخبرهم تبارك وتعالى أن النصر بيده ومن عنده وأنه ليس بكثرة العدد وشدة البطش وأنه ينصر القليل على الكثير اذا شاء ويخذل القليل فيهزم الكثير وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين حتى بلغ وذلك جزاء الكافرين قال وحنين ما بين مكة والطائف قاتل عليها بنو الله هوازن وثقيف وعلى هوازن مالك بن عوف أخو بني نصر وعلى ثقيف عبد ياليل بن عمرو الثقفي قال وذكر لنا أنه خرج يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفان من الطلقاء وذكر لنا أن رجلا قال يومئذ لن نغلب اليوم بكثرة قال وذكر لنا أن الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس وجعلوا عن نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عن بغلته الشهباء وذكر لنا

في عرف الاستعمال اختص الاحبار بعلماء اليهود من ولد هرون والرهبان بعلماء النصارى من أصحاب الصوامع واختلفوا في معنى اتخاذهم اياهم أربابا بعد الاتفاق على انه ليس المراد أنهم جعلوهم آلهة العالم فقال أكثر المفسرين المراد انهم أطاعوهم في أوامرهم ونواهيهم نقل أن عدي بن حاتم كان نصرانيا فانتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ سورة براءة فلما وصل الى هذه الآية قال عدي انا لسنا نعبدهم فقال ألا يحرمون ما أحل الله وتحلون ما حرم الله فقلت بلى فقال فتلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل فقال انهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف قول الاحبار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم الله قال العلماء انما يلزم تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلاف ما عليه الجمهور لأن الفاسق وان كان يقبل دعوة الشيطان الا أنه يلعنه ويستخف به بخلاف أولئك الأتباع المعظمين لمتبوعهم قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله في مسائل كانت تلك الآيات مخالفة لمذهبهم فيها فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا اليها وكانوا ينظرون الى كالمتعجب يعني كيف يمكن العمل بظواهر تلك الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت بخلافها ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا سارياً في عرف الاكثرين قلت ولعلهم توقفوا لحسن ظنهم بالسلف لانهم ربما وقفوا من تلك الاي على ما لم يقف عليه الخلف وقيل في تفسير هذه الربوبية ان الجهال والحشوية اذا بالغوا في تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى الحلول والاتحاد وقد يساعدهم الشيخ في ذلك اذا كان مزوّرا طالبا للدنيا وقد يرضى بسجودهم له تعظيما واجلالا مع ان السجود عبادة لا تليق الا بالله واذا كان هذا مشاهدا في هذه الامة فكيف بالامم السالفة وأما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد أهلوه للعبادة والالهية ولعل السبب في افراد المسيح بالذكر أن قولهم فيه أشنع من قولهم في الاحبار والرهبان أولان القول بالهية المسيح مخصوص بأحد الفريقين فلو قيل اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا

أن نبي الله قال أي رب آتني ما وعدتني قال والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ناد يا معشر الانصار و يا معشر المهاجرين فجعل ينادي الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب سورة البقرة قال فجاء الناس عنقا واحدا والتفت نبي الله صلى الله عليه وسلم واذا عصابة من الانصار فقال هل معكم غيركم فقالوا يا نبي الله والله لو عمدت الى برك الغماد من ذي يمن لكنا معك ثم أنزل الله نصره وهزم عدوهم وتراجع المسلمون قال وأخذ رسول الله كفا من تراب أو قبضة من حصباء فرمى بها وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانهزموا فلما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم وأتى الجعرانة فقسم بها مغانم حنين وتألف أناسا من الناس فيهم أبو سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فقالت الانصار حين الرجل الى قومه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في قبة له من أدم فقال يا معشر الانصار ما هذا الذي بلغني ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله وكنتم أذلة فاعزكم الله وكنتم وكنتم قال فقال سعد بن عبادة رحمه الله ائذن لي فأتكلم قال تكلم أما قولك كنتم ضلالا فهداكم الله فكذلك وكنتم أذلة فاعزكم الله فقد علمت العرب ما كان حي من أحياء العرب أمنع لما وراء ظهورهم منا فقال عمر يا سعد أتدري من تكلم فقال نعم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سلكت الانصار واديا والناس واديا لسلكت وادي الانصار ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الانصار كرشي وعيبتي فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار أما ترضون أن ينقلب الناس بالابل والشاء وتنقلبون برسول الله الى بيوتكم فقالت الانصار رضينا عن الله و رسوله والله ما قلنا ذلك الا حرصا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله يصدقانكم و يعذرانكم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته أوظئره من بني سعد بن بكر أتته فسألته سبايا يوم حنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا أملكهم وانما لي منهم نصيبي ولكن ائتيني غدا فسليني والناس عندي واني اذا أعطيتك نصيبي أعطالك الناس فجاءت الغد فبسط لها ثوبا فقعدت عليه ثم سألته فأعطاها نصيبه فلما رأى ذلك الناس أعطوها أنصباءهم **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي لقد نصركم الله في مواطن كثيرة الآية ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال يا رسول الله لن نغلب اليوم من قلة وأعجبته كثرة الناس وكانوا اثني عشر ألفا فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم فولوا الى كلمة الرجل فانهزموا عن رسول الله غير العباس وأبي سفيان بن الحرث وأيمن بن أم أيمن قتل يومئذ بين يديه فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الانصار أين الذين بايعوا تحت الشجرة فتراجع الناس فأنزل الله الملائكة بالنصر فهزموا المشركين يومئذ وذلك قوله ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها الآية **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن

لأوهم اشتراك الفريقين فى اتخاذ المسيح ربا (وما أمروا) الضمير للمتخذين والذى أمرهم بذلك أدلة العقل والكتب السماوية وفى القرآن حكاية عن المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ويجوز أن يكون الضمير للاحبار والرهبان أى وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب الايمان يكونوا مربوبين ثم نزه نفسه عن مقالة الظالمين فقال (سبحانه عما يشركون) ثم ذكر نوعا آخر من قبائح

أفعال أهل الكتاب وهو سعيهم فى ابطال أمر محمد وجدهم فى اخفاء الدلائل الدالة على صحة نبوته فقال (يريدون أن يطفؤا نور الله) أى دينه الثابت بالدليل المشبه بالنور لاشتراكهما فى الاهتداء بهما وذلك أن دين محمد مؤيد بالمعجزات الباهرة التى بمثلها ثبتت نبوة موسى وعيسى ولاسيما بالقرآن وحاصل شرعه تعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به والانقياد لطاعته وصرف النفس عن الامور الفانية والترغيب فى السعادات الباقية ثم انهم بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة أرادوا ابطال هذه الدلائل فكانوا كمن يريد ابطال نور الشمس الذى هو أشد الانوار المحسوسة بسبب أن ينفخ فيه ولا ريب أن ذلك سعى باطل وكيد زاهق ولهذا قال (ويأبى الله الا أن يتم نوره) أى لم يرد الله الا ذلك الا أن الاباء يفيد زيادة على عدم الارادة وهى المنع والامتناع قال * وان أرادوا ظلمنا أبينا * امتدح بذلك ولا يجوز أن يمتدح بانه يكره الظلم لان ذلك يستوى فيه القوى والضعيف وفيه وعد بمزيد النصرة والقوة واعلاء الدرجة ثم أكد ذلك المعنى بقوله (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) أى بكثرة الدلائل والمعجزات (ودين الحق) لاشتماله على أمور تظهر لكل أحد كونه موصوفا بالصواب ومطابقا للحكمة ومؤديا الى صلاح الدنيا والآخرة ثم بين غاية أمره وتمام حكمه فقال (ليظهره على الدين كله) أى ليجعل الرسول أو دين الحق ولقد غالبا على أهل الاديان كلهم أو على كل دين عن أبى هريرة أنه قال هذا وعد من الله بأن يجعل الاسلام ظاهرا على جميع الاديان وتمام هذا انما يظهر عند خروج المهدى ونزول عيسى وقال السدى ذلك عند خروج المهدى عليه السلام لا يبقى أحد الا دخل فى الاسلام أو أدى

الزهرى عن كثير بن عباس بن عبد المطلب عن أبيه قال لما كان يوم حنين التقى المسلمون والمشركون فولى المسلمون يومئذ قال فلقد رأيت النبى صلى الله عليه وسلم وما معه أحد الا أبو سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب آخذا بغرز النبى صلى الله عليه وسلم لا يألو ما أسرع نحو المشركين قال فأتيت حتى أخذت بلجامه وهو على بغلة له شهباء فقال يا عباس نادأصحاب السمرة وكنت رجلا صيتا فأذنت بصوتى الأعلى أين أصحاب السمرة فالتفتوا كأنها الابل اذا حنت الى أولادها يقولون يا لبيك يا لبيك وأقبل المشركون فالتقوا هم والمسلمون وتنادت الانصار يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة فى بنى الحرث بن الخزرج فتنادوا يا بنى الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول الى قتالهم فقال هذا حين حمى الوطيس ثم أخذ بيده من الحصباء فرماهم بها ثم قال انهزموا ورب الكعبة انهزموا ورب الكعبة قال فوالله ما زال أمرهم مدبرا وحدهم كليلا حتى هزمهم الله قال فلكأنى أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبى ثم جاء قومهم مسلمين بعد ذلك فقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان عندى من ترون وان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء قد جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده منهم شئ فطابت نفسه أن يرده فليفعل ذلك ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا يا نبى الله رضينا وسلمنا فقال انى لا أدرى لعل منكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء أن قد رضوا وسلموا حدثنا على بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا حماد بن سلمة قال ثنا يعلى بن عطاء عن أبى هماء عن أبى عبد الرحمن يعنى الفهرى قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين فلما ركدت الشمس لبست لأمتى وركبت فرسى حتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى ظل شجرة فقلت يا رسول الله قد حان الرواح فقال أجل فنادى يا بلال يا بلال فقام بلال من تحت سمرة فأقبل كان ظله ظل طير فقال لبيك وسعديك ونفسى فداؤك يا رسول الله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم أسرج فرسى فأخرج سرجا دفتاه حشوهما ليف ليس فيهما أشر ولا بطر قال فركب النبى صلى الله عليه وسلم فصافحنا هم يومنا وليلتنا فلما التقى الخيلان ولى المسلمون مدبرين كما قال الله فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباد الله يا معشر المهاجرين قال ومال النبى صلى الله عليه وسلم عن فرسه فأخذ حفنة من تراب فرمى بها وجوههم فولوا مدبرين قال يعلى بن عطاء فحدثنى أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا ما بقى منا أحد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت البراء وسأله رجل من قيس فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال البراء لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر وكانت هوازن يومئذ رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام

الخراج قلت قد دخل فى عصرنا من الملوك الكفرة ومن أشياعهم فى الاسلام مالا يعد ولا يحصى وازداد ذلك كل يوم دليل ظاهر على أن الكل سيدخلون فى الاسلام وقد جاء فى الحديث زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها وقيل ليظهره الاسلام على غيره فى جزيرة العرب وهذا التخصيص أوجبه ضيق (٣٠) العطن وقيل ليظهر الرسول على جميع

ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحرث آخذ بلجامها وهو يقول

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أ عن اسرائيل عن أبى اسحق عن البراء قال سأله رجل يا أبا عمارة وليتم يوم حنين فقال البراء وأنا أسمع أشهد أن رسول الله لم يول يومئذ بره وأبو سفيان يقود بغلته فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

فما رؤى يومئذ أحد من الناس كان أشد منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى جعفر ابن سليمن عن عوف الاعرابى عن عبد الرحمن مولى أم برثن قال ثنى رجل كان من المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب محمد عليه السلام لم يقفوا لنا حلب شاة أن كشفناهم فبينا نحن نسوقهم اذا نتهينا الى صاحب البغلة الشهباء فتلقانا رجال بيض حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبنا اياهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد قال أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم حنين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قال ويومئذ سمى الله الانصار مؤمنين قال فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ قال كانوا اثنى عشر ألفا حدثنا محمد بن يزيد الآدمى قال ثنا معن بن عيسى عن سعيد بن السائب الطائفى عن أبيه عن يزيد بن عامر قال لما كانت انكشافة المسلمين حين انكشفوا يوم حنين ضرب النبى صلى الله عليه وسلم بيده الى الارض فأخذ منها قبضة من تراب فأقبل بها على المشركين وهم يتبعون المسلمين فشاها فى وجوههم وقال ارجعوا شاهت الوجوه قال فانصرفنا ما يلقى أحدا أحدا الا وهو يمسح القذى عن عينيه

* وبه عن يزيد بن عامر السوائى قال قيل له يا أبا حاجز الرعب الذى ألقى الله فى قلوب المشركين ماذا وجدتم قال وكان أبو حاجز مع المشركين يوم حنين فكان يأخذ الحصاة فيرمى بها فى الطست فيطن ثم يقول كان فى أجوافنا مثل هذا حدثنا القاسم قال ثنا الحسن بن عرفة قال ثنى المعتمر ابن سليمن عن عوف قال سمعت عبد الرحمن مولى أم برثن أو أم مريم قال ثنى رجل كان فى المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة قال فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم فى أدبارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا فكانت اياها ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره ثم من بعد ما ضاقت عليكم الأرض بما رحبت وتوليتكم الاعداء أدباركم كشف الله نازل البلاء عنكم بانزاله السكينة وهى الأمنة والطمأنينة عليكم وقد بينا أنها فعيلة من السكون فيما مضى من كتابنا هذا قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا

وجد هذه الآيات كأنها ما انزلت الا فى شأنهم وشرح أحوالهم فترى الواحد منهم يدعى أنه لا يلتفت الى الدنيا ولا يعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه فى الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهالك ويتحمل الذل والدناءة فى تحصيله وفى قوله كثيرا دلالة على أن هذه الطريقة بعضهم لا كلهم فان العالم

لا يخلو عن الحق واطباق الكل على الباطل واثبات ذلك كالممتنع وهذا يوهم أنه كما ان اجماع هذه الامة على الباطل لا يحصل فكذلك فى سائر الامم وعبر عن أخذهم أموال الناس بالاكل تسمية للشئ باسم ما هو أعظم مقاصده وأيضا من أكل شيأ تقدضمه الى نفسه ومنعه من الوصول الى غيره كالوأخذه ولهذا قال من أخذ أموال الناس فاذا طولب بردها قال أكلتها وما بقيت فلا قدرة لى على ردها وفى

تفسير الباطل وجوه منها أنهم كانوا يأخذون الرشا فى تخفيف الاحكام والمسامحة فى الشرائع وفى اخفاء نعت محمد وتأويل الدلائل الدالة على نبوته ومنها أنهم كانوا يدعون عند عوامهم الحق أنه لا سبيل الى الفوز برضاة الله تعالى الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال فى مرضاتهم والعوام كانوا يغترون بتلك الاكاذيب ومنها أنهم قالوا طريق الى تقوية دينهم الا اذا كان أولئك الفقها أقوياء عظماء أصحاب الجاه والحشمة والاموال كما يفعله المرؤرون فى زماننا هذا أما قوله (ويصدون عن سبيل الله) فمعناه يبالغون فى المنع من متابعة محمد كيلا يبطل جاههم وحشمتهم عند العوام لو أقروا بدينه ثم قال سبحانه (والذين يكنزون) الكنز هو المال المدفون وقد كنزه يكنزه والتركيب يدل على الجمع ومنه ناقة كناز مكتنزة اللحم واكتنز الشئ اجتمع قيل المراد بقوله والذين يكنزون الاحبار والرهبان لما وصفهم بالحرص الشديد أراد أن يصفهم بالامتناع من اخراج الواجبات عن أموالهم وقيل المقصود منعو الزكاة من المسلمين ووجه النظم أنه لما كان حال من أمسك مال نفسه بالباطل كذلك فما ظنك بحال من سعى فى أخذ مال غيره بالباطل والخديعة عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا أنا بأبى ذر فقلت له ما أنزلك هذه البلاد قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية فى هذه الآية فقال معاوية نزلت فى أهل الكتاب وقلت نزلت فينا وفيهم فصار ذلك سببا للوحشة فكتب الى عثمان يشكونى فكتب الى عثمان أن اقدم المدينة فلما قدمت المدينة انحرز الناس عنى كأنهم لم يرونى من قبل فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فلما قلت

الموضع وأنزل جنودا لم تروها وهى الملائكة التى ذكرت فى الاخبار التى قد مضى ذكرها وعذب الذين كفروا بقول وعذب الله الذين جحدوا وحدانيته ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالقتل وسبى الاهلين والذرارى وسلب الاموال والذلة وذلك جزاء الكافرين يقول هذا الذى فعلنا بهم من القتل والسبى جزاء الكافرين يقول هو ثواب أهل جحود وحدانيته ورسالة رسوله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وعذب الذين كفروا يقول قتلهم بالسيف حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفرى عن يعقوب عن جعفر عن سعيد وعذب الذين كفروا قال بالهزيمة والقتل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين قال من بقى منهم ☜ القول فى تأويل قوله ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ثم يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والانابة اليه من بعد عذابه الذى به عذب من هلك منهم قتلا بالسيف على من يشاء أى يتوب الله على من يشاء من الأحياء يقبل به الى طاعته والله غفور لذنوب من أناب وتاب اليه منهم ومن غيرهم منها رحيم بهم فلا يعذبهم بعد توبتهم ولا يؤاخذهم بها بعد انابتهم ☜ القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله وأقروا بوحدانيته ما المشركون الا نجس * واختلف أهل التأويل فى معنى النجس وما السبب الذى من أجله سماهم بذلك فقال بعضهم سماهم بذلك لانهم يجنبون فلا يغتسلون فقال هم نجس ولا يقربوا المسجد الحرام لان الجنب لا ينبغى له أن يدخل المسجد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر فى قوله انما المشركون نجس لا أعلم قتادة الا قال النجس الجنابة * وبه عن معمر قال وبلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى حذيفة وأخذ النبى صلى الله عليه وسلم بيده فقال حذيفة يا رسول الله انى جنب فقال ان المؤمن لا ينجس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس أى أجناب * وقال آخرون معنى ذلك ما المشركون الا رجس خنزير أو كلب وهذا قول روى عن ابن عباس من وجه غير حميد فكر هنا ذكره وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا يقول للمؤمنين فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرم وانما عنى بذلك منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرام * وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم فيه نحو الذى قلناه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر وابن المثنى قالا ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قال عطاء الحرم كله قبلة ومسجد قال فلا يقربوا المسجد الحرام يعنى المسجد وحده انما عنى مكة والحرم قال ذلك غير مرة وذكر عن عمر بن عبد العزيز فى ذلك ما حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير قال ثنى الوليد ابن مسلم قال ثنا أبو عمرو أن عمر بن عبد العزيز كتب أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين واتبع فى نهيه قول الله انما المشركون نجس حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن الحسن انما المشركون نجس قال لا تصافحوهم فمن صافحهم

انى والله لا أدع ما كنت أقول وعن الاحنف قال لما قدمت المدينة رأيت أبا ذر يقول بشر الكانزين برضف يحمى عليه فى نار جهنم فيوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فلما سمع القوم ذلك تركوه فاتبعته وقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ما عسى يصنع بى قريش واختلف علماء الصحابة فى هذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو المال الذى لم تؤد زكاته عن عمر بن الخطاب مال أديت زكاته فليس بكنز وقال ابن عمر كل ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين وكل مال لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان فوق الارض وقال جابر اذا أخرجت الصدقة من مالك فقد أذهبت عنه شره وليس بكنز وعن ابن عباس قوله ولا ينفقونها فى سبيل الله يريد الذين لا يؤدون زكاة أموالهم قال القاضى ويندرج فيه سائر الحقوق من الكفارات والديون ونفقة الحج والجهاد والانفاق على الاهل والعيال وضمان المتلفات وأروش الجنايات وقال الأقلون كل مال كثير فهو مذموم سواء أديت زكاته أو لم تؤد وحجة الاولين قوله تعالى لها ما كسبت ولا يسألكم أموالكم وقوله عليه السلام كل امرئ أحق بكسبه نعم المال الصالح الرجل الصالح ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان بالطنا وما بلغ أن يزكى ولم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وقد كان فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الاغنياء كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكان يعدهم من أكابر المؤمنين وقد ندب الى اخراج الثلث أو الاقل فى المرض ولو كان جمع المال محرما لكان يأمر المريض أن يتصدق بالكل بل الحجيج فى حال صحته حجة الأقلين عموم الآية وما روى سالم بن الجعد أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فما لو له صلى الله عليه وسلم أى مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه وقوله من ترك صفراء أو بيضاء تروى بها وتوفى رجل فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفى آخر فوجد فى مئزره دينارا ان فقال

فليتوضأ وأما قوله بعد عامهم هذا فانه يعنى بعد العام الذى نادى فيه على رضى الله عنه ببراءة وذلك عام حج بالناس أبو بكر وهى سنة تسع من الهجرة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهو العام الذى حج فيه أبو بكر ونادى على رضى الله عنه بما بالاذان وذلك لتسع سنين مضين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج نبى الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل حجة الوداع لم يحج قبلها ولا بعدها وقوله وان خفتم عيلة يقول للمؤمنين وان خفتم فاقة وفقرا بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء يقال منه عال يعيل عيلة وعيولا ومنه قول الشاعر

وما يدرى الفقير متى غناه * وما يدرى الغنى متى يعيل

وقد حكى عن بعضهم أن من العرب من يقول فى الفاقة عال يعول بالواو وذكر عن عمرو بن قائد أن كان تأول قوله وان خفتم عيلة يعنى وان خفتم وقد خافوا وذلك نحو قول القائل لأبيه ان كنت أبى فأكرمنى يعنى اذ كنت أبى وانما قيل ذلك لهم لان المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم انقطاع تجاراتهم ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك وأنهم من الله من العيلة وعوضهم مما كانوا يكرهون انقطاعه عنهم ما هو خير لهم منه وهو الجزية فقال لهم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله الى الصاغرون وقال قوم بادرا المطر عليهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام ألقى الشيطان فى قلوب المؤمنين الحزن قال من أين تأكلون وقد نفى المشركون وانقطعت عنكم العير فقال الله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فأمرهم بقتال أهل الكتاب وأغناهم من فضله حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال كان المشركون يجيئون الى البيت ويجيئون معهم بالطعام ويتجرون فيه فلما نهوا أن يأتوا البيت قال المسلمون من أين لنا طعام فأنزل الله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فأنزل عليهم المطر وكثر خيرهم حتى ذهب عنهم المشركون حدثنا ابن وكيع قال ثنا جعد ابن عبد الرحمن عن على بن صالح عن سماك عن عكرمة انما المشركون نجس الآية ثم ذكر نحو حديث هناد عن أبى الاحوص حدثنا ابو بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن واقد عن سعيد بن جبير قال لما نزلت انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا من يأتينا بطعامنا ومن يأتينا بالمتاع فنزلت وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن واقده ولى زيد بن خليدة عن سعيد بن جبير قال كان المشركون يقدمون عليهم بالتجارة فنزلت هذه الآية انما المشركون نجس الى قوله عيلة قال الفقر فسوف يغنيكم الله من

كيتان وعن علي رضي الله عنه كل مال زاد على أربعة آلاف فهو كنز أديت منه الزكاة أولم تؤد ومن المعقول ان الله تعالى خلق الاموال لدفع الحاجات فاذا حصل للرء منه مازاد على قدر حاجته ومنع منه الغير كان مانعا من ظهور رحمة الله ودافعا لوجوه الاحسان الى عبيده وقد رام طائفة من العلماء الجمع بين القولين فقالوا كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدي عنه ما أوجب عليه ثم يعاقبه وقال أهل التحقيق النهي عن جمع المال محمول على التقوى لأن تزايد المال لا حد له يقف هنالك فينجر الى تضييع العمر تارة في تحصيله وأخرى في حفظه ولانه كلما ازداد المال ازدادت لذته بذلك فيشتد حرصه ولا ينقطع البتة وقد يفضي الى الطغيان والخذلان كقوله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ولو لم يكن في الفقر سوى الانكسار وقلة التعلق وفراغ البال لكفى بها منقبة وفخرا وكل ما يلهيك عن الله ولم يكن في سبيل الله فعدمه خير من وجوده وأما ظاهر الفتوى فهو أن صاحب المال الكثير لا عتب عليه اذا أدى منه حقوقه هذا ومن حمل الآية على وعيد ما نعي الزكاة في النقود قاس الزكاة في المواشي عليه وقد ورد أيضا في الحديث ما من صاحب ابل أو بقر أو غنم وهو مشهور ولا ريب أن الاصل المعتبر في الاموال هو النقدان وسائر الامتعة انما تحصل بهما وتدور عليهما ولمن أوجب الزكاة في الحلي المباح الاستدلال بالآية لان الذهب والفضة يشملهما ومن لم يوجب الزكاة فيه خصص عموم الآية بما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لا زكاة في الحلي المباح

فضله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية العوفي قال قال المسلمون قد كنا نصيب من تجارتهم وبياعاتهم فنزلت انما المشركون نجس الى قوله من فضله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبي أحسبه قال أنبأنا أبو جعفر عن عطية قال لما قيل ولا يحج بعد العام مشرك قالوا قد كنا نصيب من بياعاتهم في الموسم قال فنزلت يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله يعني بما فاتهم من بياعاتهم حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال بالجزية حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان وأبو معاوية عن أبي سنان عن ثابت عن الضحاك قال أخرج المشركون من مكة فشق ذلك على المسلمين وقالوا كنا نصيب منهم التجارة والميرة فأنزل الله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله كان ناس من المسلمين يتألفون العير فلما نزلت براءة بقتال المشركين حيثما ثقفوا وأن يقعدوا لهم كل مرصد قذف الشيطان في قلوب المؤمنين فمن أين تعيشون وقد أمرتم بقتال أهل العير فعلم الله من ذلك ما علم فقال ان طعيعونى وامضوا الأمر ي وأطيعوا رسولي فاني سوف أغنيكم من فضلي فتوكل لهم الله بذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله انما المشركون نجس الى قوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء قال قال المؤمنون كنا نصيب من متاجر المشركين فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله عوضا لهم بان لا يقربوهم المسجد الحرام فهذه الآية من أول براءة في القراءة ومن آخرها في التأويل قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله عن يد وهم صاغرون حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام شق ذلك على المسلمين وكانوا يأتون ببياعات ينتفع بذلك المسلمون فانزل الله تعالى ذكره وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله فاغناهم بهذا الخراج الجزية الجارية عليهم يأخذونها شهرا شهرا عاما عاما فليس لاحد من المشركين أن يقرب المسجد الحرام بعد عامهم بحال الا صاحب الجزية أو عبد رجل من المسلمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الذمة * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال الا صاحب جزية أو عبد الرجل من المسلمين حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا حجاج عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في هذه الآية انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام الا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الجزية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وان

ولم يصححه أبو عيسى الترمذي وبتقدير أن يصح حملوه على اللآلئ لقوله تعالى وتستخرجون حلية تلبسونها والقائل أن يقول لو حملنا الحلي في الحديث على اللآلئ لم تبق لقيد المباح فائدة ثم انه تعالى ذكر شيئين الذهب والفضة ثم قال ولا ينفقونها فقيل الضمير عائد الى المعنى وهو الكنوز أو الاموال أو لأن كل واحد منهما حملة واحدية وافية وعدة كثيرة ودراهم ودنانير

خفتم

فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل الى اللفظ أى ولا ينفقون الفضة وحذف الذهب اما لأنه داخل فى الفضة من حيث كونهما جوهرين ثمينين نفيسين مقصودين بالكنز فأغنى ذكر أحدهما عن الآخر كقوله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا وإما لان التقدير والذهب كذلك كما ان معنى قوله

خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال أغناهم الله بالجزية الجارية شهرا فشهرا وعاما فعاما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن أبى الزبير عن جابر انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال لا يقرب المسجد الحرام بعد عامه هذا مشرك ولا ذمى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة وذلك أن الناس قالوا لتقطعن عنا الاسواق ولتهلكن التجارة وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق فنزل وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله من وجه غير ذلك ان شاء الى قوله وهم صاغرون ففى هذا عوض مما تخوفتم من قطع تلك الاسواق فعوضهم الله بما قطع عنهم من أمر المشرك ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية وأما قوله ان الله عليم حكيم فان معناه ان الله عليم بما حدثتكم به أنفسكم أيها المؤمنون من خوف العيلة عليها بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام وغير ذلك من مصالح عباده حكيم فى تدبيره اياهم وتدبير جميع خلقه ﴿القول فى تأويل قوله﴾ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم قاتلوا أيها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يقول ولا يصدقون بجنة ولا نار ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق يقول ولا يطيعون الله طاعة الحق يعنى أنهم لا يطيعون طاعة أهل الاسلام من الذين أوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى وكل مطيع ملكا أو ذا سلطان فهو دائن له يقال منه دان فلان لفلان فهو يدين له دينا قال زهير

لئن حللت بجو فى بنى أسد * فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

وقوله من الذين أوتوا الكتاب يعنى الذين أعطوا كتاب الله وهم أهل التوراة والانجيل حتى يعطوا الجزية والجزية الفعلة من جزى فلان فلانا ما عليه اذا قضاه يجزيه والجزية مثل القعدة والجلسة ومعنى الكلام حتى يعطوا الخراج عن رقابهم الذى يبذلونه للمسلمين دفاعا عنها وأما قوله عن يد فانه يعنى من يده الى يد من يدفعه اليه وكذلك يقول العرب لكل معط قاهر له شيأ طائعا له أو كارها أعطاه عن يده وعن يد وذلك نظير قولهم كلمته فاه الى فى ولقيته كفة لكفة وكذلك أعطيته عن يد ليد وأما قوله وهم صاغرون فان معناه وهم أذلاء مقهورون يقال للذليل الحقير صاغر وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمره بحرب الروم فغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها غزوة تبوك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه * واختلف أهل التأويل فى معنى الصغار الذى عناه الله فى هذا الموضع فقال بعضهم أن يعطيها وهو قائم والآخذ جالس ذكر من قال ذلك

* فانى وقيار بها لغريب *

وقيار كذلك ثم قال (فبشرهم بعذاب أليم) تهكما مثل قولهم تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم ولو قيل البشارة هى الخبر الذى يؤثر فى القلب فيتغير بسببه لون بشرة الوجه سواء كان من الفرح أو من الغم كان حقيقة (يوم يحمى عليها) معناه أن النار تحمى عليها أى يوقد عليها نار ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى أى الكنوز كقولك أحميت الحديد لم يفد هذا المعنى وانما ذكر الفعل مع ان الاحماء للنار لانه مسند الى الجار والمجرور بعد حذف النار كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) ذكر العلماء فى تخصيص هذه الأعضاء بالكى وجوها منها أن حصول الاموال يقصد به فرح فى القلب يظهر أثره فى الوجه وشبع يتفخ بسببه الجنبان ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم فعوروضوا بنقيض المقصود ومنها ان هذه الاعضاء يعظم تألم الكونها مجوفة ولما فى داخلها من الاعضاء الشريفه ومنها أنهم يكوون على الجهات الاربع أمامن قدام فعلى الجبهة وأمامن خلف فعلى الظهر وأمامن اليمين واليسار فعلى الجنبين ومنها أن المراد وقوع الكى على كل الاعضاء لانها اما فى غاية النظافة ومثاله الجبهة واما فى غاية الصلابه ومثاله الظهر واما متوسطة ومثاله الجنبان ومنها أن الجمال فى الوجه والقوة فى الظهر والجنبين والانسان انما يطلب المال للجمال والقوة فعورض بازالتهما ومنها قول أبى بكر الوراق خصت بالذكر لان صاحب المال اذا رأى الفقير قبض جبينه واذا قعد جنبه تباعد عنه تحافى عنه وولى ظهره وأنا أقول يحتمل أن يراد بالجباه قدام الشخص حتى لم يذم نفسه خيرا وبالظهور رجعة الخلف

حيث خلف ما أعقبه الحسرات وبالجنوب اليمين والشمال حيث لم يصرف المال فى مرضاة الله وأنفقه فى معصيته وسخطه وهذا بالتأويل أليق ثم الذى جعل كياهو كل ماله أو قدر الزكاة الظاهر أنه الكل لانه لما لم يخرج منه الحق كان ذلك الجزء شائعا فى كل ماله فناسب أن يعذب بكل الاجزاء ثم

قال (هذا ما كنتم) والتقدير فيقال لهم هذا ما كنتم (لأنفسكم) وفيه توبيخ واشعار بأنهم عوروضوا بنقيض ما قصدوا وأكد ذلك بقوله (فذوقوا ما كنتم تكنزون) ما مصدرية أو موصولة والمعنى اعرفوا وبال كونكم كانزين أو ذوقوا وبال المال الذى كنتم تكنزونه ثم ذكروا آخر من قبائح أعمال اليهود والنصارى والمشركين فقال (إن عدة الشهور) الآيتان وذلك أنه تعالى لما حكم فى كل وقت بحكم خاص فاذا غيروا تلك الاوقات بسبب النسى والكبيسة كان ذلك سعيا منهم فى تغيير حكم الله بحسب الهوى فكان ذلك زيادة فى كفرهم واعلم أن المعالم الشرعية كلها منوطة بالشهور القمرية الهلالية لقوله سبحانه قل هى مواقيت للناس والحج والسنة القمرية عبارة عن اثنى عشر شهرا قريبا بدليل قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال أبو على الفارسى لا يجوز أن يتعلق قوله فى كتاب الله بقوله عدة الشهور للفصل بالاجنبى وهو الخبر أعنى اثنا عشر فقوله فى كتاب الله ويوم خلق الثانى بدل من الاول وهو من عند والتقدير ان عدة الشهور عند الله فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض وفائدة الابدالات تقرير الكلام فى الاذهان لانه يعلم منه ان ذلك العدد واجب عند الله وثابت فى علمه فى أول ما خلق الله العالم ويجوز أن يكون فى كتاب الله صفة اثنا عشر أى اثنا عشر شهرا مثبتة فى كتاب الله وعلى هذا لا يجوز أن يراد بالكتاب كتاب من الكتب لان يوم متعلق به ولا تتعلق الظروف باسماء الاعيان لا يقال غلامك يوم الجمعة بل الكتاب يكون مصدرا بمعنى المفعول أى فيما أنبأه فى ذلك اليوم اللهم الا اذا قدر الكلام هكذا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا مكتوبا فى كتاب الله يوم خلق قال ابن عباس هو

حدثنى عبد الرحمن بن بشر النيسابورى قال ثنا سفيان عن ابن سعيد عن عكرمة حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون قال أى تأخذها وأنت جالس وهو قائم * وقال آخرون معنى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون عن أنفسهم بأيديهم يمشون بها وهم كارهون وذلك قول روى عن ابن عباس من وجه فيه نظر * وقال آخرون اعطاؤهم اياها هو الصغار ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ اختلف أهل التأويل فى القائل عزير ابن الله فقال بعضهم كان ذلك رجلا واحدا وهو فنحاص ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير قوله وقالت اليهود عزير ابن الله قال قالها رجل واحد قالوا ان اسمه فنحاص وقالوا هو الذى قال ان الله فقير ونحن أغنياء * وقال آخرون بل كان ذلك قول جماعة منهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت قال ثنى سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيرا ابن الله فأنزل الله فى ذلك من قولهم وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى أنى يؤفكون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالت اليهود عزير ابن الله وانما قالوا هو ابن الله من أجل أن عزيرا كان فى أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعملون بها ماشاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالاهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم وأرسل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى جعل الرجل يمشى كبده حتى نسوا التوراة ونسخت من صدورهم وفيهم عزير فكثوا ماشاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم وكان عزير قبل من علمائهم فدعا عزير الله وابتهل اليه أن يرد اليه الذى نسخ من صدره من التوراة فبينما هو يصلى مبتهلا الى الله نزل نور من الله فدخل جوفه فعاد اليه الذى كان ذهب من جوفه من التوراة فأذن فى قومه فقال يا قوم قد آتانى الله التوراة وردها الىّ فعلق يعلمهم فكثوا ماشاء الله وهو يعلمهم ثم ان التابوت نزل بعد ذلك وبعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذى كان عزير يعلمهم فوجدوه ومثله فقالوا والله ما أوتى عزير هذا الا أنه ابن الله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وقالت اليهود عزير ابن الله انما قالت ذلك لانهم ظهرت عليهم العمالقة فقتلوهم وأخذوا التوراة وذهب علمأوهم الذين يقرؤنها فنفوا كتب التوراة فى الجبال وكان عزير غلاما يتعبد فى رؤس الجبال لا ينزل الا يوم عيد فعجل الغلام يبكى ويقول رب تركت بنى اسرائيل بغير علم فلم يزل يبكى حتى سقطت أشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما رجع اذا هو بامرأة قد مثلت له عند قبر من تلك القبور تبكى وتقول يا مطعماه ويا كاسياه فقال لها ويحك من كان يطعمك ويكسوك ويسقيك وينفعك قبل هذا الرجل قالت الله قال فان

اللوح المحفوظ وقيل القرآن (منها أربعة حرم) ثلاثة سرد أى مسرودة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب (ذلك الدين القيم) يعنى ان تحريم الاشهر الحرم الدين المستقيم الذى كان عليه ابراهيم واسمعيل وقد توارثته العرب منهم وكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى لو لقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه تركه (فلا تظلموا فيهن) أى فى الاشهر الاربعة (أنفسكم) بان تجعلوا حرامها حلالا عن عطاء قال تالله ما يحل للناس أن يغزوا فى الحرم ولا فى الاشهر الحرم الا أن يقاتلوا وما نسخت وعن الحسن مثله لانه فسر الدين القيم بانه الثابت الدائم الذى لا يزول وعن عطاء الخراسانى أحلت القتال فى الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق والسبب فيه أن لبعض الاوقات أثرا فى زيادة الثواب أو العقاب كالأمكنة وكانت الحكماء يختارون لاجابة الدعاء أوقاتا مخصوصة وفيه فائدة أخرى هى أن الانسان جبل مطبوعا على الظلم والفساد ومنعه من ذلك على الاطلاق شاق عليه فخص بعض الازمنة والامكنة بطاعة ليسهل عليه الاتيان بها فيهن ولا يمتنع عن ذلك ثم لو اقتصر على ذلك فهو أمر مطلوب فى نفسه وان جره ذلك الى الاستدامة والاستقامة بحسب الالفة والاعتياد أو لاعتقاده أن الاقدام على ضد ذلك يبطل مساعيه السالفة فذلك هو المطلوب الكلى ولا ريب أن تخصيص ذلك من الشارع أقرب الى اتحاد الآراء وتطابق الكلمة وقيل الضمير فى قوله فيهن عائد الى اثنا عشر والمقصود منع الانسان من الاقدام على الفساد مدة عمره أو المراد المنع من النسىء على ما يجىء قال الفراء الاولى رجوع الضمير الى الاربعة لقربها ولما ذكرنا أن لهذه الاشهر مزيد شرف فناسب أن تخص بالمنع من الظلم ولان العرب تختار فيما بين الثلاثة الى العشرة ضمير الجماعة وفيما جاوز العشرة وهو جمع الكثرة تختار ضمير الوحدة قال حسان

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

الله حتى تبعث قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بنى اسرائيل قال الله قالت فلم تبكى عليهم فلما عرف أنه قد خصم ولى مدبرا فدعته فقالت يا عزير اذا أصبحت غدا فأت نهر كذا وكذا فاغتسل فيه ثم اخرج فصل ركعتين فانه يأتيك شيخ فأعطاك فخذه فلما أصبح انطلق عزير الى ذلك النهر فاغتسل فيه ثم خرج فصلى ركعتين فجاءه الشيخ فقال افتح فمك ففتح فيه فألقى فيه شيأ كهيئة الجمرة العظيمة مجتمعا كهيئة القوارير ثلاث مرار فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة فقال يا بنى اسرائيل انى قد جئتكم بالتوراة فقالوا يا عزير ما كنت كذابا فعمد فربط على كل اصبع له قلما وكتب بأصابعه كلها فكتب التوراة كلها فلما رجع العلماء أخبروا بشأن عزير فاستخرج أولئك العلماء كتبهم التى كانوا دفنوها من التوراة فى الجبال وكانت فى خواب مدفونة فعارضوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا ما أعطاك الله هذا الا لأنك ابنه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء اهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين وقالت اليهود عزير ابن الله لا ينونون عزيرا وقرأه بعض المكيين والكوفيين عزير ابن الله بتنوين عزير قال هو اسم عبرى وان كان أعجميا لخفته وهو مع ذلك غير منسوب الى الله فيكون بمنزلة قول القائل زيد ابن عبد الله وأوقع الابن موقع الخبر ولو كان منسوبا الى الله لكان الوجه فيه اذا كان الابن خبرا الاجراء والتنوين فكيف وهو منسوب الى غير أبيه * وأما من ترك تنوين عزير فانه لما كانت الباء من ابن ساكنة مع التنوين الساكن والتقى ساكنان حذف الاول منهما استثقالا لتحريكه قال الراجز

لتجدنى بالأمير برا * وبالقناة مدعسا مكرا * اذا غطيف السلمى فرا

فحذف النون الساكن الذى استقبلها * قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ عزير ابن الله بتنوين عزير لان العرب لا تنون الاسماء اذا كان الابن نعتا للاسم كقولهم هذا زيد بن عبد الله فأرادوا الخبر عن عزير بأنه ابن الله ولم يريدوا أن يجعلوا الابن له نعتا والابن فى هذا الموضع خبر لعزير لأن الذين ذكر الله عنهم أنهم قالوا ذلك انما أخبروا عن عزير أنه كذلك وان كانوا بقيلهم ذلك كانوا كاذبين على الله مفترين وقالت النصارى المسيح ابن الله دلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يعنى قول اليهود عزير ابن الله يقول نسبة قول هؤلاء فى الكذب على الله والفرية عليه ونسبتهم المسيح الى أنه لله ابن ككذب اليهود وفريتهم على الله فى نسبتهم عزيرا الى أنه لله ابن ولا ينبغى أن يكون لله ولد سبحانه بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يقول يشبهون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل النصارى يضاهؤن قول اليهود فى عزير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج

ويقال لثلاث خلون من شهر كذا ولاحدى عشرة ليلة خلت ثم قال عز من قائل (وقاتلوا المشركين) وظاهر الآية يدل على اباحة القتال في جميع الاشهر لأن الامر الوارد عقيب الحرمة يدل على الاباحة ومعنى (كافة) جميعا لانهم اذا اجتمعوا تراصوا فكف بعضهم بعضا ونصبه على المصدر عند بعضهم لانه مثل العاقبة والعافية وقال الزجاج نصبه على الحال ولا يجوز أن يثنى ويجمع ويعرف باللام كقولك قاموا معا وقاموا جميعا وفي وجه التشبيه في قوله (كما يقاتلونكم كافة) قولان فعن ابن عباس قاتلوهم بكلتهم ولا تحابوا بعضهم بترك القتال كما أنهم يستحلون قتالكم جميعكم وقيل قاتلوهم بأجمعكم غير متفرقين في مقاتلة الاعداء ومقابلتهم فعلى الاول يكون كافة حالا من المفعول وعلى الثاني يكون حالا من الفاعل وفي قوله (واعلموا أن الله مع المتقين) حث لهم على التقوى وعلى الجهاد بضمان النصر والمعونة ثم فسر الظلم المنهي عنه في الآية المتقدمة وأكد النهي عنه بقوله (انما النسيء) وهو مصدر نسأ اذا أخر كالنذير والنكير وقال قطرب أصله الزيادة من قوله نسأت المرأة اذا حبلت لزيادة الولد فيها وردبأنه يقال لها ذلك لتأخر حيضها وقيل هو بمعنى منسوء كقتيل بمعنى مقتول واعترض بان المؤخر هو الشهر فيؤول المعنى الى أن الشهر زيادة في الكفر وهذا الحمل غير صحيح ويمكن أن يجاب بان المراد ان العمل الذي بسببه يصير الشهر الحرام مؤخرا زيادة في الكفر احتج الجبائي ههنا بان الكفر يقبل الزيادة فكذا الايمان وأيضا أطلق الكفر على هذا العمل فتركه يكون ايمانا فلا يكون الايمان مجرد الاعتقاد والاقرار وأجيب بأن الزيادة راجعة الى الكمال وانما سمي هذا العمل كفرا لأنه يؤول الى اعتقاد تحليل ما هو حرام وبالعكس وفي قوله (يضل به الذين كفروا) بحث مشهور بين المعتزلة وغيرهم أن اسناد الاضلال الى الله تعالى بالمجاز أو بالحقيقة وقد مر مرارا قوله (يحلونه عاما) الضمير فيه عائد الى النسيء قال الواحدي أي يحلون التأخير عاما وهو العام الذي يريدون أن يقاتلوا فيه في الشهر الحرام ويحرمون التأخير عاما آخر وهو الذي يترك فيه

يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يقول النصارى يضاهؤن قول اليهود **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يقول قالوا مثل ما قال أهل الأوثان وقد قيل ان معنى ذلك يحكون بقولهم قول أهل الاديان الذين قالوا اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق يضاهون بغير همز وقرأه عاصم يضاهؤن بالهمز وهي لغة لثقيف وهما لغتان يقال ضاهيته على كذا أضاهيه مضاهاة وضاهأته عليه مضاهأة اذا ماللأته عليه وأعنته * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك ترك الهمز لانها القراءة المستفيضة في قرأة الامصار واللغة الفصحى وأما قوله قاتلهم الله فان معناه فيما ذكر عن ابن عباس ما **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قاتلهم الله يقول لعنهم الله وكل شيء في القرآن قتل فهو لعن وقال ابن جريج في ذلك ما **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله قاتلهم الله يعني النصارى كلمة من كلام العرب فأما أهل المعرفة بكلام العرب فانهم يقولون معناه قتلهم الله والعرب تقول قاتلك الله وقاتلها الله بمعنى قاتلك الله قالوا وقاتلك الله أهون من قاتله الله وقد ذكروا أنهم يقولون شاقاه الله ما باقاه يريدون أشقاه الله ما أبقاه قالوا ومعنى قوله قاتلهم الله كقوله قتل الخراصون وقتل أصحاب الاخدود واحد وهو بمعنى التعجب فان كان الذي قالوا كما قالوا فهو من نادر الكلام الذي جاء على غير القياس لان فاعلت لا تكاد أن تجيء فعلا الا من اثنين كقولهم خاصمت فلانا وقاتلته وما أشبه ذلك وقد زعموا أن قولهم عافاك الله منه وان معناه أعفاك الله بمعنى الدعاء لمن دعاله بأن يعفيه من السوء وقوله أنى يؤفكون يقول أي وجه يذهب بهم ويحيدون وكيف يصدون عن الحق وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل ⟨القول في تأويل قوله⟩ (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون) يقول جل ثناؤه اتخذ اليهود أحبارهم وهم العلماء وقد بينت تأويل ذلك بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا قبل واحدهم حبر وحبر بكسر الحاء منه وفتحها وكان يونس الجرمي فيما ذكر عنه يزعم أنه لم يسمع ذلك الا حبر بكسر الحاء ويحتج بقول الناس هذا مداد حبر ايديه مداد عالم وذكر الفراء أنه سمعه حبرا وحبرا بكسر الحاء وفتحها والنصارى رهبانهم وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد في دينهم منهم كما **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة عن النحاك اتخذوا أحبارهم ورهبانهم قال قراءهم وعلماءهم أربابا من دون الله يعني سادة لهم من دون الله يطيعونهم في معاصي الله فيحلون ما أحلوا لهم مما قد حرمه الله عليهم ويحرمون ما يحرمونه عليهم مما قد أحله الله لهم كما **حدثني** الحسن بن يزيد الطحان قال ثنا عبد السلام بن حرب الملائي عن غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ في سورة براءة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فقال أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكن كانوا يحلون لهم فيحلون **حدثنا** أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا مالك بن اسمعيل **وحدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن عبد السلام بن حرب قال ثنا غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدي

الشهر الحرام على تحريمه قال المفسرون انهم كانوا أصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم مكث ثلاثة أشهر متواليه من غير قتل وغارة فاذا اتفق لهم في شهر منها أو في المحرم حرب وغارة أخروا تحريم ذلك الشهر الى شهر آخر قال الواحدي وأكثر العلماء على أن هذا التأخير كان من المحرم الى صفر وروى أنه حدث ذلك في كنانة (٩١) لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان

ابن حاتم قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال ياعدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته وانتهيت اليه وهو يقرأ في سورة براءة فقرأ هذه الآية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال قلت يارسول الله انا لسنا نعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قال قلت بلى قال فتلك عبادتهم واللفظ لحديث أبي كريب **حدثني** سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية عن قيس بن الربيع عن عبد السلام بن حرب النهدي عن غطيف عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة براءة فلما قرأ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قلت يارسول الله أما انهم لم يكونوا يصلون لهم قال صدقت ولكن كانوا يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه ويحرمون ما أحل الله لهم فيحرمونه **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري عن حذيفة أنه سئل عن قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله أكانوا يعبدونهم قال لا كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ حرموه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب عن أبي البختري قال قيل لابي حذيفة فذكر نحوه غير أنه قال ولكن كانوا يحلون لهم الحرام فيستحلونه ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن حبيب عن أبي البختري قال قيل لحذيفة أرأيت قول الله اتخذوا أحبارهم قال أما انهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ أحله الله لهم حرموه فتلك كانت ربوبيتهم * قال ثنا جرير وابن فضيل عن عطاء عن أبي البختري اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال انطلقوا الى حلال الله فجعلوه حراما وانطلقوا الى حرام الله فجعلوه حلالا فأطاعوهم في ذلك فجعل الله طاعتهم عبادتهم ولو قالوا لهم اعبدونا لم يفعلوا **حدثني** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري قال سأل رجل حذيفة فقال يا أبا عبد الله أرأيت قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله أكانوا يعبدونهم قال لا كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ حرموه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن أبي عدي عن أشعث عن الحسن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا قال في الطاعة **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله يقول وزينوا لهم طاعتهم **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال عبد الله بن عباس لم يأمروهم أن يسجدوا لهم ولكن أمروهم بمعصية الله فأطاعوهم فسماهم الله بذلك أربابا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا قال قلت لابي العالية كيف كانت الربوبية التي كانت في بني اسرائيل قال قالوا أما أمرونا به ائتمرنا ومانهونا عنه انتهينا لقولهم وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا

جنادة بن عوف الكناني مطاعا في قومه وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والاكثرون على أنهم كانوا يحرمون من جملة شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله (ليواطئوا عدة ما حرم الله) أي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوا ولم يعلموا أنهم خالفوا ترك القتال ووجوب التخصيص وذلك قوله تعالى (فيحلوا ما حرم الله) أي من القتال وترك الاختصاص قال أهل اللغة يقال تواطأ القوم على كذا اذا اجتمعوا عليه كان كل واحد منهم يطأ حيث يطأ صاحبه والايطاء في الشعر من هذا وهو أن يأتي في القصيدة بقافيتين لفظهما ومعناهما واحد قال ابن عباس انهم ما أحلوا شهرا من الاشهر الحرم الا حرموا مكانه شهرا آخر من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا آخر من الحرام لاجل أن تكون عدة الحرم أربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى فهذا هو المراد بالمواطأة وللآية تفسير آخر وهو أن يكون المراد بالنسيء كبس بعض السنين القمرية بشهر حتى يلتحق بالسنة الشمسية وذلك أن السنة القمرية أعني اثني عشر شهرا قمريا هي ثلثمائة

(١١ - (ابن جرير) - ٩ عاشر) وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس من يوم على ما عرف من علم النجوم وعمل الزيجات

السنة الشمسية وهي عبارة عن عود الشمس من أية نقطة تفرض من الفلك اليها بحركتها الخاصة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا [illegible] فالسنة القمرية أقل من السنة الشمسية بعشرة أيام واحدى وعشرين ساعة تقريبا وسبب هذا النقصان

تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا فى الشتاء مرة وفى الصيف أخرى وكذا فى الربيع والخريف فكان يشق الامر عليهم اذر بما كان وقت الحج غير موافق لحضور التجار من الاطراف فكان يختل أسباب تجاراتهم ومعايشهم فلهذا السبب أقدموا على عمل الكبيسة بحيث يقع الحج دائما عند اعتدال الهواء وادراك الثمار والغلات وذلك بقرب حلول الشمس

نقطة الاعتدال الخريفى فكبسوا تسع عشرة سنة قمرية بسبعة أشهر قمرية حتى صارت تسع عشرة سنة شمسية فزادوا فى السنة الثانية شهرا ثم فى الخامسة ثم فى السابعة ثم فى العاشرة ثم فى الثالثة عشرة ثم فى السادسة عشرة ثم فى الثامنة عشرة وذلك ترتيبهم يحوج عند المنجمين وقد تعلموا هذه الصفة من اليهود والنصارى فانهم يفعلون هكذا لأجل أعيادهم فالشهر الزائد هو الكبس وسمى بالنسىء لانه المؤخر والزائد مؤخر عن مكانه وهذا التفسير يطابق ما روى أنه صلى الله عليه وسلم خطب فى حجة الوداع وكان فى جملة ماخطب به الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج فى ذى الحجة وبطل النسىء الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة فى نفس الامر فكانت حجة أبى بكر قبلها فى ذى القعدة التى سموها ذا الحجة وانما لزم العتب عليهم فى هذا التفسير لانهم اذا حكموا على بعض السنين بانها ثلاثة عشر شهرا كان مخالفا لحكم الله بأن عدة الشهور اثنا عشر شهرا أى لا أزيد ولا أنقص واليه الاشارة بقوله ذلك الدين القيم على هذا التفسير ويلزمهم أيضا مالزمهم فى التفسير الاول من تغيير الاشهر الحرم عن أماكنها فيجوز أن تكون الاشارة الى المجموع ومعنى قوله يحلونه عاما أى يحلون النسىء فى عام الكبس ويحرمونه عاما أى فى غير سنة الكبس ومعنى قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله ما روى أنه كان يقوم فى الموسم منهم خطيب ويقول أيها الناس انى لا أنسىء لكم فى هذه السنة شهرا وندخل

عنه فاستصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم حدثنى بشر بن سويد قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبى البخترى عن حذيفة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال لم يعبدوهم ولكنهم أطاعوهم فى المعاصى وأما قوله والمسيح ابن مريم فان معناه اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا من دون الله وأما قوله وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا فانه يعنى به وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحبار والرهبان والمسيح أربابا الا أن يعبد وا معبودا واحدا وأن يطيعوا الا ربا واحدا دون أرباب شتى وهو الله الذى له عبادة كل شىء وطاعة كل خلق المستحق على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية لا اله الا هو يقول تعالى ذكره لا تنبغى الالوهة الا لواحد الذى أمر الخلق بعبادته ولزمت جميع العباد طاعته سبحانه عما يشركون يقول تنزيها وتطهيرا لله عما شرك فى طاعته وربوبيته القائلون عزير ابن الله والقائلون المسيح ابن الله المتخذون أحبارهم أربابا من دون الله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ يقول تعالى ذكره يريد هؤلاء المتخذون أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا أن يطفؤا نور الله بأفواههم يعنى أنهم يحاولون بتكذيبهم بدين الله الذى ابتعث به رسوله وصدهم الناس عنه بألسنتهم أن يبطلوه وهو النور الذى جعله الله لخلقه ضياء ويأبى الله الا أن يتم نوره بعلو دينه وتظهر كلمته ويتم الحق الذى بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره اتمامه اياه الكافرون يعنى جاحدوه المكذبين به * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم يقول يريدون أن يطفؤا الاسلام بكلامهم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ يقول تعالى ذكره الله الذى يأبى الا اتمام دينه ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه الذى أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى يعنى ببيان فرائض الله على خلقه وجميع اللازم لهم وبدين الحق وهو الاسلام ليظهره على الدين كله يقول ليعلى الاسلام على الملل كلها ولو كره المشركون بالله ظهوره عليها * وقد اختلف أهل التأويل فى معنى قوله ليظهره على الدين كله فقال بعضهم ذلك عند خروج عيسى حين تصير الملل كلها واحدة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد القطان قال ثنا شقيق قال ثنى ثابت الحداد أبو المقدام عن شيخ عن أبى هريرة فى قوله ليظهره على الدين كله قال حين خروج عيسى بن مريم حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن فضيل بن مرزوق قال ثنى من سمع أبا جعفر ليظهره على الدين كله قال اذا خرج عيسى عليه السلام تبعه أهل كل دين * وقال آخرون معنى ذلك ليعلمه شرائع الدين كلها فيطلعه عليها ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ليظهره على الدين كله قال ليظهر الله نبيه على أمر الدين كله فيعطيه اياه كله ولا يخفى عليه منه شىء وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن

في كل سنين أقبلت حتى يأتي حكمكم وقت الادراك فينسئ المحرم ويجعله كبيسائم انه متى انتهت النوبة الى الشهر الحرام فتكرر حرمة عليهم واحد بأيه على وفق مصلحتهم وأحل الآخر وباقي الآية قد مر تفسيره مثله مرارا والله تعالى أعلم ﴿التأويل﴾ قاتلوا النفوس الذين لا يؤمنون بالله بتعبده ولا باليوم الآخر أي لا يعلمون للآخرة ولا يحرمون ما حرم الله من حب الدنيا فانها رأس كل خطيئة وحرم رسوله على نفسه ولا يدينون دين الحق أي لا يطلبون الحق من الذين أوتوا الكتاب من النفوس الملهمة بالواردات الربانية حتى يعطوا الجزية وهي معاملتها على خلاف طبعها عن يد عن حكم صاحب قوة وهو الشارع وقالت يهود النفس ان عزير القلب ابن الله وذلك اذا انعكس عن مرآة القلب آثار أنوار الواردات الى النفس المظلمة فتتوهم كما أن اليهود لما سمعت التوراة والعلوم التي هم عنها بمعزل من عزير قالوا انه ابن الله وقالت نصارى القلوب ان مسيح الروح ابن الله وذلك أن الروح ربما يتجلى للقلب في صفة الربوبية والخلافة فمقترنا بصفة ابداع الحق وبتشريف اضافة ونفخت فيه من روحي يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل وهم النفوس الكافرة الذين اتخذوا أحبارهم أي قلوبهم ورهبانهم أي أرواحهم أربابا والمسيح ابن مريم وهو الخفي وذلك أن الخفي هو أول مظهر للفيض الالهي الذي منه التربية ثم الروح ثم القلب ثم النفس ثم القالب فالنفس من قصر نظرها ترى التربية من القالب ثم يرتقي نظرها الى أن ترى التربية من القلب ثم يرتقي نظرها الى أن ترى الكل من الحق فان رؤية ذلك من شأن القلب كقوله ما كذب الفؤاد ما رأى يريدون أي النفوس أن يطفؤا نور الله الذي رش على الارواح في بدء الخلق بأفواههم أي بأفواه استيفاء الشهوات واللذات الجسمانيات هو الذي أرسل رسوله وهو النور المرشش بالهداية الى الله وطلب الحق ليظهره في طلب الحق على طلب ما سواه ان كثيرا من أحبار القلوب ورهبان الارواح ليأكلون أي يتمتعون بحظوظ النفس وهواها والذين يكنزون الذهب والفضة حرصا وطمعا في الاستمتاع بحظوظ النفس ولا ينفقونها في سبيل الله لقطعوا مسافة البعد عن الله بقدمي ترك الدنا وقمع الهوى يحمى عليها في نار جهنم

عن سبيل الله ﴿يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بوحدانية ربهم ان كثيرا من العلماء والقراء من بني اسرائيل من اليهود والنصارى ليأكلون أموال الناس بالباطل يقول يأخذون الرشا في أحكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بأيديهم كتبا ثم يقولون هذه من عند الله ويأخذون بها ثمنا قليلا من سفلتهم ويصدون عن سبيل الله يقول ويمنعون من أراد الدخول في الاسلام الدخول فيه بنهيهم اياهم عنه * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل أما الاحبار فمن اليهود وأما الرهبان فمن النصارى وأما سبيل الله فمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويأكلها أيضا معهم الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يقول بشر الكثير من الاحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بعذاب أليم لهم يوم القيامة موجع من الله * واختلف أهل العلم في معنى الكنز فقال بعضهم هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته قالوا واعني بقوله ولا ينفقونها في سبيل الله ولا يؤدون زكاتها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال كل مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا حدثنا الحسين بن الجنيد قال ثنا سعيد بن مسلمة قال ثنا اسمعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر أنه قال كل مال أديت منه الزكاة فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد منه الزكاة وان لم يكن مدفونا فهو كنز حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر قال أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا في الارض وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وان كان على وجه الارض حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وجرير عن الاعمش عن عطية عن ابن عمر قال أديت زكاته فليس بكنز * قال ثنا أبي عن العمري عن نافع عن ابن عمر قال ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين وما لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان ظاهرا * قال ثنا جرير عن الشيباني عن عكرمة قال ما أديت زكاته فليس بكنز حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال أما الذين يكنزون الذهب والفضة فهؤلاء أهل القبلة والكنز ما لم تؤد زكاته وان كان على ظهر الارض وان قل وان كان كثيرا قد أديت زكاته فليس بكنز حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر قال قلت لعامر مال على رف بين السماء والارض لا تؤدي زكاته أكنز هو قال يكوى به يوم القيامة * وقال آخرون كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز أديت منه الزكاة أو لم تؤد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن هبيرة عن علي رحمة الله عليه قال أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة كما كان أكثر من ذلك فهو كنز حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن

الحرص فتكوى بها جباههم والارواح لانهم امتنعوا بذلك عن التوجه الى الحق وجنوبهم حيث لا تتجافى جنوبهم عن مضاجع المكونات وظهورهم حيث لم يقضوا حق التواضع والخشوع فيقال لهم هذا الذى أصابكم من ألم الحرمان وعذاب القطيعة بسبب ما كنتم فيه وقوا الآن ألم كى نار الحرص لانكم لم تذوقوه فى الدنيا حيث كنتم فى منام الغفلة منها أربعة حرم فيه اشارة

الى أن الطالب المضطر الى تحصيل قوت نفسه وعياله يجب أن يجعل أوقات عمره أثلاثا ثلث الطلب المعاش وترتيب مصالح الدنيا وثلثا للطاعات التى ينتفع بها فى الآخرة وثلثا من ذلك حرام أن يقع فى خاطره غير المولى ومن استغنى عن الموانع فيحرم عليه صرف لحظة فى غير طلب الحق والى هذا المعنى أشار بقوله ذلك الدين القيم وفيه تنبيه على أن من لم يكن هكذا كان فى سلوكه اعوجاج ثم ذكر أن من شأن النفوس المشركة أنها ان أقبلت على طاعة أخرتها عن وقتها وهو السيء الموجب لازدياد كفرها لانها قد خالفت الشرع من حيث تركها الطاعة باختيارها ومن حيث انها اعتقدت أن ذلك التأخير مما لا بأس به ﴿يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شيء قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا الذهب

أبى حصين عن أبى الضحى عن جعدة بن هبيرة عن على مثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الشعبى قال أخبرنى أبو حصين عن أبى الضحى عن جعدة بن هبيرة عن على رحمة الله عليه فى قوله والذين يكنزون الذهب والفضة قال أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة وما فوقها كنز * وقال آخرون الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبيد الله بن معاذ قال ثنا أبى قال ثنا شعبة عن أنس عن عبد الواحد أنه سمع أبا محيب قال كان نعل سيف أبى هريرة من فضة فنهاه عنها أبوذر وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن الاعمش وعمرو بن مرة عن سالم بن أبى الجعد قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله قال النبى صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة يقول لها ثلاثا قال فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فأى مال نتخذ فقال عمر أنا أعلم لكم ذلك فقال يا رسول الله ان أصحابك قد شق عليهم وقالوا فأى المال نتخذ فقال لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على دينه **حدثنا** ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا اسرائيل عن منصور عن سالم بن أبى الجعد عن ثوبان بمثله **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبى الجعد قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله قال المهاجرون وأى المال نتخذ فقال عمر أسأل النبى صلى الله عليه وسلم عنه قال فأدركته على بعير فقلت يا رسول الله ان المهاجرين قالوا فأى المال نتخذه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه **حدثنا** الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبى أمامة قال توفى رجل من أهل الصفة فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم توفى آخر فوجد فى مئزره دينار ان فقال النبى صلى الله عليه وسلم كيتان **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن شهر بن حوشب عن صدى بن عجلان أبى أمامة قال مات رجل من أهل الصفة فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم توفى آخر فوجد فى مئزره دينار ان فقال نبى الله كيتان **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سالم عن ثوبان قال كنا فى سفر ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المهاجرون لو ددنا أنا علمنا أى المال خير فنتخذه اذ نزل فى الذهب والفضة ما نزل فقال عمر ان شئتم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا أجل فانطلق فتبعته أوضع على بعيرى فقال يا رسول الله ان المهاجرين لما أنزل الله فى الذهب والفضة ما أنزل قالوا لو ددنا أنا علمنا أى المال خير فنتخذه قال نعم فيتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على ايمانه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصحة القول الذى ذكرعن ابن عمر من أن كل مال أديت زكاته فليس بكنز يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثر وأن كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب مستحق وعيد الله الا أن يتفضل الله عليه بعفوه وان قل اذا كان مما يجب فيه الزكاة وذلك أن الله أوجب فى خمس أواق من الورق على لسان رسوله ربع عشرها وفى عشرين مثقالا من الذهب مثل ذلك ربع عشرها فاذ كان ذلك فرض الله فى

الذهب

لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر

وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ۞ القراآت وكلمة الله بالنصب يعقوب الباقون بالرفع ۞ الوقوف الى الارض ط من الآخرة ط قليل ○ شيأ ط قدير ○ معناج لعطف أنزل على نصره مع عوارض الظروف السفلى ط الا لمن قرأ وكلمة بالنصب العليا ط حكيم ○ فى سبيل الله ط تعلمون ○ الشقة ط معكم ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال أنفسهم ج لواو الابتداء والحال لكاذبون ○ عنك ج لحق الاستفهام مع اتصال الكلام معنى الكاذبين ○ وأنفسهم ط بالمتقين ○ يترددون ○ القاعدين ○ الفتنة ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال لهم ط بالظالمين ، كارهون ○ ولا تفتنى ط سقطوا ط بالكافرين ○ ۞ التفسير لما شرح الله معايب هؤلاء الكفار عاد الى الترغيب فى قتالهم عن ابن عباس أنها نزلت فى غزوة تبوك سنة عشر وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أقام بالمدينة أياما فأمر بجهاد الروم فاستثقله الناس لكون الزمان زمان صيف والقحط ولبعد المسافة ولمزيد احتياج الى الاستعداد ولشدة الحر وللخوف من عسكر الروم ولوجود أسباب الراحة بالمدينة لكون الوقت وقت ادراك الثمار وحصول الغلات روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خرج فى غزوة الا ورّى عنها بغيرها الا فى غزوة

الذهب والفضة على لسان رسوله فعلوم أن المال وان بلغ فى الكثرة ألوف ألوف لو كان وان أديت زكاته من الكنوز التى أوعد الله أهلها عليها العقاب لم يكن فيه الزكاة التى ذكرنا من ربع العشر لان ما كان فرضا اخراج جميعه من المال وحرام اتخاذه فزكاته الخروج من جميعه الى أهله لا ربع عشره وذلك مثل المال المغصوب الذى هو حرام على الغاصب امساكه وفرض عليه اخراجه من يده الى يده فالتطهر منه رده الى صاحبه فلو كان مازاد من المال على أربعة آلاف درهم أو ما فضل عن حاجة ربه التى لا بد منها مما يستحق صاحبه باقتنائه اذا أدى الى أهل السهمان حقوقهم منها من الصدقة وعيد الله لم يكن اللازم ربه فيه ربع عشره بل كان اللازم له الخروج من جميعه الى أهله وصرفه فيما يجب عليه صرفه كالذى ذكرنا من أن الواجب على غاصب رجل ماله رده على ربه وبعد فان فيما حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال قال معمر أخبرنى سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله الا جعل يوم القيامة صفائح من نار يكوى بها جنبه وجبهته وظهره فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس ثم يرى سبيله وان كانت ابلا الا بطح لها بقاع قرقر تطؤه باخفافها حسبته قال وتعضه بافواهها يرد أولاها على أخراها حتى يقضى بين الناس ثم يرى سبيله وان كانت غنما فمثل ذلك الا أنها تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها وفى نظائر ذلك من الاخبار التى ذكرناها الاطالة بذكرها الدلالة الواضحة على أن الوعيد انما هو من الله على الاموال التى لم تؤد الوظائف المفروضة فيها لاهلها من الصدقة لا على اقتنائها واكتنازها وفيما بينا من ذلك البيان الواضح على أن الآية لخاص كما قال ابن عباس وذلك ما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يقول هم أهل الكتاب وقال هى خاصة وعامة يعنى بقوله هى خاصة وعامة هى خاصة من المسلمين فيمن لم يؤد زكاة ماله منهم وعامة فى اهل الكتاب لانهم كفار لا تقبل منهم نفقاتهم ان أنفقوا ويدل على صحة ما قلنا فى تأويل قول ابن عباس هذا ما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها الى قوله هذا ما كنتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قال هم الذين لا يؤدون زكاة أموالهم قال وكل مال لا تؤدى زكاته كان على ظهر الارض أو فى بطنها فهو كنز وكل مال تؤدى زكاته فليس بكنز كان على ظهر الارض أو فى بطنها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين يكنزون الذهب والفضة قال الكنز ما كنز عن طاعة الله وفريضته وذلك الكنز وقال افترضت الزكاة والصلاة جميعا لم يفرق بينهما وانما قلنا ذلك على الخصوص لان الكنز فى كلام العرب كل شئ مجموع بعضه على بعض فى بطن الارض كان أو على ظهرها يدل على ذلك قول الشاعر

لا در درّى ان أطعمت نازلهم * قرف الحتى وعندى البر مكنوز

يعنى بذلك وعندى البر مجموع بعضه على بعض وكذلك تقول العرب للبدن المجتمع مكتنز لانضمام بعضه الى بعض واذا كان ذلك معنى الكنز عندهم وكان قوله والذين يكنزون الذهب والفضة معناه

تبوك فلم يستعد الناس تمام العدة وأصل النفر الخروج الى مكان لامر هاج عليه واسم ذلك القوم النفير وأصل (اثاقلتم) تثاقلتم كما قلنا فى ادّارأتم ادّارأتم وانما عدى بالى لتضمين معنى الميل والاخلاد كقوله أخلد الى الارض أى مال الى الدنيا وشهواتها وقيل المراد تثاقلتم الى الاقامة بأرضكم والبقاء فيها ومعنى الاستفهام فى مالكم الانكار وقرئ أثاقلتم على الاستفهام للانكار أيضا فيكون جوابا اذا فعلا آخر

مدلولا عليه بأثاقلتم كنحو ملتم وذلك أن جواب اذا عامل فى اذا والاستفهام لا يعمل فيما قبله ويجوز على هذه أن يكون اذا المجرد الظرفية والعامل فيه ما فى مالكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم ومن فى (من الآخرة) للبدل كقوله لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون كثير قيل قد ذكرنا الموجبات الكثيرة الداعية الى القتال وبينا أنواع فضائحهم التى تحمل العاقل على مقاتلتهم ولو لم يكن فيه الا اطاعة المعبود المستلزمة لثواب الآخرة لكفى به باعثا (فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة) أى فى جنبها وفى مقابلها (الا قليل) ويجوز أن يراد بالقلة العدم اذ لا نسبة للمتناهى الزائل الى غير المتناهى الباقى والظاهر أن هذا التثاقل لم يصدر من جميع المخاطبين لاستحالة اطباق هذه الامة على المعصية والضلالة الا أنه طالما أعطى الاكثر حكم الكل وأطلق لفظ الكل على الاغلب ثم لما رغبهم فى الجهاد بعرض الثواب عليهم رغبهم فيه بعرض العقاب فقال (الا تنفروا) ورتب عليه ثلاث خصال الاولى قوله (يعذبكم عذابا أليما) قيل هو عذاب الدنيا عن ابن عباس استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتثاقلوا فأمسك الله عنهم المطر وقال الحسن الله أعلم بالعذاب الذى كان ينزل عليهم وقيل هو عذاب الآخرة فان الاليم لا يليق الا به وقيل انه تهديد بالعذاب المطلق الشامل للدارين الثانية قوله (ويستبدل قوما غيركم) يعنى قوما آخرين خيرا منهم وأطوع قيل هم أهل اليمن عن أبى روق وقيل ابناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل يحتمل أن يراد بهم الملائكة وقال الأصم معناه أنه يخرجه من بين أظهركم وهى المدينة والأصح ابقاء الآية على الاطلاق الثالثة قوله (ولا تضروه شيئا) قال الحسن الضمير لله وفيه أنه غنى عنهم فى نصرة دينه بل فى كل شئ وقال آخرون الضمير للرسول لان الله وعده أن يعصمه ووعد الله كائن لا محالة وفى قوله (والله على كل شئ قدير) تنبيه على أنه قادر على نصر رسوله بأى وجه أراد وقادر على ايقاع العذاب بكل من يخالف أمره كائنا من كان عين الحسن وعكرمة أن الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة والصحيح أنها خطاب لمن استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا فلا نسخ

والذين يجمعون الذهب والفضة بعضها الى بعض ولا ينفقونها فى سبيل الله وهو عام فى التلاوة لم يكن فى الآية بيان كم ذلك القدر من الذهب والفضة الذى اذا جمع بعضه الى بعض استحق الوعيد كان معلوما ان خصوص ذلك انما أدرك بوقف الرسول عليه وذلك كما بينا من انه المال الذى لم يؤد حق الله منه من الزكاة دون غيره لما قد أوضحنا من الدلالة على صحته وقد كان بعض الصحابة يقول هى عامة فى كل كنز غير أنها خاصة فى أهل الكتاب واياهم عنى الله بها ذكر من قال ذلك حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا هشيم قال ثنا حصين عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فلقيت أبا ذر فقلت ما أنزلك هذه البلاد قال كنت بالشام فقرأت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة الآية فقال معاوية ليست هذه الآية فينا انما هذه الآية فى أهل الكتاب قال فقلت انها فينا وفيهم قال فارتفع فى ذلك بينى وبينه القول فكتب الى عثمان يشكونى فكتب الىّ عثمان أن أقبل الىّ قال فأقبلت فلما قدمت المدينة ركبنى الناس كأنهم لم يرونى قبل يومئذ فشكوت ذلك الى عثمان فقال لى تنح قريبا قلت والله الى لن أدع ما كنت أقول حدثنا أبو كريب وأبو السائب وابن وكيع قالوا ثنا ابن ادريس قال ثنا حصين عن زيد بن وهب قال مررنا بالربذة فذكر نحوه حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن أشعث وهشام عن أبى بشر قال قال أبو ذر خرجت الى الشام فقرأت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فقال معاوية انما هى فى أهل الكتاب قال فقلت انها فينا وفيهم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا أنا بأبى ذر قال قلت له ما أنزلك منزلك هذا قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية فى هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله قال فقال نزلت فى أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم ثم ذكر نحو حديث هشيم عن حصين فان قال قائل فكيف قيل ولا ينفقونها فى سبيل الله فأخرجت الهاء والالف مخرج الكناية عن أحد النوعين قيل يحتمل ذلك وجهين أحدهما أن يكون الذهب والفضة مرادا بهما الكنوز كأنه قيل والذين يكنزون الكنوز ولا ينفقونها فى سبيل الله لان الذهب والفضة هى الكنوز فى هذا الموضع والآخر أن يكون استغنى بالخبر عن احدهما فى عائد ذكرهما من الخبر عن الاخرى لدلالة الكلام على أن الخبر عن الاخرى مثل الخبر عنها وذلك كثير موجود فى كلام العرب واشعارها ومنه قول الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأى مختلف

فقال راض ولم يقل راضون وقال الآخر

ان شرخ الشباب والشعر الاسـ * ـود ما لم يعاص كان جنونا

فقال يعاص ولم يقل يعاصيا فى أشياء كثيرة ومنه قول الله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها ولم يقل اليهما القول فى تأويل قوله (يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون) يقول تعالى ذكره فبشر هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة ولا يخرجون حقوق الله منها يا محمد بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فاليوم من صلة العذاب الاليم كأنه قيل يبشرهم بعذاب أليم يعذبهم الله به فى يوم يحمى عليها

الجبائى فى الآية دلالة على ابطال مذهب المرجئة من أن أهل القبلة لا وعيد لهم وقال القاضى فيها دلالة على وجوب الجهاد سواء كان مع الرسول أو لا لقوله تعالى مالكم اذا قيل لكم ولم ينص على ان القائل هو الرسول ومن قال ان الضمير فى قوله لا تضروه عائد الى الرسول فجوابه أن خصوص آخر الآية لا يمنع من عموم أولها ثم رغبهم فى الجهاد بطريق آخر فقال (الا تنصروه فقد نصره الله) وهذا كالتفسير لما تقدم والمعنى ان لم تشتغلوا بنصره فان الله سينصره بدليل أن الله نصره وقواه حال ما لم يكن معه الا رجل واحد ولا أقل من الواحد وفيه أنه لما أوجب له النصرة وقتئذ فلن يخذله بعد ذلك وقوله (اذ أخرجه الذين كفروا) أى ألجؤه الى أن خرج ظرف لنصره و(ثانى اثنين) نصب على الحال ومعناه أحد اثنين لانه اذا حضر اثنان فكل واحد منهما اثنان للآخر وواحد منهما وقوله (اذ هما فى الغار) بدل من اذ أخرجه و (اذ يقول) بدل ثان والغار نقب عظيم فى الجبل والمراد به ههنا نقب فى أعلى ثور وهو جبل فى يمين مكة على مسيرة ساعة واعلم أنا قد ذكرنا فى سورة الانفال أن قريشا ومن بمكة تعاقدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل (واذ يمكر بك الذين كفروا) فأمره الله تعالى أن يخرج هو وأبو بكر الصديق الى الغار فخرج وأمر عليا أن ينطجع على فراشه فلما وصلا الى الغار دخل أبو بكر يلتمس ما فى الغار فقال له الرسول مالك فقال بابى أنت وأمى الغيران مأوى السباع والهوام فان كان فيه شئ كان بى لا بك فخرق عمامته وسد الجحرة وبقى جحر واحد فوضع عقبه عليه كيلا يخرج منه ما يؤذى الرسول صلى الله عليه وسلم فلما طلبهم المشركون الأثر وقربوا بكى أبو بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام (لا تحزن ان الله معنا) وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان نصب اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى أسفله والعنكبوت فنسجت عليه ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فعموا يترددون حول الغار ولا يفطنون له قد أخذ الله أبصارهم عنه استدل

ويعنى بقوله يحمى عليها تدخل النار فيوقد عليها أى على الذهب والفضة التى كنزوها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وكل شئ أدخل النار فقد أحمى احماء يقال منه أحميت الحديدة فى النار أحميها احماء وقوله فتكوى بها جباههم يعنى بالذهب والفضة المكنوزة يحمى عليها فى نار جهنم يكوى الله بها يقول يحرق الله جباه كانز يها وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم ومعناه ويقال لهم هذا ما كنتم فى الدنيا أيها الكافرون الذين منعوا كنوزهم من فرائض الله الواجبة فيها لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون يقول فيقال لهم فاطعموا عذاب الله عما كنتم تمنعون من أموالكم حقوق الله وتكنزونها مكاثرة ومباهاة وحذف من قول هذا ما كنزتم ويقال لهم لدلالة الكلام عليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن حميد بن هلال قال كان أبو ذر يقول بشر الكنازين بكى فى الجباه وكى فى الجنوب وكى فى الظهور حتى يلتقى الحر فى أجوافهم * قال ثنا ابن علية عن الجريرى عن أبى العلاء بن الشخير عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينا أنا فى حلقة فيها ملأ من قريش اذ جاء رجل خشن الشاب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكنازين برضف يحمى عليه فى نار جهنم فيوضع على حلمة ثدى أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فما رأيت أحدا منهم رجع اليه شيأ قال وأدبر فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت فقال ان هؤلاء لا يعقلون شيأ حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثنى عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة الجملى عن أبى نصر عن الاحنف بن قيس قال رأيت فى مسجد المدينة رجلا غليظ الثياب رث الهيئة يطوف فى الحلق وهو يقول بشر أصحاب الكنوز بكى فى جنوبهم وكى فى جباههم وكى فى ظهورهم ثم انطلق وهو يتذمر يقول ما عسى تصنع بى قريش حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال أبو ذر بشر أصحاب الكنوز بكى فى الجباه وكى فى الجنوب وكى فى الظهور حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس يوم يحمى عليها فى نار جهنم قال حية تنطوى على جبينه وجبهته تقول أنا مالك الذى بخلت به حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبى الجعد عن معدان بن أبى طلحة عن ثوبان أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من ترك بعده كنزا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يتبعه يقول ويلك ما أنت فيقول أنا كنزك الذى تركته بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبعه سائر جسده حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن طاوس عن أبيه قال بلغنى أن الكنوز تتحول يوم القيامة شجاعا يتبع صاحبه وهو يفر منه ويقول أنا كنزك لا يدرك منه شيأ الا أخذه حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن عبد الله ابن مرة عن مسروق عن عبد الله قال والذى لا اله غيره لا يكوى عبد بكنز فيمس دينارا ولا درهم درهما ولكن يوسع جلده فيوضع كل دينار ودرهم على حدته * قال ثنا أبى عن سفيان عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال ما من رجل يكوى بكنز فيوضع دينار

أهل السنة بالآية على أفضلية أبي بكر وغاية اتحاده ونهاية صحبته وموافقته باطنه ظاهره والالم يعتمد الرسول عليه في مثل تلك الحالة وانه كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وفي العلم لقوله ماصاحب في صدري شيء الا وصيبته في صدر أبي بكر وفي الدعوة الى الله لانه صلى الله عليه وسلم عرض الايمان أولا على أبي بكر فآمن ثم عرض أبو بكر الايمان على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة أخرى من أجلة الصحابة وكان لا يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم في الغزوات وفي أداء الجماعات وفي المجالس والمحافل وقد أقامه في مرضه مقامه في الامامة ولما توفي دفن بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ثاني اثنين من أول أمره الى آخره ولو قدرنا أنه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك السفر لزم أن لا يقوم بأمره ولا يكون وصيه الا أبو بكر وأن لا يبلغ ما حدث في ذلك الطريق من الوحي والتنزيل الا أبو بكر وقوله لا تحزن نهي عن الحزن مطلقا والنهي يقتضي الدوام والتكرار فهو لا يحزن قبل الموت وعنده وبعده ولا شك أن من كان الله معه فانه يكون من المتقين المحسنين لقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال الحسين ابن فضيل من أنكر صحبة غير أبي بكر من الصحابة فانه يكون كذابا مبتدعا ومن أنكر صحبة أبي بكر فانه يكون كافرا لأنه خالف قول الله تعالى اذ يقول لصاحبه أجابت الشيعة بأن كونه ثاني اثنين ليس أعظم من كون الله رابعا لكل ثلاثة في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وهذا عام في حق كل كافر ومؤمن وكون المصاحبة موجبة للتشريف معارض بقوله تعالى للكافر قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك وكما احتمل أن يقال انه عليه السلام استخلصه لنفسه في هذا السفر لاجل الثقة احتمل أن يكون ذلك لاجل انه خاف أن يدل الكفار عليه أو عيسى يوقفهم على أسراره لو تركه ثم ان حزنه لو كان حقا ينه عنه فهو ذنب وخطأ سلمنا دلالة الآية على فضل أبي بكر الا أن اضطجاع علي رضي الله عنه على فراشه أعظم من ذلك لما فيه من خطر النفس أما أهل السنة بأن كون الله رابعا لكل ثلاثة أمر مشترك وكونه ثاني اثنين

على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده القول في تأويل قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين يقول تعالى ذكره ان عدة شهور السنة عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن في قضائه الذي قضى يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم يقول هذه الشهور الاثنا عشر منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن وتحرمهن وتحرم القتال فيهن حتى لو لقي الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يهجه وهن رجب مضر وثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا موسى بن عبيدة الربذي قال ثني صدقة بن يسار عن ابن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق فقال يا أيها الناس ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم حدثنا محمد ابن معمر قال ثنا روح قال ثنا أشعث عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ورجب مضر بين جمادى وشعبان حدثنا يعقوب قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم قال ثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا سليمن التيمي قال ثني رجل بالبحرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن ابن أبي نجيح قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم منى ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وهو قول عامة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم أما أربعة حرم فذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وأما كتاب الله فالذي عنده حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا

تشريف زائد اختص الله أبا بكر به على أن المعية هنالك بالعلم والتدبير وههنا بالصحبة والمرافقة فأين احداهما من الاخرى والصحبة في قوله قال له صاحبه مقرونة بما تقتضي الاهانة والاذلال وهو قوله أكفرت وفي الآية مقرونة بما يوجب التعظيم والاجلال وهو قوله لا تحزن ان الله معنا قالوا والعجب أن الشيعة اذا حلفوا قالوا وحق خمسة سادسهم جبريل واستنكروا أن يقال وحق اثنين الله ثالثهما والاحتمال الذي ذكروه مدفوع بما روى أن أبا بكر هو الذي اشترى الراحلة للرسول وأن عبد الرحمن بن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر هما اللذان كانا يأتيانهما بالطعام مدة مكثهما في الغار وذلك ثلاثة أيام وقيل بضعة عشر يوما وروى أن جبريل عليه السلام أتاه وهو جائع فقال هذه أسماء قد أتتك بحيسة ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أبا بكر ولو كان أبو بكر قاصدا له لصاح بالكفار عند وصولهم الى باب الغار وقال ابنه وابنته نحن نعرف مكان محمد وكون حزنه معصية معارض بقوله تعالى لموسى لا تخف انك أنت الأعلى وقول الملائكة لابراهيم لا تخف وبشروه ثم انا لا ننكر أن اضطجاع علي رضي الله عنه على فراش الرسول طاعة وفضيلة الا أن صحبة أبي بكر أعظم لان الحاضر أعلى حالا من الغائب ولان عليا رضي الله عنه ما تحمل المحنة الا ليلة وأبو بكر مكث في الغار أياما وانما اختار عليا للنوم على فراشه لانه كان صغيرا لم يظهر عنه بعد دعوة بالدليل والحجة ولا جهاد بالسيف والسنان بخلاف أبي بكر فانه قد دعا حينئذ جماعة الى الدين وكان ينوب عن الرسول بالنفس والمال فكان غضب الكفار على أبي بكر أشد من غضبهم على علي رضي الله عنه ولهذا لم يقصدوا عليا بضرب ولا ألم لما عرفوا أن المضطجع هو ثم زعم أهل السنة أن الضمير في قوله

عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال يعرف بها شأن النسيء مما نقص من السنة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قول الله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله قال يذكر بها شأن النسيء وأما قوله ذلك الدين القيم فان معناه هذا الذي أخبرتكم به من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله وأن منها أربعة حرما هو الدين المستقيم كما **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ذلك الدين القيم يقول المستقيم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ذلك الدين القيم قال الامر القيم يقول قال تعالى واعلموا أيها الناس أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن وان من هذه الاثني عشر شهرا أربعة أشهر حرما ذلك دين الله المستقيم لا ما يفعله النسيء من تحليله ما يحل من شهور السنة وتحريمه ما يحرمه منها وأما قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم فان معناه فلا تعصوا الله فيهما ولا تحلوا فيهن ما حرم الله عليكم فتكسبوا أنفسكم ما لا قبل لها به من سخط الله وعقابه كما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال الظلم العمل بمعاصي الله والترك لطاعته ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه الهاء والنون في قوله فيهن فقال بعضهم عاد ذلك على الاثني عشر شهرا وقال معناه فلا تظلموا في الأشهر كلها أنفسكم ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم في كلهن ثم خص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرما وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والاجر أعظم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال في الشهور كلها * وقال آخرون بل معنى ذلك فلا تظلموا في الاربعة الاشهر الحرم أنفسكم والهاء والنون عائدة على الاشهر الاربعة ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أما قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم فان الظلم في الاشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها وان كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم من أمره ما شاء وقال ان الله اصطفى صفايا من خلقه اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا واصطفى من الكلام ذكره واصطفى من الارض المساجد واصطفى من الشهور رمضان والاشهر الحرم واصطفى من الايام يوم الجمعة واصطفى من الليالي ليلة القدر فعظموا ما عظم الله فانما تعظم الامور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل * وقال آخرون بل معنى ذلك فلا تظلموا في تصييركم حرام الاشهر الاربعة حلالا وحلالها حراما أنفسكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا الى قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم أي لا تجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما كما فعل أهل الشرك فانما النسيء الذي كانوا يصنعون من ذلك زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا والآية **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن فلا تظلموا فيهن

(١٢ - ابن جرير عاشر) (فانزل الله سكينته عليه) عائد الى أبي بكر لانه الى الرسول لانه أقرب المذكورين فان التقدير اذ يقول محمد لصاحبه أبي بكر ولان الخوف كان حاصلا لابي بكر والرسول كان آمنا ساكن القلب بما وعده الله من النصر ولو كان خائفا لم يمكنه ازالة الخوف عن غيره بقوله لا تحزن ولناسب أن يقال فانزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن واعترض بان قوله (وأيده) عطف على فانزل

فواجب أن يتحد الضميران فى حكم العود وأجيب بان قوله وأيده معطوف على قوله فقد نصره والتقدير الا تنصروه فقد نصره فى واقعة الغار وأيده فى واقعة بدر والاحزاب وحنين بالملائكة والظاهر أن الحزن لا يبعد أن يكون شاملا للنبى صلى الله عليه وسلم أيضا من حيث البشرية كقوله وزلزلوا ويكون فى الكلام تقديم وتأخير والتقدير فانزل الله سكينته عليه اذ يقول أو يكون فانزل معطوفا على نصره والمراد بالسكينة ما ألقى فى قلبه من الامنة التى سكن عندها قلبه وعلم أنه منصور لامحالة كقوله فى قصة حنين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وقوله (وجعل) يعنى يوم بدر وسائر الوقائع (كلمة الذين كفروا) وهى دعوتهم الى الكفر وعبادة الاصنام (السفلى وكلمة الله) وهى دعوته الى الاسلام أو كلمة التوحيد لا اله الا الله (هى العليا) وفى توسيط كلمة الفصل أعنى هى تأكيد فضل كلمة الله فى العلو وأنها المختصة بالعلاء دون سائر الكلم قال الفراء لا أحب قراءة نصب الكلمة لان الاجود حينئذ أن يقال وكلمته هى العليا ألا ترى انك تقول أعتق أبولك غلامه ولا تقول أعتق أبولك غلام أبيك قلت وفى الرفع أيضا الاستئناف ومافى الجملة الاسمية من الثبات (والله عزيز حكيم) قاهر غالب لا فعل له الا الصواب ثم لما توعد من لا ينفر مع الرسول وضرب له من الامثال ما وصف عقبه بالامر الجزم فقال (انفروا خفافا وثقالا) قال المفسرون أى خفافا فى النفور لنشاطكم وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتهم أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا والصحيح التعميم وأن المراد انفروا سواء كنتم على الصفة التى يخف عليكم الجهاد معها أو على ضدها قال الاكثرون ظاهر هذا الامر يقتضى تناول جميع الناس حتى المرضى والعاجزين ويؤيده ما روى عن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى أن أنفر قال ما أنت الا خفيف أو ثقيل فرجع الى أهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه فنزل قوله ليس على الاعمى حرج وقال مجاهد ان أبا أيوب شهد بدرا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوات المسلمين ويقول

أنفسكم قال ظلم أنفسكم أن لا تحرموهن كحرمتهن **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد بن على فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال ظلم أنفسكم أن لا تحرموهن كحرمتهن **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد بنحوه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال فلا تظلموا فى الاشهر الاربعة أنفسكم باستحلال حرامها فان الله عظمها وعظم حرمتها وانما قلنا ذلك أولى بالصواب فى تأويله لقوله فلا تظلموا فيهن فان خرج الكناية عنه مخرج الكناية عن جميع ما بين الثلاثة الى العشرة وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة الى العشرة اذا كنت عنه فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون ولاربعة أيام بقين واذا أخبرت عما فوق العشرة الى العشرين قالت فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت ولاربع عشرة مضت فكان فى قوله جل ثناؤه فلا تظلموا فيهن أنفسكم واخراجه كناية عدد الشهور التى نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فيهن مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة الى العشرة الدليل الواضح على أن الهاء والنون من ذكر الاشهر الاربعة دون الاثنى العشر لان ذلك لو كان كناية عن الاثنى عشر شهرا لكان فلا تظلموا فيها أنفسكم فان قال قائل فما أنكرت أن يكون ذلك كناية عن الاثنى عشر وان كان الذى ذكرت هو المعروف فى كلام العرب فقد علمت ان المعروف من كلامها اخراج كناية ما بين الثلاث الى العشر بالهاء دون النون وقد قال الشاعر

أصبحن فى قرح وفى داراتها * سبع ليال غير معلوفاتها

ولم يقل معلوفاتهن وذلك كناية عن السبع قيل ان ذلك وان كان جائزا فليس الافصح الاعرف فى كلامها وتوجيه كلام الله الى الافصح الأعرف أولى من توجيهه الى الانكر فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت فقد يجب أن يكون مباحا لنا ظلم أنفسنا فى غيرهن من سائر شهور السنة قيل ليس ذلك كذلك بل ذلك حرام علينا فى كل وقت وزمان ولكن الله عظم حرمة هؤلاء الاشهر وشرفهن على سائر شهور السنة تخصيص الذنب فيهن بالتعظيم كما خصهن بالتشريف وذلك نظير قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ولا شك أن الله قد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المفروضات كلها بقوله حافظوا على الصلوات ولم يجز ترك المحافظة عليهن بأمره بالمحافظة على الصلاة الوسطى ولكنه تعالى ذكره زادها تعظيما وعلى المحافظة عليها توكيدا وفى تضييعها تشديدا فكذلك ذلك فى قوله منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وأما قوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة فانه يقول جل ثناؤه وقاتلوا المشركين بالله أيها المؤمنون جميعا غير مختلفين مؤتلفين غير مفترقين كما يقاتلكم المشركون جميعا مجتمعين غير متفرقين كما **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة أما كافة فجميع وأمركم مجتمع **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقاتلوا المشركين كافة يقول جميعا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقاتلوا المشركين كافة أى جميعا والكافة فى كل حال على صورة واحدة لا تذكر ولا تجمع لانها وان كانت بلفظ فاعلة فانها فى معنى المصدر كالعافية والعاقبة ولا تدخل العرب فيها الالف واللام لكونها آخر الكلام مع الذى فيها من معنى المصدر كما لم يدخلوها اذا قالوا قاموا معا وقاموا جميعا

قال الله انفروا خفافا وثقالا فلا أجدني الا خفيفا أو ثقيلا وعن صفوان بن عمرو قال كنت والياعلى حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت ياعم لقد أعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم تمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وعن أنس قال قرأ أبو طلحة هذه الآية فقال ما أسمع الله عذر أحدا فخرج مجاهدا الى الشأم حتى مات وقال السدي جاء المقداد بن الاسود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عظيما سمينا وشكا اليه وسأله ان يأذن له فنزل فيه انفروا خفافا وثقالا فاشتد شأنها على الناس فنسخها الله بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية وقيل لا حاجة الى التزام النسخ لان هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك بالاتفاق ولا شك أنه صلى الله عليه وسلم خلف من النساء والرجال أقواما فذلك يدل على أن هذا الوجوب ليس على الاعيان ولكنه من فروض الكفايات فمن أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بان يخرج لزمه ذلك ومن أمر بأن يبقى لزمه أن يبقى ولقائل أن يقول لا نزاع في هذا انما النزاع في الضعفاء والمرضى ثم قال (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) وفيه ايجاب للجهاد بهما ان أمكن أو بالنفس ان لم يكن مال زائد على أسباب الجهاد أو بالمال بأن يستنيب من يغزو عنه ان لم تمكن له نفس سليمة صالحة للجهاد وهذا قول كثير من العلماء (ذلكم خير لكم) يعني أنه خير في نفسه أو انه خير من القعود لما فيه من الراحة والدعة والنعيم العاجل وانما قال (ان كنتم تعلمون) لان ما يحصل من الخيرات في الجهاد لا يدرك الا بالتأمل ولا يعرفه الا المؤمن الذي عرف بالدليل أن وعد الله حق ثم نزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين (لو كان عرضا قريبا) قال الزجاج أي لو كان المدعو اليه فحذف لدلالة ما تقدم عليه والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومنه قولهم الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر والمراد بالقرب سهولة أخذه (وسفرا قاصدا) أي وسطا بين القرب

جميعا وأما قوله واعلموا أن الله مع المتقين فان معناه واعلموا أيها المؤمنون بالله أنكم ان قاتلتم المشركين كافة واتقيتم الله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم ولم تخالفوا أمره فتعصوه كان الله معكم على عدوكم وعدوه من المشركين ومن كان الله معه لم يغلبه شيء لان الله مع من اتقاه نخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره ما النسيء الا زيادة في الكفر والنسيء مصدر من قول القائل نسأت في أيامك ونسأ الله في أجلك أي زاد الله في أيام عمرك ومدة حياتك حتى تبقى فيها حيا وكل زيادة حدثت في شيء فالشيء الحادث فيه تلك الزيادة بسبب ما حدث فيه نسيء ولذلك قيل للبن اذا كثر بالماء نسيء وقيل للمرأة الحبلى نسوء ونسئت المرأة لزيادة الولد فيها وقيل نسأت الناقة وأنسأتها اذا زجرتها لتزداد سيرها وقد يحتمل أن النسيء فعيل صرف اليه من مفعول كما قيل لعين وقتيل بمعنى ملعون ومقتول ويكون معناه انما الشهر المؤخر زيادة في الكفر وكان القول الاول أشبه بمعنى الكلام وهو أن يكون معناه انما التأخير الذي يؤخره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة وتصييرهم الحرام منهن حلالا والحلال منهن حراما زيادة في كفرهم وجحودهم أحكام الله وآياته وقد كان بعض القراء يقرأ ذلك انما النسي بترك الهمز وترك مده يضل به الذين كفروا واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة الكوفيين يضل به الذين كفروا بمعنى يضل الله بالنسيء الذي ابتدعوه وأحدثوه الذين كفروا وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين يضل به الذين كفروا بمعنى يزول عن محجة الله التي جعلها لعباده طريقا يسلكونه الى مرضاته الذين كفروا وقد حكي عن الحسن البصري يضل به الذين كفروا بمعنى يضل بالنسيء الذي سنه الذين كفروا والناس * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك أن يقال هما قراءتان مشهورتان قد قرأت بكل واحدة القراء أهل العلم بالقرآن والمعرفة به وهما متقاربتا المعنى لأن من أضله الله فهو ضال ومن ضل فبإضلال الله اياه وخذلانه له ضل فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب في ذلك مصيب وأما الصواب من القراءة في النسيء فالهمز وقراءته على تقدير فعيل لانها القراءة المستفيضة في قراءة الامصار التي لا يجوز خلافها فيما أجمعت عليه وأما قوله يحلونه عاما فان معناه يحل الذين كفروا النسيء والهاء في قوله يحلونه عائدة عليه ومعنى الكلام يحلون الذي أخروا تحريمه من الاشهر الاربعة الحرم عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله يقول ليوافقوا بتحليلهم ما حللوا من الشهور وتحريمهم ما حرموا منها عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم يقول حسن لهم وحبب اليهم سيء أعمالهم وقبيحها وما خولف به أمر الله وطاعته والله لا يهدي القوم الكافرين يقول والله لا يوفق لمحاسن الافعال وحلها ومالته فيه رضا القوم الجاحدين توحيده والمنكرين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه يخذلهم عن الهدى كما خذل هؤلاء الناس عن الاشهر الحرم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انما النسيء زيادة في الكفر قال النسيء هو أن جنادة بن عوف ابن أمية الكناني كان يوافي الموسم كل عام وكان يكنى أبا ثمامة فينادي ألا ان أبا ثمامة لا يحاب ولا يعاب

والبعد وكل متوسط بين الافراط والتفريط فهو قاصد أى ذو قصد لان كل أحد يقصده والشقة المسافة الشاقة الشاطة ووصف المسافة البعيدة بالبعد مبالغة نحو جد جده وفحوى الكلام لو كانت المنافع قريبة الحصول والسفر وسطا (لاتبعوك) طمعا فى الفوز بتلك المنافع ولكن طال السفر فكانوا كالآيسين من الفوز بالغنيمة ثم أخبر أنه سيجدهم اذا رجع من الجهاد يحلفون بالله اما ابتداء على طريق تمامة العذر واما عند ما يعاتبهم بسبب التخلف وقد وقع كما أخبر فكان معجزا و (بالله) متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلام المتخلفين والقول مقدر فى الوجهين أى سيحلفون بالله قائلين (لو استطعنا) وقوله (نخرجنا) سادّ مسد جوابى القسم ولو جميعا قيل فى الآية دلالة على أن قوله انفروا خطاب للمستطيعين والا لما أمكنهم جعل عدم الاستطاعة عذرا فى التخلف قال الجبائى فهذا دليل على أن الاستطاعة قبل الفعل والا لما كذبهم الله تعالى فان لم من يخرج الى القتال لم يكن مستطيعا للقتال عند من يجعل الاستطاعة مع الفعل وقال الكعبى زائدا على ذلك فان قيل لم لا يجوز أن يراد أنهم ما كان لهم زاد ولا راحلة ولا يراد نفس القدرة قلنا ان من لا راحلة له يعذر فى ترك الخروج فمن لا قدرة له أولى وأيضا الظاهر من الاستطاعة قوة البدن واذا أريد به المال فلأنه يعين على ما يفعله الانسان بقوة البدن وأجيب بان المعتزلة سلموا أن القدرة على الفعل لا تتقدم الفعل الا بوقت واحد فان الانسان الجالس فى مكان لا يكون قادرا فى هذا الزمان على أن يفعل فعلا فى مكان بعيد عنه وانما يقدر على فعله فى المكان الملاصق لمكانه فالقوم الذين تخلفوا ما كانوا قادرين على القتال عندنا وعندهم فيلزمهم ما ألزموه علينا فوجب المصير الى تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة فيسقط السؤال ولقائل أن يقول انهم وان كانوا غير قادرين على القتال الا أنهم كانوا قادرين على الاشتغال باسباب القتال فيعود السؤال قال فى الكشاف (يهلكون) بدل من سيحلفون أو حال أى يوقعونها فى الهلاك يحلفهم الكاذب أو حال من ضمير خرجنا أى لخرجنا معكم وان ألقتنا أنفسنا فى التهلكة واتما حاء به على لفظ الغائب

ألا وان صفر العام الاول حلال فيحله الناس فيحرم صفرا عاما ويحرم المحرم عاما فذلك قوله تعالى انما النسىء زيادة فى الكفر الى قوله الكافرين وقوله انما النسىء زيادة فى الكفر يقول يترك المحرم عاما ويحرمه عاما يحرمونه * قال أبو جعفر وهذا التأويل من تأويل ابن عباس يدل على صحة قراءة من قرأ النسى بترك الهمز وترك المد وتوجيهه معنى الكلام الى أنه فعل من قول القائل نسيت الشىء أنساه ومن قول الله نسوا الله فنسيهم معنى تركوا الله فتركهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس انما النسىء زيادة فى الكفر قال فهو المحرم كان يحرم عاما وصفرا عاما ويزيد صفرا آخر فى الاشهر الحرم وكانوا يحرمون صفرا مرة ويحلونه مرة فعاب الله ذلك وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم تفعله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن أبى وائل انما النسىء زيادة فى الكفر قال كان النسىء رجلا من بنى كنانة وكان ذا رأى فيهم وكان يجعل سنة المحرم صفرا فيغزون فيه فيغنمون فيه ويصيبون ويحرمه سنة * قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن أبى وائل انما النسىء زيادة فى الكفر الآية وكان رجل من بنى كنانة يسمى النسىء فكان يجعل المحرم صفرا ويستحل فيه الغنائم فنزلت هذه الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قال كان رجل من بنى كنانة يأتى كل عام فى الموسم على حماره فيقول أيها الناس انى لا أعاب ولا أجاب ولا مرد لما أقول انا قد حرمنا المحرم وأخرنا صفر ثم يجىء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته ويقول انا قد حرمنا صفر وأخرنا المحرم فهو قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله قال يعنى الاربعة فيحلوا ما حرم الله لتأخير هذا الشهر الحرام حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد ابن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله انما النسىء زيادة فى الكفر النسىء المحرّم وكان يحرم المحرم عاما ويحرم صفرا عاما فالزيادة صفر وكانوا يؤخرون الشهور حتى يجعلون صفر المحرم فيحلوا ما حرم الله وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم يعظمونه وهم الذين كانوا يفعلون ذلك فى الجاهلية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انما النسىء زيادة فى الكفر الى قوله الكافرين عمد أناس من أهل الضلالة فزادوا صفرا فى الاشهر الحرم فكان يقوم قائمهم فى الموسم فيقول ألا ان آلهتكم قد حرمت العام المحرم فيحرمونه ذلك العام ثم يقوم فى العام المقبل فيقول ألا ان آلهتكم قد حرمت صفر فيحرمونه ذلك العام وكان يقال لهما الصفران قال فكان أول من نسأ النسىء بنو مالك بن كنانة وكانوا ثلاثة (١) أبو ثمامة صفوان بن أمية أحد بنى فقيم بن الحرث ثم أحد بنى كنانة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله انما النسىء زيادة فى الكفر قال فرض الله الحج فى ذى الحجة قال وكان المشركون يسمون الأشهر ذو الحجة والمحرم وصفر وربيع وربيع وجمادى وجمادى ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة يحجون فيه مرة ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه ثم يعودون فيسمون صفر صفر ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ثم يسمون شعبان رمضان ثم يسمون رمضان شوّالا ثم يسمون ذا القعدة شوالا ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ثم يسمون المحرم ذا الحجة فيحجون فيه واسمه عندهم ذو الحجة ثم عادوا بمثل هذه القصة فكانوا يحجون

---

(١) كذا فى الدر أيضا ولم يذكر الثلاثة وقد تقدم أن اسم أبى ثمامة جنادة. فحرر

لانه مخبر عنهم يقال حلف بالله ليفعلن أولأفعلن فالغيبة على الاخبار والتكلم على الحكاية قلت وفي الوجه الاخير نظر للزوم بناء أول الكلام على التكلم وآخره على الغيبة ولعل الصحيح حينئذ أن لو قيل خرجنا معكم نهلك أنفسنا والله تعالى أعلم ثم بين أن ذلك التخلف من بعضهم كان باذن الرسول ولهذا توجه عليه العتاب بقوله (عفا الله عنك) فان العفو يستدعي سابقة الذنب وبقوله (لم أذنت لهم) فانه استفهام في معنى الانكار وبيان لما كني عنه بالعفو قال قتادة وعمرو بن ميمون شيآن فعلهما الرسول لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله بطريق الملاطفة كما تسمعون والذي عليه المحققون أنه محمول على ترك الاولى وقوله عفا الله عنك انما جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير فيقدمون أمثال ذلك بين يدي الكلام يقولون عفا الله عنك ماصنعت في أمري رضي الله عنك ماجوابك عن كلامي وعافاك الله الا عرفت حقي وبعد حصول العفو من الله تعالى يستحيل أن يكون قوله لم أذنت لهم واردا على سبيل الذم والانكار بل يحمل على ترك الاكمل والاولى لاسيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا قال كثير من العلماء في الآية دلالة على جواز الاجتهاد لانه عليه السلام أذن لهم من تلقاء نفسه من غير أن يكون من الله في ذلك اذن والا لم يعاتب أو منع والا كان عاصيا بل كافرا لقوله ومن لم يحكم بما أنزل الله ولا ريب أنه لا يكون بمجرد التشهي فيكون بالاجتهاد ثم انه لم يمنع من الاجتهاد مطلقا وانما منع الى غاية هي قوله (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) ولا يمكن أن يكون المراد من ذلك التبين هو التبين بطريق الوحي والا كان ترك ذلك كبيرة فتعين أن يحمل التبين على استعلام الحال بطريق الاجتهاد ليكون الخطأ واقعا في الاجتهاد دلالة في النص ويدخل تحت قوله ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد وفي الآية دلالة على وجوب الاحتراز عن العجلة وترك الاغترار بظواهر الامور قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون ثم رخص له في سورة النور في قوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم قال أبو مسلم يحتمل أن يريد بقوله لم أذنت لهم الاذن في الخروج

في كل شهر عامين حتى وافق حجة أبي بكر رضي الله عنه الآخر من العامين في ذي القعدة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجته التي حج فوافق ذا الحجة فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انما النسيء زيادة في الكفر قال حجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين فكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين حتى وافقت حجة أبي بكر الآخر من العامين في ذي القعدة قبل حجة النبي صلى الله عليه وسلم بسنة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم من قابل في ذي الحجة فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن أبي مالك انما النسيء زيادة في الكفر قال كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا فيجعلون المحرم صفرا فيستحلون فيه الحرمات فأنزل الله انما النسيء زيادة في الكفر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا الآية قال هذا رجل من بني كنانة يقال له القلمس كان في الجاهلية وكانوا في الجاهلية لا يغير بعضهم على بعض في الشهر الحرام يلقى الرجل قاتل أبيه فلا يعد اليه يده فلما كان هو قال اخرجوا بنا قالوا له هذا المحرم فقال ننسئه العام هما العام صفران فاذا كان عام قابل قضينا فجعلناهما محرمين قال ففعل ذلك فلما كان عام قابل قال لا تغزوا في صفر حرموه مع المحرم هما محرمان المحرم أنسأناه عاما أول ونقضيه ذلك الانساء وقال شاعرهم * ومنا منسئ الشهور القلمس * وأنزل الله انما النسيء زيادة في الكفر الى آخر الآية وأما قوله زيادة في الكفر فان معناه زيادة كفر بالنسيء الى كفرهم بالله وقيل ابتداعهم النسيء كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد انما النسيء زيادة في الكفر يقول ازدادوا به كفرا الى كفرهم وأما قوله ليواطؤا فانه من قول القائل واطأت فلانا على كذا أواطئه مواطأة اذا وافقته عليه معينا له غير مخالف عليه وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله يقول يشبهون وذلك قريب المعنى مما بينا وذلك أن ما شابه الشئ فقد وافقه من الوجه الذي شابهه وانما معنى الكلام أنهم يوافقون بعدة الشهور التي يحرمونها عدة الاشهر الاربعة التي حرمها الله لا يزيدون عليها ولا ينقصون منها وان قدموا وأخروا فذلك مواطأة عدتهم عدة ما حرم الله القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين منوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل﴾ وهذه الآية حث من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك يقول جل ثناؤه يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله مالكم أي شئ أمركم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله يقول اذا قال لكم رسول الله محمد انفروا أي اخرجوا من منازلكم الى مغزاكم وأصل النفر مفارقة مكان الى مكان لامر هاجه على ذلك ومنه نفور الدابة غير أنه يقال من النفر الى الغزو نفر

لا فى القعود فقد يكون الخروج غير صواب لكونهم عينا للمنافقين على المسلمين واذا كان هذا محتملا فلا تتعين الآية لرخصة الاذن فى القعود

وقال القاضى هذا بعيد لان سياق الآية يدل على أن الكلام فى القاعدين وفى بيان حالهم ثم ذكر أنه ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوا لأن الاستئذان من علامات النفاق فقال (٩٤) (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا) أى فى أن يجاهدوا وكان

فلان الى ثغر كذا ينفر نفرا ونفيرا وأحسب أن هذا من الفروق التى يفرقون بها بين اختلاف المخبر عنه وان اتفقت معانى الخبر فعنى الكلام مالكم أيها المؤمنون اذا قيل لكم اخرجوا غزاة فى سبيل الله أى فى جهاد أعداء الله اثاقلتم الى الارض يقول تثاقلتم الى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها وقيل اثاقلتم لانه أدغم التاء فى الثاء فأحدث لها ألف ليتوصل الى الكلام بها لان التاء مدغمة فى الثاء ولو أسقطت الالف وابتدئ بها لم تكن الا متحركة فأحدثت الالف لتقع الحركة بها كما قال جل ثناؤه حتى اذا ادّاركوا فيها جميعا وكما قال الشاعر

تولى الضجيع اذا ما استافها خصرا * عذب المذاق اذا ما ابتاع القبل

فهو بنى الفعل افتعلتم من التثاقل وقوله أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة يقول جل ثناؤه أرضيتم بحظ الدنيا والدعة فيها عوضا من نعيم الآخرة وما عند الله للمتقين فى جنانه فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة يقول فما الذى يستمتع به الممتعون فى الدنيا من عيشها ولذاتها فى نعيم الآخرة والكرامة التى أعدها الله لأوليائه وأهل طاعته الا القليل يسير يقول لهم فاطلبوا أيها المؤمنون نعيم الآخرة وترف الكرامة التى عند الله لاوليائه بطاعته والمسارعة الى الاجابة الى أمره فى النفير لجهاد عدوه * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وبعد الطائف وبعد حنين أمروا بالنفير فى الصيف حين خرفت النخل وطابت الثمار واشتهوا الظلال وشق عليهم الخروج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض الآية قال هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين وبعد الطائف أمرهم بالنفير فى الصيف حين اخترفت النخل وطابت الثمار واشتهوا الظلال وشق عليهم الخروج قال فقالوا منا الثقيل وذو الحاجة والضيعة والشغل والمنتشر به أمره فى ذلك كله فأنزل الله انفروا خفافا وثقالا * القول فى تأويل قوله ﴿الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شئ قدير﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله متوعدهم على ترك النفر الى عدوهم من الروم ان لم تنفروا أيها المؤمنون الى من استنفركم رسول الله يعذبكم الله عاجلا فى الدنيا بتركيكم النفر اليهم عذابا موجعا ويستبدل قوما غيركم يقول يستبدل الله بكم نبيه قوما غيركم ينفرون اذا استنفروا ويجيبونه اذا دعوا ويطيعون الله ورسوله ولا تضرونه شيأ يقول ولا تضرون الله بتركيكم النفير ومعصيتكم اياه شيأ لأنه لا حاجة به اليكم بل أنتم أهل الحاجة اليه وهو الغنى عنكم وأنتم الفقراء والله على كل شئ قدير يقول جل ثناؤه والله على اهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم وعلى كل ما يشاء من الاشياء قدير وقد ذكر أن العذاب الأليم فى هذا الموضع كان احتباس القطر عنهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنى عبد المؤمن ابن خالد الحنفى قال ثنى نجدة الحرانى قال سمعت ابن عباس وسئل عن قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حيا من أحياء العرب فتثاقلوا عنه

الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون لا نستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الجهاد وكانوا بحيث لو أمرهم بالقعود شق عليهم ذلك ألا ترى أن على بن أبى طالب رضى الله عنه لما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يبقى فى المدينة شق عليه ذلك ولم يرض الى أن قال له الرسول صلى الله عليه وسلم أنت منى بمنزلة هرون من موسى وقيل ان حرف النفى مضمر كاضمار الجار والتقدير فى أن لا يجاهدوا والآن سياق الآية يدل على ذم من يستأذن فى القعود وعلى هذا يمكن أن يقال معناه كراهة أن يجاهدوا وفى قوله (والله عليم بالمتقين) رمز الى أنهم من جملة المتقين وأن لهم ثوابهم ثم بين الذين من شأنهم الاستئذان فقال (انما يستأذنك) الآية وفيه أن الشاك فى أمر الدين وفى أصوله لا فى بعض مسائله غير مؤمن بالله تعالى وفيه أن محل الريب واليقين هو القلب وأن الايمان ليس مجرد الاقرار باللسان والالم يصح نفيه عن المنافقين ومعنى قوله (فهم فى ريبهم يترددون) أن الشاك مترددبين النفى والاثبات غير حاكم باحد الطرفين وتقريره أن الاعتقاد اما أن يكون جازما أولا والجازم ان كان غير مطابق فهو الجهل وان كان مطابقا فاما بضرورة أو نظر فهو العلم أولا وهو اعتقاد المقلد وغير الجازم ان كان أحد الطرفين راجحا عنده فالراجح هو الظن والمرجوح هو الوهم وان تساوى الطرفان فهو الريب والشك فلهذا كانت الحيرة والتردد من شأن صاحبه كما أن الثبات والاستقرار دين المستبصر قال المفسرون ان المستأذنين هم المنافقون وكانوا تسعة وثلاثين رجلا ثم نعى على المنافقين سوء فعالهم فقال (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) قال ابن عباس يريد من الماء والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد والزمان شديد فترك العدة دليل على أنهم

أرادوا التخلف قال العلماء وفيه اشارة الى أنهم كانوا مياسير قادرين على تحصيل الاهبة والعدة (ولكن كره الله انبعاثهم) أي انطلاقهم (فثبطهم) والتثبيط رد الانسان عن الفعل الذي هم به ومعنى الاستدراك ان قوله ولو أرادوا الخروج يعطي معنى نفي الخروج وكأنه قيل ماخرجوا ولكن تثبطوا لان الله تعالى صرفهم عن ذلك كما تقول ما أحسن الى زيد (٩٥) ولكن أساء الي ومثل هذا يسمى في علم البديع صنعة الاستدراك ؛ وقد يقال تأكيد الذم بما يشبه المدح ولو قيل مثل هذا في المنع لقيل تأكيد المدح بما يشبه الذم وههنا سؤال وهو أن خروجهم مع الرسول ان كان مفسدة فلم عاتب الله رسوله في اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم كره الله انبعاثهم والجواب انه كان مفسدة لقوله عقيب ذلك (لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا) وحديث العتاب ظاهر عند من لا يجوز الاجتهاد على الانبياء لتمكنهم من استعلام الصواب بطريق الوحي وكذا على قول أبي مسلم ومما يوهم انه صلى الله عليه وسلم أذن لهم في الخروج قوله تعالى في هذه السورة فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا وقوله في سورة الفتح سيقول لك المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم الى قوله قل لن تتبعونا وأما عندنا فانا عالم يستحسن الله من الرسول صلى الله عليه وسلم اذنه لهم بالقعود وان كان قعودهم مصلحة لانه أذن لهم قبل اتمام التفحص واكمال التدبر ولانه لو لم يأذن لهم فهم كانوا يقعدون من تلقاء أنفسهم فكان يصير ذلك القعود علامة على نفاقهم ولا تبقى حاجة الى اظهار نفاقهم بوجوه أخر دالة على هتك أستارهم وكشف أسرارهم قال معتزلة البصرة في الآية دلالة على أنه تعالى موصوف

فأمسك عنهم المطر فكان ذلك عذابهم فذلك قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن نجدة قال سألت ابن عباس فذكر نحوه الا أنه قال فكان عذابهم أن أمسك عنهم المطر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما استنفر الله المؤمنين في لهبان الحر في غزوة تبوك قبل الشأم على ما يعلم الله من الجهد وقد زعم بعضهم أن هذه الآية منسوخة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا قال الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما وقال ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه الى قوله ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون فنسختها الآية التي تليها وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله لعلهم يحذرون * قال أبو جعفر ولا خبر بالذي قال عكرمة والحسن من نسخ حكم هذه الآية التي ذكر وا يجب التسليم له ولا حجة تأتي بصحة ذلك وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عدد من الصحابة والتابعين سنذكرهم بعد وجائز أن يكون قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما خاص من الناس ويكون المراد به من استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفر على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس واذا كان ذلك كذلك كان قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة نهيا من الله المؤمنين عن اخلاء بلاد الاسلام بغير مؤمن مقيم فيها واعلاما من الله لهم أن الواجب النفر على بعضهم دون بعض وذلك على من استنفر منهم دون من لم يستنفر واذا كان ذلك كذلك لم يكن في احدى الآيتين نسخ للاخرى وكان حكم كل واحدة منهما ما مضى فيما عنيت به ؛ القول في تأويل قوله ﴿الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا﴾ وهذا اعلام من الله أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه واظهاره عليهم دونهم أعانوه أو لم يعينوه وتذكير منه لهم فعل ذلك به وهو من العدد في قلة والعدو في كثرة فكيف به وهو من العدد في كثرة والعدو في قلة يقول لهم جل ثناؤه الا تنفروا أيها المؤمنون مع رسولي اذا استنفركم فتنصروه فالله ناصره ومعينه على عدوه ومغنيه عنكم وعن معونتكم ونصرتكم كما نصره اذ أخرجه الذين كفروا بالله من قريش من وطنه وداره ثاني اثنين يقول أخرجوه وهو أحد الاثنين أي واحد من الاثنين وكذلك تقول العرب هو ثاني اثنين يعني أحد الاثنين وثالث ثلاثة ورابع أربعة يعني أحد الثلاثة وأحد الأربعة وذلك خلاف قولهم هو أخو ستة وغلام سبعة لان الاخ والغلام غير الستة والسبعة وثالث الثلاثة أحد الثلاثة وانما عنى جل ثناؤه بقوله ثاني اثنين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضي الله عنه لانهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش اذ هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واختفيا في الغار وقوله اذ هما في الغار يقول اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رحمة الله عليه في الغار والغار النقب العظيم يكون في الجبل اذ يقول لصاحبه يقول رسول الله لصاحبه أبي بكر لا تحزن وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن لأن الله معنا والله ناصرنا فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا الينا يقول جل ثناؤه فقد نصره الله

بصفة الكراهة كما أنه موصوف بصفة الارادة وقالت الاشاعرة معنى كره الله أنه أراد عدم ذلك الشئ وزيف بأن العدم لا يصلح أن يكون متعلق الارادة لان العدم مستمر فتعلق الارادة به يكون تحصيلا للحاصل و يمكن أن يجاب بأن الارادة صفة تقتضي ترجيح أحد طرفي الممكن على الآخر سواء في ذلك طرف الوجود وطرف العدم وطرف العدم غير حاصل الا بارادة العدم فكيف يكون تعلق الارادة به تحصيلا

للحاصل وأيضا عدم الشئ المخصوص ليس عدما محضا أما قوله (وقيل اقعدوا) فيحتمل أن يكون قد جعل القاء الله فى قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود ويحتمل أن يراد به قول الشيطان بطريق الوسوسة أو قول بعضهم لبعض لما أرادوا الاجتماع على التخلف أو هو قول الرسول كأنه غضب عليهم حين استأذنوه فقال على سبيل الزجر اقعدوا مع القاعدين فعمموا هذه اللفظة وقالوا قد أذن لنا فلهذا عوتب

بقوله لم أذنت لهم أى لم ذكرت هذه اللفظة التى أمكنهم أن يتوسلوا بها الى تحصيل غرضهم ومعنى قوله مع القاعدين ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم الجثوم فى البيوت (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبى عسكره على ذى حدة أسفل من ثنية الوداع ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب فأنزل الله يعزى نبيه (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) فيكون استثناء متصلا من أعم العام وحمله على الاستثناء المنقطع بناء على أن التقدير ما زادوكم خيرا الا خبالا ضعيف والخبال فى اللغة الفساد ومنه المخبل للمعتوه وللمفسرين عبارات قال الكلبى إلا شرا وقال سلمان إلا مكرا وقال الفحال إلا غدرا وقيل إلا خبثا وقيل هو الاضطراب فى الرأى وذلك بتزيين أمر لقوم وتقبيحه لآخرين حتى يختلفوا وتتفرق كلمتهم قالت المعتزلة دلت الآية على أنه كره انبعاثهم لاشتماله على هذا الخبال والشر وفيه دليل على أنه تعالى لا يريد الا الخير والصلاح ولقائل أن يقول اثبات حكم كلى بحكم جزئى غير معقول واعلم أنه سبحانه عدد من مفاسد خروجهم ثلاثة الاول قوله ما زادوكم إلا خبالا الثانى (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة) قال فى الكشاف زيدت ألف فى الكتابة لان الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربى والخط العربى اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقى من ذلك الالف أثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحتها ألفا أخرى ونحوه ﴿ولا أذبحنه﴾ فى النمل ولا آتوها فى الاحزاب

على عدوه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد فكيف يخذله ويحوجه اليكم وقد كثر الله أنصاره وعدد جنوده * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا تنصروه ذكرنا كان فى أول شأنه حين بعثه يقول الله فأنا فعل ذلك به وناصره كما نصرته اذ ذاك وهو ثانى اثنين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الا تنصروه فقد نصره الله قال ذكرنا كان فى أول شأنه حين بعث فالله فاعل به كذلك ناصره كما نصره اذ ذاك ثانى اثنين اذ هما فى الغار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا تنصروه فقد نصره الله الآية قال فكان صاحبه أبو بكر وأما الغار فجبل بمكة يقال له ثور حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه وكان لابى بكر منيحة من غنم تروح على أهله فأرسل أبو بكر عامر بن فهيرة فى الغنم الى ثور وكان عامر بن فهيرة يروح بتلك الغنم على النبى صلى الله عليه وسلم بالغار فى ثور وهو الغار الذى سماه الله فى القرآن حدثنى يعقوب بن ابراهيم بن جبير الواسطى قال ثنا عفان وحبان قالا ثنا همام عن ثابت عن أنس أن أبا بكر رضى الله عنه حدثهم قال بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وأقدام المشركين فوق رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه أبصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد قال مكث أبو بكر مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى اذ هما فى الغار قال فى الجبل الذى يسمى ثورا مكث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ثلاث ليال حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن أبيه أن أبا بكر الصديق رحمة الله تعالى عليه حين خطب قال أيكم يقرأ سورة التوبة قال رجل أنا قال اقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى أبو بكر وقال أنا والله صاحبه * القول فى تأويل قوله ﴿فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم﴾ يقول تعالى ذكره فأنزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله وقد قيل على أبى بكر وأيده بجنود لم تروها يقول وقواه بجنود من عنده من الملائكة لم تروها أنتم وجعل كلمة الذين كفروا وهى كلمة الشرك السفلى لانها قهرت، وأذلت وأبطلها الله تعالى ومحق أهلها وكل مقهور ومغلوب فهو أسفل من الغالب والغالب هو الأعلى وكلمة الله هى العليا يقول ودين الله وتوحيده وقول لا اله الا الله وهى كلمته العليا على الشرك وأهله الغالبة كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وهى الشرك بالله وكلمة الله هى العليا وهى لا اله الا الله وقوله وكلمة الله هى العليا خبر مبتدأ غير مردود على قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى لأن ذلك لو كان معطوفا على الكلمة الاولى لكان نصبا وأما قوله والله عزيز حكيم فانه يعنى والله عزيز فى انتقامه من أهل الكفر به لا يقهره قاهر ولا يغلبه غالب

ولا رابع لها فى القرآن وفى الايضاع قولان لاهل اللغة فقال أكثرهم هو متعد يقال وضع البعير اذا عدا وآوضعه الراكب اذا حمله على العدو وعلى هذا يكون فى الآية حذف والتقدير ولأوضعوا ركائبهم وقال الاخفش وأبو عبيدة جاء لازما ويقال أوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا ومنه ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم أفاض من عرفة وعليه (٩٧) السكينة وأوضع فى وادى محسر أى أسرع قال

الواحدى والآية تشهد للاخفش وأبى عبيد وعلى القولين المراد فى الآية السعى بين المسلمين بالتضريب والنميمة والمبالغة فى الاول أكثر لان الراكب أسرع من الماشى ومعنى (خلالكم) أى فيما بينكم والخلل الفرجة فيما بين الشيئين و (يبغونكم الفتنة) أى يبغون لكم قال الاصمعى يقال ابغنى كذا وابغ لى أى اطلبه لأجلى ومعنى الفتنة هنا افتراق الكلمة والتشويش فى المقاصد فعند ذلك يحصل الانهزام أسرع ما يكون فالحاصل من النوع الاول اختلاف الآراء ومن الثانى المشى بالنميمة لتسهيل ذلك الغرض وأما النوع الثالث فذلك قوله (وفيكم سماعون لهم) قال مجاهد وابن زيد أى يعون لهم يتقاولون اليهم ما يسمعون منكم وقال قتادة فيكم من يسمع كلامهم ويقبل قولهم واذا تعاضد الناعل والقابل وقع الاثر على أكمل الوجوه لاحتمال واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز ذلك على المؤمنين مع قوة تيقنهم وأجيب بأن ذلك انما يقع لمن قرب عهده بالاسلام أو لمن جبل على الجبن والفشل أو لمن حسن ظنه ببعض المنافقين لقرابة أو رهبة وقيل يحتمل الاقوياء من ضعيف سخيف أو أهل الحق من مبطل منافق ولهذا ختم الآية بقوله (والله عليم بالظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم ونفاقهم وغيرهم بالقاء الفتنة فيما بينهم ثم سلى نبيه بتوهين

غالب ولا يتصرمن عاقبه ناصر حكيم فى تدبيره خلقه وتصريفه اياهم فى مشيئته ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى الخفة والثقل اللذين أمر الله من كان به أحدهما بالنفر معه فقال بعضهم معنى الخفة التى عناها الله فى هذا الموضع الشباب ومعنى الثقل الشيخوخة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن رجل عن الحسن فى قوله انفروا خفافا وثقالا قال شبابا وشيابا حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن عمرو عن الحسن قال شيوخا وشبانا * قال ثنا ابن عيينة عن على بن زيد عن أنس عن أبى طلحة انفروا خفافا وثقالا قال كهولا وشبانا ما أسمع الله عذر أحدا فخرج الى الشام فجاهد حتى مات حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن المغيرة بن النعمان قال كان رجل من النخع وكان شيخا بادنا فأراد الغزو فمنعه سعد بن أبى وقاص فقال ان الله يقول انفروا خفافا وثقالا فأذن له سعد فقتل الشيخ فسأل عنه بعد عمر فقال ما فعل الشيخ الذى كان (١) من بنى هاشم فقالوا قتل يا أمير المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن اسمعيل عن أبى صالح قال الشاب والشيخ * قال ثنا أبو أسامة عن مالك بن مغول عن اسمعيل عن عكرمة قال الشاب والشيخ * قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك كهولا وشبانا * قال ثنا حيوة أبو يزيد عن يعقوب القمى عن جعفر بن حميد عن بشر بن عطية كهولا وشبانا حدثنا الوليد قال ثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان فى قوله انفروا خفافا وثقالا قال شبانا وكهولا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انفروا خفافا وثقالا قال شبابا وشيوخا وأغنياء ومساكين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن شيوخا وشبانا حدثنى سعيد بن عمرو قال ثنا بقية قال ثنا جرير قال ثنى حبان بن زيد الشرعبى قال نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان والبا على حمص قبل الافسوس الى الجراجمة فلقيت شيخا كبيرا هما قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار فأقبلت عليه فقلت يا عم لقد أعذر الله اليك قال فرفع حاجبيه فقال يا ابن أخى استنفرنا الله خفافا وثقالا من يحبه الله يبتليه ثم يعيده فيبقيه وانما يبتلى الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد الا الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسمعيل عن أبى صالح انفروا خفافا وثقالا قال كل شيخ وشاب * وقال آخرون معنى ذلك مشاغيل وغير مشاغيل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن الحكم فى قوله انفروا خفافا وثقالا قال مشاغيل وغير مشاغيل * وقال آخرون معناه انفروا أغنياء وفقراء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عمن ذكره عن أبى صالح انفروا خفافا وثقالا قال أغنياء وفقراء * وقال آخرون معناه نشاطا وغير نشاط ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن

(١) لعله مولى بنى هاشم تأمل كتبه مصححه

هوان اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبى صلى الله عليه وسلم وقيل المراد ما فعله عبد الله بن أبى يوم أحد حين انصرف عن النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ومعنى الفتنة السعى فى تشتيت شمل المؤمنين والاختلاف الموجب للفرقة بعد

الالفة فسلمهم الله منه (وقلبوا لك الامور) حرفوها ودبروا كل الحيل والمكايد ومنه فلان حول قلب اذا كان دائرا حول مصايد المكايد (حتى جاء الحق) الذى هو القرآن (وظهر أمر الله) غلب دينه وشرعه (وهم كارهون) رد الله مكرهم فى نحرهم وأتى بضد مقصودهم ولما كان الامر كذلك فى الماضى فكذا يكون الحال فى المستقبل لقوله وبأبى الله الا أن يتم نوره (ومنهم من يقول ائذن لى) فى القعود (ولا تفتنى) ولا توقعنى فى الفتنة وهى الاثم بان لا تأذن لى فانى ان تخلفت بغير اذنك أثمت احتمل أن يكون قد ذكره على سبيل السخرية أو على سبيل الحسد بأن كان يغلب على ظن ذلك المناقق صدق محمد وان كان غير جازم به بعد وقيل لا تفتنى أى لا تلقنى فى التهلكة فانى ان خرجت معك هلك مالى وعيالى وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار أنى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر يعنى نساء الروم ولكنى أعينك بمالى فاتركنى فاعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فنزلت الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنى سلمة وكان الجد منهم من سيدكم يا بنى سلمة قالوا الجد بن قيس غير أنه بخيل جبان فقال النبى صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوى من البخل بل سيدكم الفتى الابيض الجعد الشعر البراء ابن معرور (ألا فى الفتنة سقطوا) أى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة النفاق والتمرد عن قبول التكليف المستتبع لشقاء الدارين ولهذا ختم الآية بقوله (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أما فى الدنيا فلاحاطة أسبابها بهم من النعى عليهم بالنفاق وافشاء الاسرار وهتك الاستار وتحقير المقدار وأما فى الآخرة فلما آل حالهم الى الدرك الاسفل من النار ﴿ التأويل أيها الارواح والقلوب المؤمنة مامنيتكم وبلواكم الا تميل لكم بالالهام الربانى اخرجوا من الدنيا وما فيها فى طلب الله والسير اليه فى اثاقلتم الى أرض الدنيا وشهواتها الا تنفروا من سجن الدنيا وقيودشهواتها يعذبكم عذابا أليما باستيلاء ظلمات الصفات النفسانية وغلبات الاوصاف السبعية والشيطانية وبألم البعد عن الحضرة الربانية وستبدل قوما غيركم من الارواح والقلوب الصادقة العاشقة بل من العقول

ابن عباس قوله انفروا خفافا وثقالا يقول انفروا نشاطا وغير نشاط حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خفافا وثقالا قال نشاطا وغير نشاط * وقال آخرون معناه ركبانا ومشاة ذكر من قال ذلك حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد قال قال أبو عمرو اذا كان النفر الى دروب الشأم نفر الناس اليها خفافا ركبانا واذا كان النفر الى هذه السواحل نفروا اليها خفافا وثقالا ركبانا ومشاة * وقال آخرون معنى ذلك ذا ضيعة وغير ذى ضيعة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انفروا خفافا وثقالا قال الثقيل الذى له الضيعة فهو ثقيل يكره أن يضيع ضيعته ويخرج والخفيف الذى لا ضيعة له فقال الله انفروا خفافا وثقالا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمى أنه ذكر له أن ناسا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلا أو كبيرا فيقول انى أحسبه قال أنالا أتم فأنزل الله انفروا خفافا وثقالا حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن محمد قال شهد أبو أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين الا وهو فى أخرى الا عاما واحدا وكان أبو أيوب يقول انفروا خفافا وثقالا فلا أجدنى الا خفيفا أو ثقيلا حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا جرير عن عثمان عن راشد بن سعد عن رأى المقداد بن الاسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص وقد فضل عنه من عظمه فقلت له لقد أعذر الله اليك فقال أتت علينا سورة البعوث انفروا خفافا وثقالا حدثنا سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا جرير قال ثنى عبد الرحمن بن ميسرة قال ثنى أبو راشد الحبرانى قال وافيت المقداد بن الاسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص قد فضل عنه من عظمه يريد الغرز فقلت له لقد أعذر الله اليك فقال أتت علينا سورة البعوث انفروا خفافا وثقالا * قال أبو جعفر وأولى الأقوال فى ذلك عندنا بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه فى سبيله خفافا وثقالا وقد يدخل فى الخفاف كل من كان سهلا عليه النفر لقوة بدنه على ذلك وصحة جسمه وشبابه ومن كان ذا يسر عيال وفراغ من الاشتغال وقادرا على الظهر والركاب ويدخل فى الثقال كل من كان بخلاف ذلك من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه ومن معسر من المال ومبتغل بضيعة ومعاش ومن كان لا ظهر له ولا ركاب والشيخ ذو السن والعيال اذ كان قد يدخل فى الخفاف والثقال من وصفنا من أهل الصفات التى ذكرنا ولم يكن الله جل ثناؤه خص من ذلك صنفا دون صنف فى الكتاب ولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نصب على خصوصه دليلا وجب أن يقال ان الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد فى سبيله خفافا وثقالا مع رسوله صلى الله عليه وسلم على كل حال من أحوال الخفة والثقل حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن سعيد بن مسروق عن مسلم بن صبيح قال أول ما نزل من براءة انفروا خفافا وثقالا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبيه عن أبى الضحى مثله حدثنا الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ان أول ما نزل من براءة لتقد نصركم الله

الكاملة المفارقة الانتصار وارسول الوارد الربانى فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا أى النفوس الامارة الكافرة من أرض القبول ثانى اثنين ثانى النفس الملهمة اذهما فى غار العدم وكلمة الله هى العليا بجعل النفس المطمئنة بجذبة ارجعى واصلة الى مقام العندية انفروا أيها الطلاب خفافا مجردين من علائق الأهل والأولاد والأموال وثقالا متلبسين بها أوخفافا مجنوبين بالعناية وثقالا سالكين بالهداية وجاهدوا بقدمى بذل الاموال والأنفس وقدم انفاق المال لان بذل النفس مع بقاء صفاتها الذميمة غير معتبر ومن صفاتها الذميمة الحرص على الدنيا والبخل بها ذلكم خير لكم لان الحاصل من المال ومن النفس الوزر والوبال والحاصل من الطلب الوصول والوصال لو كان مطلوبك يا محمد عرضا قريبا هو الدنيا وتنعمها وسفرا قاصدا هو تتبع شهوات النفس وهواها لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة لانها الخروج من الدنيا والعقبى ويحلفون يعنى أرباب النفوس لخرجنا معكم يا أهل القلوب عفا الله عنك قدم العفو على العتاب تحقيقا لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهم فى ريبهم يترددون بين أوصافهم الذميمة النفسانية والحيوانية بلا داعية الخروج الى الانوار الروحانية لأعدوا له عدة وهى متابعة الأنبياء فثبطهم حبسهم فى سجن البشرية مازادوكم الا خبالا فيه اشارة الى أن قعود أهل الطبيعة فى حبس البشرية صلاح لارباب القلوب وأصحاب السلوك لانهم لو خرجوا لاعن نية صادقة وعزيمة صالحة مازادوهم الا تشويشا وتفرقة لأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعنى أن صفات النفس قبل البلوغ كانت تستخدم الروح فى شهواتها حتى

فى مواطن كثيرة قال يعرفهم نصره ويوطنهم لغزوة تبوك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أيها المؤمنون الكفار بأموالكم فأنفقوها فى مجاهدتهم على دين الله الذى شرعه لكم حتى ينقادوا لكم فيدخلوا فيه طوعا أو كرها أو يعطوكم الجزية عن يد صغارا ان كانوا أهل كتاب أو تقتلوهم وأنفسكم يقول وبأنفسكم فقاتلوهم بأيديكم يخزهم الله وينصركم عليهم ذلكم خير لكم يقول هذا الذى آمركم به من النفر فى سبيل الله تعالى خفافا وثقالا وجهاد أعدائه بأموالكم وأنفسكم خير لكم من التثاقل الى الارض اذا استنفرتم والخلود اليها والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا عوضا من الآخرة ان كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بين لكم من فضل الجهاد فى سبيل الله على القعود عنه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون﴾ يقول جل ثناؤه للنبى صلى الله عليه وسلم وكانت جماعة من أصحابه قد استأذنوه فى التخلف عنه حين خرج الى تبوك فأذن لهم لو كان ما تدعوا اليه المتخلفين عنك والمستأذنيك فى ترك الخروج معك الى مغزاك الذى استنفرتهم اليه عرضا قريبا يقول غنيمة حاضرة وسفرا قاصدا يقول وموضعا قريبا سهلا لاتبعوك ونفروا معك اليها ولكنك استنفرتهم الى موضع بعيد وكلفتهم سفرا شاقا عليهم لانك استنهضتهم فى وقت الحر وزمان القيظ وحين الحاجة الى الكن وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يقول تعالى ذكره وسيحلف لك يا محمد هؤلاء المستأذنوك فى ترك الخروج معك اعتذارا منهم اليك بالباطل لتقبل منهم عذرهم وتأذن لهم فى التخلف عنك بالله كاذبين لو استطعنا لخرجنا معكم يقول لو أطقنا الخروج معكم بوجود السعة والمراكب والظهور وما لابد للمسافر والغازى منه وصحة البدن والقوى لخرجنا معكم الى عدوكم يهلكون أنفسهم يقول يوجبون لانفسهم بحلفهم بالله كاذبين الهلاك والعطب لانهم يورثونها سخط الله ويكسبونها أليم عقابه والله يعلم انهم لكاذبون فى حلفهم بالله لو استطعنا لخرجنا معكم لأنهم كانوا للخروج مطيقين بوجود السبيل الى ذلك بالذى كان عندهم من الاموال مما يحتاج اليه الغازى فى غزوه والمسافر فى سفره وصحة الابدان وقوى الاجسام ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو كان عرضا قريبا الى قوله لكاذبون انهم يستطيعون الخروج ولكن كان تبطئة من عند أنفسهم والشيطان وزهادة فى الخير حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لو كان عرضا قريبا قال هى غزوة تبوك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله يعلم انهم لكاذبون أى انهم يستطيعون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ وهذا عتاب من الله تعالى ذكره عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم فى اذنه لمن أذن له فى التخلف عنه حين شخص الى تبوك لغزو الروم من المنافقين يقول جل ثناؤه عفا الله عنك يا محمد ما كان منك فى اذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك فى ترك الخروج معك وفى التخلف عنك من قبل أن تعلم صدقه من كذبه لم أذنت لهم

جاء الحق وهو العقل القابل لأوامر الشرع وظهر أمر الله وهو التكليف وهم أى من صفات النفس من يقول وهو الهوى ائذن لى فى القعود عن الارتقاء فى مدارج المعارف والمشارع ولا تفتنى يا روح بتكليفى ما ليس من شأنى وذلك ان الهوى مركب المحبة تستعمله الروح فى تصاعده الى ذروة الكمال والوصال ألا فى الفتنة سقطوا أى ان فتنة الهبوط هو الفتنة بالحقيقة وان جهنم لمحيطة بالكافرين لو لزم كفار

النفس وصفاتها أعاذنا الله منها ﴿ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا (١٠٠) فتربصوا انا معكم متربصون قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم

لأي شيء أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين يقول ما كان ينبغي لك أن تأذن لهم في التخلف عنك اذ قالوا لك لو استطعنا لخرجنا معك حتى تعرف من له العذر منهم في تخلفه ومن لا عذر له منهم فيكون اذنك لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقا وشكا في دين الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عفا الله عنك لم أذنت لهم قال ناس قالوا استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أذن لكم فاقعدوا وان لم يأذن لكم فاقعدوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا الآية عاتبه كما تسمعون ثم أنزل الله التي في سورة النور فرخص له في أن يأذن لهم ان شاء فقال فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم فجعله الله رخصة في ذلك من ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن ميمون الاودي قال اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء أذنه للمنافقين وأخذه من الاساري فأنزل الله عفا الله عنك لم أذنت لهم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد بن سليمان قال قرأت على سعيد بن أبي عروبة قال هكذا سمعته من قتادة قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم الآية ثم أنزل الله بعد ذلك في سورة النور فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم الآية حدثنا صالح بن مسمار قال ثنا النضر بن شميل قال أخبرنا موسى بن مروان قال سألت مورقا عن قوله عفا الله عنك قال عاتبه ربه ﴿القول في تأويل قوله ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين﴾ وهذا اعلام من الله نبيه صلى الله عليه وسلم سيما المنافقين أن من علاماتهم التي يعرفون بها تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله باستئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تركهم الخروج معه اذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد لا تأذن في التخلف عنك اذا خرجت لغزو عدو لك لمن استأذنك في التخلف من غير عذر فانه لا يستأذنك في ذلك الا منافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر فاما الذي يصدق بالله ويقر بوحدانيته وبالبعث والدار الآخرة والثواب والعقاب فانه لا يستأذنك في ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله ونفسه والله عليم بالمتقين يقول والله ذو علم بمن خافه فاتقاه باداء فرائضه واجتناب معاصيه والمسارعة الى طاعته في غزو عدوه وجهادهم بماله ونفسه وغير ذلك من أمره ونهيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله فهذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود عن الجهاد من غير عذر وعذر الله المؤمنين فقال لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴿القول في تأويل قوله ﴿انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم انما يستأذنك يا محمد في التخلف خلافك وترك الجهاد معك من غير عذر بين الذين لا يصدقون بالله ولا يقرون بتوحيده وارتابت قلوبهم بما يقول وشكت قلوبهم في حقيقة وحدانية الله وفي ثواب أهل طاعته وعقاب أهل معاصيه

فاسقين ٥ كارهون ٥ ولا أولادهم ط كافرون ٥ لمنكم ط يفرقون ٥ يجمحون ٥ في الصدقات ط فهم الفاء يسخطون ٥ ورسوله لا الى قوله راغبون لان الكل يتعلق بلو وجواب لو بعد التمام محذوف أي لكان خيرا لهم ﴿التفسير هذا

نوع آخر من خبث ضمائر المنافقين عن ابن عباس الحسنة في يوم بدر والمصيبة في يوم أحد والاولى حمله على العموم اذ معلوم من حال المنافقين أنهم كانوا في كل حسنة وعند كل مصيبة بالوصف الذي ذكر الله تعالى ومعنى (أخذنا أمرنا) أي أمرنا الذي نحن موسومون به من التيقظ والتحرز وحسن الرأي والتدبير و(من قبل) أي من قبل ما وقع (وتولوا) أي عن مقامات التحدث بذلك الى أهاليهم أو أعرضوا عن الرسول (وهم فرحون) مسرورون ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقول في جوابهم (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) قيل أي في اللوح المحفوظ من خير أو شر أو خوف أو رجاء أو شدة أو رخاء وفائدته أنه اذا علم الانسان أن الذي وقع امتنع أن لا يقع لان خلاف معلوم الله ومقدوره محال زالت عنه منازعة النفس وهانت عليه المصائب وقيل أي في عاقبة أمرنا من الظفر بالعدو واظهار دين الله على كل الاديان فيكون المقصود ان أحوال المسلمين وان كانت مختلفة في الغم والسرور والمحنة الا أن العاقبة والدولة تكون لهم والظفر يقع في جانبهم فلا معنى لفرح المنافقين في الحال وقال الزجاج معناه لن يصيبنا الا ما اختصنا الله به من النصرة عليكم أو الشهادة وعلى هذا القول يقع ما في الآية الثانية كالمكرر (هو مولانا) لا يتولى أمورنا الا هو يفعل بنا ما يريد من أسباب النهائي والتعازي لا اعتراض لاحد عليه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فيه تنبيه على أن المؤمن يجب أن لا يعلق الرجاء الا برب الارباب فانهم يتعلقون بالوسائط والاسباب ثم أمره بجواب ثان فقال (قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين) التربص التمسك بما ينتظر به مجيء حينه ومنه تربص بالطعام اذا تمسك به الى حين زيادة

فهم في ريبهم يترددون يقول في شكهم متحيرون وفي ظلمة الحيرة مترددون لا يعرفون حقا من باطل فيعملون على بصيرة وهذه صفة المنافقين وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية التي ذكرت في سورة النور ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا قوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله الى قوله فهم في ريبهم يترددون نسختهما الآية التي في النور انما المؤمنون الذين آمنوا بالله الى ان الله غفور رحيم وقد بينا الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن اعادته ههنا ﴿القول في تأويل قوله ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ يقول تعالى ذكره ولو أراد هؤلاء المستأذنون يا محمد في ترك الخروج معك لجهاد عدوك الخروج معك لأعدوا له عدة يقول لأعدوا للخروج عدة ولتأهبوا للسفر والعدو أهبتهما ولكن كره الله انبعاثهم يعني خروجهم لذلك فثبطهم يقول فثقل عليهم الخروج حتى استحفوا القعود في منازلهم خلافك واستثقلوا السفر والخروج معك فتركوا ذلك الخروج وقيل اقعدوا مع القاعدين يعني اقعدوا مع المرضى والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفقون ومع النساء والصبيان واتركوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين في سبيل الله وكان تثبيط الله اياهم عن الخروج مع رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به لعلمه بنفاقهم وغشهم للاسلام وأهله وأنهم لو خرجوا معهم ضروهم ولم ينفعوا وذكر أن الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود كانوا عبد الله بن أبي ابن سلول والجد بن قيس ومن كان على مثل الذي كانا عليه كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذين استأذنوه فيما بلغني من ذوي الشرف منهم عبد الله بن أبي ابن سلول والجد بن قيس وكانوا أشرافا في قومهم فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده ﴿القول في تأويل قوله ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين﴾ يقول تعالى ذكره لو خرج أيها المؤمنون فيكم هؤلاء المنافقون ما زادوكم الا خبالا يقول لم يزيدوكم بخروجهم فيكم الا فسادا وضرا ولذلك ثبطتهم عن الخروج معكم وقد بينا معنى الخبال بشواهده فيما مضى قبل ولأوضعوا خلالكم يقول ولأسرعوا بركائبهم السير بينكم وأصله من ايضاع الخيل والركاب وهو الاسراع بها في السير يقال للناقة اذا أسرعت السير وضعت الناقة تضع وضعا وموضوعا وأوضعها صاحبها اذا حثها بها وأسرع يوضعها ايضاعا ومنه قول الراجز

بالبيتني فيها جذع ... أخب فيها وأضع

وأما أصل الخلال فهو من الخلل وهي الفرج تكون بين القوم في الصفوف وغيرها ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم تراصوا في الصفوف لا يتخللكم أولاد الحذف وأما قوله يبغونكم الفتنة فان معنى يبغونكم الفتنة يطلبون لكم ما تفتنون به عن مخرجكم في مغزاكم بتثبيطهم اياكم عنه يقال منه بغيته الشر وبغيته الخير أبغيه بغاء اذا التمسته له بمعنى بغيت له وكذلك عكمت وحلبت بمعنى حلبت لك وعكمت لك واذا أرادوا أعنتك على التماسه وطلبه قالوا أبغيتك كذا وأحلبتك وأعكمتك أي أعنتك عليه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال

شعره والحسنى تأنيث الاحسن وهي صفة الحالة أو الخصلة أو العاقبة يعني النصرة أو الشهادة وفي الاولى احراز الغنيمة والظفر بالاعداء وفي الثانية ابقاء الذكر والفوز بنعيم الآخرة (ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) قارعة مثل قارعة عاد وثمود وقيل عذاب الله يشمل عذاب الدارين (أو بأيدينا) يعني القتل بأن يظهر نفاقكم ويأمر بقتلكم كالكافر الحربي (فتربصوا) أمر للتهديد نحو ذق انك أنت العزيز

الكريم ثم ذكر أنهم اذا أتوا بشئ من صورة البر لم يكن له قدر عند الله ولا ينتفعون به فى الآخرة والغرض أن أسباب الذل والهوان مجتمعة عليهم فى الدنيا والاخرى عن ابن عباس نزلت فى الجد بن قيس حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم ائذن لى فى القعود وهذا مالى أعينك به ولا يبعد أن يكون السبب خاصا (١٠٢) والحكم عاما و(أنفقوا) لفظه أمر ومعناه خبر كقوله فيما يجىء استغفر لهم أولا تستغفر لهم ومعناه أنفقوا أو انظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أولا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه ومثله قول كثير لعزة * أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة * كأنه يقول امتحنى لطف محالك عندى وعاملينى بالاساءة والاحسان وانظرى هل تجدينى منى تفاوتا فى الحالين وانما يجوز اقامة الخبر والطلب أحدهما مقام الآخر اذا دل الكلام عليه فيعدل عن الاصل لافادة المبالغة وانتصب (طوعا أو كرها) على الحال ومعناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله أو ملزمين من جهتهما وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزام الله اياهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه ويحتمل أن يراد طائعين من غير اكراه من رؤسائكم أو ملزمين من جهتهم وذلك أن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملونهم على الانفاق اذا رأوا فيه مصلحة ومعنى (لن يتقبل منكم) أن الرسول لا يقبله منكم أو أنه لا يقع مقبولا عند الله ثم علل عدم القبول بقوله (انكم كنتم قوما فاسقين) قال الجبائى فيه دليل على ان الفسق يحبط الطاعات وأجيب بأن الفسق ههنا بمعنى الكفر ولا يلزم منه كون الفسق المطلق كذلك وانما قلنا ان الفسق بمعنى الكفر لقوله سبحانه (وما منعهم أن تقبل منهم) الآية علل منع القبول بامور ثلاثة أولها الكفر بالله ورسوله وثانيها (ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى) قال المفسرون معناه أنه ان كان فى جماعة صلى وان كان وحده لم يصل وفيه أنه يصلى للناس لا لله وفيه انه غير معتقد للصلاة ووجوبها فلهذا لزم منه الكفر وثالثها (ولا ينفقون الا وهم كارهون) وذلك انهم لا ينفقون رغبة فى ثواب الله وانما ينفقون لأجل المصالح

ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة بذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولأوضعوا خلالكم يقول ولأوضعوا (١) أسلحتهم خلالكم بالفتنة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة يبطؤنكم قال رفاعة بن التابوت وعبد الله بن أبى ابن سلول وأوس بن قيظى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولأوضعوا خلالكم قال لأسرعوا الأزقة خلالكم يبغونكم الفتنة يبطؤنكم عبد الله بن نبتل ورفاعة بن تابوت وعبد الله بن أبى ابن سلول * قال حدثنا الحسن قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن قتادة ولأوضعوا خلالكم قال لأسرعوا خلالكم يبغونكم الفتنة بذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا قال هؤلاء المنافقون فى غزوة تبوك يسلى الله عنهم نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فقال وما يحزنكم لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا يقولون قد جمع لكم وفعل وفعل يخذلونكم ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة الكفر وأما قوله وفيكم سماعون لهم فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معنى ذلك وفيكم سماعون لحديثكم لهم يؤدونه اليهم عيون لهم عليكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وفيكم سماعون لهم يحدثون باحاديثكم عيون غير منافقين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وفيكم سماعون لهم قال يحدثون عيون غير منافقين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وفيكم سماعون لهم يسمعون ما يؤدونه لعدوكم * وقال آخرون بل معنى ذلك وفيكم من يسمع كلامهم ويطيع لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وفيكم سماعون لهم وفيكم من يسمع كلامهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذين استأذنوا فيما بلغنى من ذوى الشرف منهم عبد الله بن أبى ابن سلول والجد بن قيس وكانوا أشرافا فى قومهم فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده وكان فى جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم اليه لشرفهم فيهم فقال وفيكم سماعون لهم فعلى هذا التأويل وفيكم أهل سمع وطاعة منكم لو حبوكم أفسدوهم عليكم بتثبيطهم اياهم عن السير معكم وأما على التأويل الاول فان معناه وفيكم منهم سماعون يسمعون حديثكم لهم فيبلغونهم ويؤدونه اليهم عيون لهم عليكم * قال أبو جعفر وأولى التأويلين عندى فى ذلك بالصواب تأويل من قال معناه وفيكم سماعون لحديثكم لهم يبلغونه عنكم عيون لهم لأن الأغلب من كلام العرب فى قولهم سماع وصف من وصف به أنه سماع للكلام كما قال الله جل ثناؤه فى غير موضع من كتابه سماعون للكذب واصفا بذلك قوما بسماع الكذب من الحديث وأما اذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه وقبوله منه وانتهائه اليه فانما تصفه بأنه له سامع مطيع ولا تكاد تقول هو له سماع مطيع وأما قوله والله عليم بالظالمين فان معناه والله ذو علم عن يوجه أفعاله الى غير وجوهها ويضعها فى غير مواضعها ومن يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعذر ومن يستأذنه

(١) لعله خيلهم وحررها كتبه مصححه

الدنيوية فهم فى حكم الكارهين وان أنفقوا مختارين بعدون الانفاق معرما ومنعه معنما خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أدواكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم قيل الكفر بالله سبب مستقل فى منع القبول فكيف ضم اليه الامرين الآخرين والجواب أنهما أمارات و يجوز تواردالامارات المتعددة على شئ واحد و بوجه آخر أطلق كفرهم أولا ثم قيده بعدم اعتقادهم وجوب الصلاة والزكاة و بعبارة أخرى حكم عليهم بالكفر مطلقا ثم خص من أنواع كفرهم هذين تنظيما لشأن تارك الصلاة والزكاة قال فى الكشاف وقرأت فى بعض الاخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن أن يقول كسلت كأنه ذهب الى هذه الآية وآن الكسل من صفات المنافقين قال بعض العلماء وجه الجمع بين قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و بين مضمون هذه الآية وهو أن شيأ من أعمال البر لا يكون مقبولا عند الله مع الكفر هو أن يصرف ذلك الى تأخيره فى تخفيف العقاب ولقائل أن يقول لو لم يكن مقبولا بوجه لم يكن له فى التخفيف أيضا أثر وقيل فى الآية دلالة على ان الصلاة لازمة للكفار والا لم يكن الاتيان بها على وجه الكسل مانعا من تقبل طاعاتهم كما ان قيامهم وقعودهم وسائر تصرفاتهم على وجه الكسل ليس مانعا من التقبل بالاتفاق ثم لما قطع رجاء المنافقين عن منافع الآخرة أراد آن يبين أن ما يظنونه من منافع الدنيا فهو أيضا فى الحقيقة سبب لتعذيبهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم فقال مخاطبا للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (فلا تعجبك) الآية ونظيره ولا تمدن عينيك وانما قال فلا تعجبك بالفاء لان ما قبله مستقبل يصلح للشرط أى ان يكن فيهم ما ذكرنا من الاتيان بالصلاة على وجه الكسل وغير ذلك فهذا جزاؤه وهذا بخلاف ما سيجىء فى الآية الاخرى من هذه السورة والاعجاب سرور المرء بالشئ مع نوع من الافتخار واعتقاد أنه ليس لغيره ما يساويه وأنه من البعيد فى حكم الله أن يزيل ذلك الشئ عنه و يحصله لغيره كقوله ما أظن أن تبيد هذه أبدا ولا يشك ان هذه خصلة مذمومة من جهة استغراق النفس فى ذلك الشئ وانقطاعها عن الله ومن جهة استعداد التحسر

شكا فى الاسلام ونفاقا ومن يسمع حديث المؤمنين ليخبر به المنافقين ومن يسمعه ليسر عاسر المؤمنين و يسىء عاساءهم لا يخفى عليه شئ من سرائر خلقه وعلانيتهم وقد بينا معنى الظلم فى غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع القول فى تأويل قوله ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ يقول تعالى ذكره لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك يا محمد التمسوا صدهم عن دينهم وحرصوا على ردهم الى الكفر بالتخذيل عنه كفعل عبد الله بن أبى بك و بأصحابك يوم أحد حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه وذلك كان ابتغاءهم ما كانوا ابتغوا الأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتنة من قبل و يعنى بقوله من قبل من قبل هذا وقلبوا لك الامور يقول وأجالوا لك وفى ابطال الدين الذى بعثك به الله الرأى بالتخذيل عنك وانكار ما تأتيهم به ورده عليك حتى جاء الحق يقول حتى جاء نصر الله وظهر أمر الله يقول وظهر دين الله الذى أمر به وافترضه على خلقه وهو الاسلام وهم كارهون يقول والمنافقون لظهور أمر الله ونصره اياك كارهون وكذلك الآن يظهر لك الله و يظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به وهم كارهون * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وقلبوا لك الامور أى ليخذلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وذكر أن هذه الآية نزلت فى نفر مسمين باعيانهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو عن الحسن قوله وقلبوا لك الامور قال منهم عبد الله بن أبى ابن سلول وعبد الله بن نبتل أخو بنى عمرو بن عوف ورفاعة بن رافع وزيد بن التابوت القينقاعى وكان تخذيل عبد الله بن أبى أصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزاة كالذى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى و يزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم كل قد حدث فى غزوة تبوك ما بلغه عنها وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعض وكل قد اجتمع حديثه فى هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك فى زمان عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحين طاب الثمار وأحبت الظلال والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم و يكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذى هم عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة الا كنى عنها وأخبر أنه يريد غيرها الذى يصمد له الا ما كان من غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذى يصمد له ليتأهب الناس لذلك أهبته فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم أنه يريد الروم فتجهز الناس على ما فى أنفسهم من الكره لذلك الوجه لما فيه مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جد فى سفره فأمر الناس بالجهاز والانكماش (١) وحض أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبى ابن سلول عسكره على ذى حدة أسفل منه نحو ذباب جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع وكان فيما يزعمون ليس

---

(١) الانكماش الاسراع فى الامر والجد فيه اه كتبه مصححه

الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه والمقصود من الآية زجر الناس عن الانصباب الى الدنيا والمنع من التهالك فى حبها فان المسكين الاصلى هو الآخرة لا الاولى وقوله (انما يريد الله ليعذبهم) اعرابه كما مر فى قوله يريد الله ليبين لكم قال مجاهد والسدى وقتادة فى الآية تقديم وتأخير والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة كأنهم نظروا الى أن المال والولد لا يكونان عذابا بل هما من نعم الله تعالى على عباده وأوردعليه أنهما لا يكونان عذابا فى الآخرة أيضا فان تكلفوا وقالوا أراد بذلك أنهما سبب العذاب فقد استغنوا عن التقديم والتأخير لانهما قد يكونان سببا للعذاب فى الدنيا أيضا ووجه آخر المال والولد وكذا الاعجاب بهما يكونان فى الدنيا لا محالة فأى فائدة فى ذكرها واعلم ان الاموال والاولاد قد يكونان سببا للتعذيب فى الدنيا والآخرة وذلك أن كل ما كان حبه للشئ أشد كان خوفه عن فواته أكثر وحزنه على فواته أعظم فصاحب المال أبدا اما فى خوف فوات المال واما فى حزن فواته واما فى تعب حفظه وتثميره ثم ان الدنيا حلوة خضرة فاذا كثر ماله انصب بكليته اليه ويفضى الى طغيانه وقساوة قلبه الى أن ينسى حب الله وذكر الآخرة ثم انه ان بقى عليه ذلك الى آخر عمره فعند الموت يعظم أسفه على مفارقته وكان كمن ينتقل من بستان ونعيم الى سجن وجحيم وعند الحشر يكون حلاله حسابا وحرامه عذابا فثبت أن حصول المال سبب لعذاب الدارين الا من يتصرف فيه بالحق ومثله يكون نادرا وكذا الكلام فى الولد وهذا المعنى وان كان عاما للكل الا أن المنافقين لهم وجوه اختصاص بالتعذيب وذلك ان الرجل اذا كان مؤمنا بالله واليوم الآخر علم أنه انما خلق للآخرة ويقول لا للدنيا فيقترحسه للامور الدنيوية بخلاف المنافق الذى اعتقد أن لا سعادة الا هذه الخيرات العاجلة وأيضا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يكلفهم انفاق الاموال وبعث الاولاد الى الغزو والجهاد وكانوا لا يعتقدون فى ذلك فائدة أخروية وكانوا فى أنفسهم يتكلفون كأنه امتغضين

بأقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب وكان عبد الله بن أبى أخا بنى عوف بن الخزرج وعبد الله بن نبتل أخا بنى عمرو ابن عوف ورفاعة بن يزيد بن التابوت أخا بنى قينقاع وكانوا من عظماء المنافقين وكانوا ممن يكيد للاسلام وأهله قال وفيهم كما ثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى أنزل الله لقد ابتغوا الفتنة من قبل الآية ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ وذكر أن هذه الآية نزلت فى الجد بن قيس ويعنى جل ثناؤه بقوله ومنهم ومن المنافقين من يقول ائذن لى أقم فلا أشخص معك ولا تفتنى يقول ولا تبتلنى برؤية نساء بنى الاصفر وبناتهم فانى بالنساء مغرم فاخرج وآثم بذلك وبذلك من التأويل تظاهرت الاخبار عن أهل التأويل ذكر الرواية بذلك عمن قاله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ائذن لى ولا تفتنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغزوا تسبوا نغنموا بنات الاصفر ونساء الروم فقال الجد ائذن لنا ولا تفتنا بالنساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغزوا تغنموا بنات الاصفر يعنى نساء الروم ثم ذكر مثله * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ائذن لى ولا تفتنى قال هو الجد بن قيس قال قد علمت الانصار أنى اذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ولكن أعينك بمالى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن الزهرى ويزيد بن رومان وعبد الله ابن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه للجد بن قيس أخى بنى سلمة هل لك يا جد العام فى جلاد بنى الاصفر فقال يا رسول الله أوتأذن لى ولا تفتنى فوالله لقد عرف قومى ما رجل أشد عجبا بالنساء منى وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر أن لا أصبر عنهن فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك ففى الجد بن قيس نزلت هذه الآية ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الآية أى ان كان انما يخشى الفتنة من نساء بنى الاصفر وليس ذلك به فاسقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى قال هو رجل من المنافقين يقال له جد بن قيس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم العام نغزو بنى الاصفر وتتخذ منهم سرارى ووصفانا فقال أى رسول الله ائذن لى ولا تفتنى ان لم تأذن لى افتتنت ووقعت فغضب فقال الله ألا فى الفتنة سقطوا ان جهنم لمحيطة بالكافرين وكان من بنى سلمة فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بنى سلمة فقالوا الجد بن قيس غير أنه بخيل جبان فقال النبى صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوى من البخل ولكن سيدكم الفتى الابيض الجعد الشعر البراء بن معرور حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى يقول ائذن لى ولا تحرجنى ألا فى الفتنة سقطوا يعنى فى الحرج سقطوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ولا تؤثمنى ألا فى الاثم سقطوا وقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين

للنبي صلى الله عليه وسلم مع انهم كانوا مضطرين الى بذل المال وبعث الاولاد الى خدمته وكانوا خائفين من افتضاحهم واظهار نفاقهم وتعريض أولادهم وأموالهم للنهب والسبي وكثير منهم كان لهم أولاد أتقياء مخلصون كحنظلة بن أبي عامر غسلته الملائكة وكعبد الله بن عبد الله بن أبي شهد بدرا وكان عند الله بمكان وهم خلق كثير كانوا يزيفون طريق آبائهم في النفاق ويقدحون فيهم والابن اذا صار هكذا تأذى الاب بسببه ولاجل هذه المعاني ذكر بعض العلماء أن التقدير يريد الله أن يزيد في أموالهم ليعذبهم أما قوله (وتزهق أنفسهم) أي تخرج وهم (كافرون) فقد قالت الاشاعرة فيه دليل على انه تعالى أراد منهم الكفر وأورد الجبائي عليه أن المريض اذا قال للطبيب أريد أن تدخل علي في حالة مرضي لم يلزم منه كونه مريدا لمرض نفسه والجواب ان أمثال هذه موكولة الى قرائن الحال ففي قول المريض لا ريب ان المطلوب هو دخول الطبيب وكون الدخول واقعا في تلك الحالة من ضرورات كونه مريضا وهو طبيبه وفي الآية ليس المراد زهوق الروح فقط لان المسلم والمنافق في ذلك سيان فالمراد وقوع الزهوق في حالة الكفر فيكون الكفر منهم مرادا بالضرورة وقال في الكشاف المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد أن يديم عليهم نعمه الى أن يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة ومن قبائح أفعال المنافقين ما حكى الله سبحانه عنهم في قوله (ويحلفون بالله انهم لمنكم) أي على دينكم ثم قال (وما هم منكم) أي ليسوا على دينكم (ولكنهم قوم يفرقون) يخافون القتل فيظهرون الايمان تقية ثم أكد نفاقهم بقوله (لو يجدون ملجأ) مفرا فيتحصنون فيه آمنين على أنفسهم منكم لفروا اليه وافارقوكم فلا تظنوا

يقول وان النار لطيفة بمن كفر بالله وجحد آياته وكذب رسله محدقة بهم جامعة لهم جميعا يوم القيامة يقول فكذلك الجد بن قيس وأشكاله من المنافقين يصلها خزيا ﴿القول في تأويل قوله ﴿ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان يصبك سرور بفتح الله عليك أرض الروم في غزاتك هذه يسؤ الجد بن قيس ونظراءه وأشياعهم من المنافقين وان تصبك مصيبة بفلول جيشك فيها يقول الجد ونظراؤه قد أخذنا أمرنا من قبل أي قد أخذنا حذرنا بتخلفنا عن محمد وتركنا اتباعه الى عدوه من قبل يقول من قبل أن تصيبه هذه المصيبة ويتولوا وهم فرحون يقول ويرتدوا عن محمد وهم فرحون بما أصاب محمدا وأصحابه من المصيبة بفلول أصحابه وانهزامهم عنه وقتل من قتل منهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان تصبك حسنة تسؤهم يقول ان تصبك في سفرك هذا الغزوة تبوك حسنة تسؤهم قال الجد وأصحابه **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قد أخذنا أمرنا من قبل **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ووقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قد أخذنا أمرنا من قبل قال **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تصبك حسنة تسؤهم ان كان فتح للمسلمين كبر ذلك عليهم وساءهم ﴿القول في تأويل قوله ﴿قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره مؤدبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك لن يصيبنا أيها المرتابون في دينهم الا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ وقضاه علينا هو مولانا يقول هو ناصرنا على أعدائه وعلى الله فليتوكل المؤمنون يقول وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانهم ان يتوكلوا عليه ولم يرجوا النصر من عند غيره ولم يخافوا شيأ غيره يكفهم أمورهم وينصرهم على من بغاهم وكادهم ﴿القول في تأويل قوله ﴿قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم وبينت لك أمرهم هل تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين اللتين هما أحسن من غيرهما اما ظفرا بالعدو وفتحا لنا بغلبتنا اهم ففيها الاجر والغنيمة والسلامة واما قتلا من عدونا لنا ففيه الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار وكلتاهما مما نحب ولا نكره ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده يقول ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة تهلككم أو بأيدينا فنقتلكم فتربصوا انا معكم متربصون يقول فانتظروا انا معكم منتظرون ما الله فاعل بنا وما اليه صائر أمر كل فريق منا ومنكم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يقول فتح أو شهادة وقال مرة أخرى يقول القتل فهي الشهادة والحياة والرزق واما يخزيكم بأيدينا **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يقول قتل فيه

(١٤٠ - ابن جرير عاشر) ان موافقتهم اياكم في الدار والمسكن من صميم القلب والمغارات جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور الانسان فيه أي يستتر والمدخل بالتشديد مفتعل من الدخول أدغمت التاء في الدال لقرب مخرجيهما والتدخل تفعل من الادخال ومعناه المسلك الذي يتحفظ بالدخول فيه قال الكلبي وابن زيد نفق كنفق اليربوع والمراد انهم لو وجدوا ملكانا على أحد هذه الوجوه مع انهاشر

الامكنة (لولوا اليه) يقال ولى اليه بنفسه اذا انصرف وولى غيره اذا صرفه (وهم يجمحون) أى يسرعون اسراعا لايرد وجوههم سى رسه الفرس الجموح لايرده اللجام والحاصل انهم من شدة تأذيهم وتنفرهم من الرسول والمسلمين صاروا بهذه الحالة قال بعض العلماء انه تعالى ذكر ثلاثة أشياء والاقرب حملها

على المعانى المتغايرة فالملجأ الحصون والمغارات الكهوف فى الجبال والمدخل السرب تحت الارض كالآبار والله تعالى أعلم ومن جملة قبائحهم قوله (ومنهم من يلزك) الآية قال الزجاج لمزت الرجل ألمزه وألمزه بكسر الميم وضمها اذا عبته وفرق الليث فقال اللمز العيب فى الحضور والهمز العيب فى الغيبة واعلم أن العيب فى الصدقات يحتمل وجوها الاول فى أخذها بان يقال انتزاع كسب الانسان من يده غير معقول لان الله هو المتكفل بمصالح عبيده ان شاء أفقرهم وان شاء أغناهم الثانى ان يقال هب أنك تأخذ الزكوات الا أن ما تأخذه كثير فوجب أن تقنع بما قل من ذلك الثالث هب أنك تأخذ هذا الكثير الا انك تصرفه الى غير مصرفه فيكون العيب قد وقع فى قسمة الصدقات وفى تفريقها وهذا هو الذى دلت الاخبار على أنهم أرادوه عن أبى سعيد الخدرى بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين قال له ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج اعدل يارسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم أعدل فنزلت وعن الكلبى هو أبو الجواظ قال ألا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم وهو يزعم أنه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أبا لك أما كان موسى راعيا أما كان داود راعيا فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا وأصحابه فانهم منافقون وقيل هم المؤلفة قلوبهم ثم بين أن عيبهم ذلك وسخطهم لاجل نصيب نفسهم لا للدين فقال (فان اعطوا منها رضوا) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يوم حنين بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون ومعنى (اذا هم يسخطون) فهم يسخطون وفائدته ان يعلم أن الشرط مفاجئ للجزاء ومتهجم عليه ثم أرشدهم الى ما هو صلاحهم فى نفس الامر فقال (ولو أنهم رضوا) الآية ورتبه على أربع

الحياة والرزق واما أن يغلب فيؤتيه الله أجرا عظيما وهو مثل قوله ومن يقاتل فى سبيل الله الى فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا احدى الحسنيين قال القتل فى سبيل الله والظهور على أعدائه * قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد قال القتل فى سبيل الله والظهور حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد احدى الحسنيين القتل فى سبيل الله والظهور على اعداء الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * قال ابن جريج قال ابن عباس بعذاب من عنده بالموت أو بأيدينا قال القتل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الافتحا أو قتلا فى سبيل الله ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا أى قتل ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين أنفقوا كيف شئتم أموالكم فى سفركم هذا وغيره وعلى أى حال شئتم من حال الطوع والكره فانكم ان تنفقوها لن يتقبل الله منكم نفقاتكم وأنتم فى شك من دينكم وجهل منكم بنبوة نبيكم وسوء معرفة منكم بثواب الله وعقابه انكم كنتم قوما فاسقين يقول خارجين عن الايمان بربكم وخرج قوله أنفقوا طوعا أو كرها مخرج الامر ومعناه الخبر والعرب تفعل ذلك فى الاماكن التى يحسن فيها ان التى تأتى بمعنى الجزاء كما قال جل ثناؤه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم فهو فى لفظ الامر ومعناه الخبر ومنه قول الشاعر

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

فكذلك قوله أنفقوا طوعا أو كرها انما معناه ان تنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم وقيل ان هذه الآية نزلت فى الجد بن قيس حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم الخروج معه لغزو الروم هذا مالى أعينك به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قال الجد بن قيس انى اذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ولكن أعينك بمالى قال ففيه نزلت أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم قال لقوله أعينك بمالى ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ﴾ يقول تعالى ذكره وما منع هؤلاء المنافقين يا محمد أن تقبل منهم نفقاتهم التى ينفقونها فى سفرهم معك وفى غير ذلك من السبل الا أنهم كفروا بالله وبرسوله فأن الاولى فى موضع نصب والثانية فى موضع رفع لان معنى الكلام ما منع قبول نفقاتهم الا كفرهم بالله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى يقول لا يأتونها الا متثاقلين يراءون بها الناس لا يرجون بادائها ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا وانما يقيمونها مخافة على أنفسهم بتركها من المؤمنين فاذا أمنوهم لم يقيموها ولا ينفقون يقول ولا ينفقون من أموالهم شيأ الا وهم كارهون أن ينفقوه فى الوجه الذى ينفقونه فيه مما فيه تقوية للاسلام وأهله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ﴾

مراتب الاولى الرضا بما آتاهم الله ورسوله لعلمهم بانه تعالى حكيم يعلم عواقب الامور فكل ما كان حكمه وقضاءه منه كان حقا وصوابا ولا اعتراض عليه الثانية ان يظهر أثر ذلك الرضا على لسانهم وهو قولهم حسبنا الله كفانا فضله وصنعه لغيرنا المال ولنا الرضا والتسليم وذكر الحبيب الثالثة ان نزل من هذه المرتبة العالية كان وانقيادا بان الله لا يهمله وسيعوضه من فضله في غنيمة أخرى الرابعة الرغبة الى

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فلا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقال معنى ذلك التقديم وهو مؤخر كرمن قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم قال هذه من تقاديم الكلام يقول لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة * وقال آخرون بل معنى ذلك انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بما ألزمهم فيها من فرائضه ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن سلمان الاقطع عن الحسن انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا قال بأخذ الزكاة والنفقة في سبيل الله تعالى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بالمصائب فيها هي لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر * قال أبو جعفر وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا التأويل الذي ذكرنا عن الحسن لان ذلك هو الظاهر من التنزيل فصرف تأويله الى ما دل عليه ظاهره أولى من صرفه الى باطن لا دلالة على صحته وانما وجه من وجه ذلك الى التقديم وهو مؤخر لانه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا وجها يوجهه اليه وقال كيف يعذبهم بذلك في الدنيا وهي لهم فيها سرور وذهب عنه توجيهه الى أنه من عظيم العذاب عليه الزامه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه اذ كان يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيب النفس ولا راج من الله جزاء ولا من الآخذ منه حمدا ولا شكرا على ضجر منه وكره وأما قوله وتزهق أنفسهم وهم كافرون فانه يعني وتخرج أنفسهم فيموتوا على كفرهم بالله وبجحود هم نبوة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم يقال منه زهقت نفس فلان وزهقت فمن قال زهقت قال تزهق ومن قال زهقت قال تزهق زهوقا ومنه قيل زهق فلان بين أيدي القوم يزهق زهوقا اذا سبقتهم فتقدمهم ويقال زهق الباطل اذا ذهب ودرس

القول في تأويل قوله ﴿ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾ يقول تعالى ذكره ويحلف بالله لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون كذبا وباطلا خوفا منكم انهم لمنكم في الدين والملة يقول الله تعالى مكذبهم وما هم منكم أي ليسوا من أهل دينكم وملتكم بل هم أهل شك ونفاق ولكنهم قوم يفرقون يقول ولكنهم قوم يخافونكم فهم خوفا منكم يقولون بالسنتهم انا منكم ليأمنوا فيكم فلا يقتلوا

القول في تأويل قوله ﴿لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون﴾ يقول تعالى ذكره لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأ يقول عصرا يعتصرون به من حصن ومعقلا يعتقلون فيه منكم أو مغارات وهي الغيران في الجبال واحدتها مغارة وهي مفعلة من غار الرجل في الشيء يغور فيه اذا دخل ومنه قيل غارت العين اذا دخلت في الحدقة أو مدخلا يقول سربا في الارض يدخلون فيه وقال أو مدخلا الآية لانه من اذا دخل يدخل وقوله لولوا اليه يقول لأدبروا اليه هربا منكم وهم يجمحون يقول وهم يسرعون في مشيهم وقيل ان الجماح مشي بين المشيين ومنه قول مهلهل

لقد جمحت جماحا في دمائهم * حتى رأيت ذوي أحسابهم خمدوا

الله بانه المقصد الحقيقي والمقصود الاصلي من الايمان والطاعة والمال والمنال يروى أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر بقوم يذكرون الله فقال ما الذي يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال أصبتم ومر على قوم آخرين يذكرون الله فقال ما الذي حملكم عليه فقالوا الرغبة في الثواب فقال أصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسألهم فقالوا لانذكره للخوف من العقاب ولا لرغبة في الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بذكره فقال أنتم المحققون ﴿التأويل ان تصبك يا روح حسنة من عواطف الحق تحزن النفس وصفاتها فيها تظفر الروح عليها وان تصبك مصيبة من الموانع والقواطع أخذنا نصيبنا من المراتع الحيوانية لما حالفناه في السير الى العالم الروحاني قل يا روح لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا علينا فان الفترات والوقفات للتربية لا للرد وانظر وقل هل تربصون بنا أيتها النفس وصفاتها الا احدى الحسنيين الاحسان والعواطف الربانية والوقفة والفترة الموجبة لحسن التربية بعذاب من عنده هو الابتلاء بالمصائب من الخوف والجوع وغيرهما أو بأيدينا بالمنع من المخالفات وبكثرة الرياضات والمجاهدات طوعا أو رياء وكرها أي نفاقا لن يتقبل منكم لان أعمال اللسان وغيره من الجوارح من غير عمل القلب ليست بمقبولة وان كان عمل القلب بدون الجوارح مقبولا لقوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن أبلغ من عمله وباقي الآيات اشارات الى أن من امارات النفاق عدم الرضا بقسمة الخلاق وحال المخاص بالعكس ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو

أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ۞ القراآت أذن خير كلاهما بالرفع والتنوين الاعشى والمفضل الباقون بالاضافة ورحمة بالجر حمزة الآخرون بالرفع ألم تعلموا بتاء الخطاب جبلة عن المفضل الباقون بياء الغيبة ان نعف نعذب كلاهما بالنون ونصب طائفة عاصم غير المفضل الباقون على البناء للمفعول بياء الغيبة في الاول وبتاء التأنيث في الثاني ۞ الوقوف وابن السبيل ط أي فرض الله فريضة من الله ط حكيم ه هو أذن ط آمنوا منكم ط أليم ه ليرضوكم ط لاحتمال الواو الحال أو الاستئناف مؤمنين ه خالدا فيها ط العظيم ه بما في قلوبهم ط استهزؤا ط لاحتمال الهمزة في ان للتعليل يحذرون ه ونلعب ط تستهزؤن ه بعد ايمانكم ط مجرمين ه ومنهم من بعض ط منكرا لصيرورة الجملة صفة لبعض المنافقين وهي صفة لكلهم أيديهم ط فنسيهم ط الفاسقون ه فيها ط حسبهم ط لاختلاف النظم مع اتحاد المقصود في اتمام الجزاء ولعنهم الله ج لذلك مقيم ه لا بناء على تعلق الكاف أولادا ط خاضوا ط والآخرة

---

(١٠٨) بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض

وانما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة لانهم انما أقاموا بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم ولما هم عليه من الايمان بالله وبرسوله لأنهم كانوا في قومهم وعشيرتهم وفي دورهم وأموالهم فلم يقدروا على ترك ذلك وفراقه فصانعوا القوم بالنفاق ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الايمان وفي أنفسهم ما فيها من البغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الايمان به والعداوة لهم فقال الله واصفهم بما في ضمائرهم لو يجدون ملجأ أو مغارات الآية ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ الملجأ الحرز في الجبال والمغارات الغيران في الجبال وقوله أو مدخلا والمدخل السرب حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ملجأ يقول حرزا أو مغارات يعني الغيران أو مدخلا يقول ذهابا في الارض وهو النفق في الارض وهو السرب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا قال حرزا لهم يفرون اليه منكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا قال محرزا لهم لفروا اليه منكم وقال ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ حرزا أو مغارات قال الغيران أو مدخلا قال نفقا في الارض حدثنا بشر قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا يقول لو يجدون ملجأ حصونا أو مغارات غيرانا أو مدخلا أسرابا لولوا اليه وهم يجمحون ۞ القول في تأويل قوله ﴿ومنهم من يلزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون﴾ يقول تعالى ذكره ومن المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم في هذه الآيات من يلزك في الصدقات يقول يعيبك في أمرها ويطعن عليك فيها يقال منه لمز فلان فلانا يلمزه ويلمزه اذا عابه وقرصه وكذلك همزه ومنه قيل فلان همزة لمزة ومنه قول رؤبة

قاربت بين عنقي وجمزي * في ظل عصري باطلي ولمزي

ومنه قول الآخر

اذا لقيتك تبدي لي مكاشرة * وان أغيب فأنت العائب اللمز

فان أعطوا منها رضوا يقول ليس بهم في عيبهم اياك فيها وطعنهم عليك بسببها الدين ولكن الغضب لانفسهم فان أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك وان أنت لم تعطهم منها سخطوا عليك وعابوك ونحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ومنهم من يلزك في الصدقات قال يروزك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ومنهم من يلزك في الصدقات يروزك ويسألك * قال ابن جريج وأخبرني داود بن أبي عاصم قال قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة فقسمها ههنا وههنا حتى ذهبت قال ورآه رجل من الانصار فقال ما هذا بالعدل فنزلت هذه الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم من يلزك في الصدقات يقول

ج الخاسرون ٥ ﴿ التفسير ﴾ ان المنافقين لما لمزوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى قسمة الصدقات بين لهم الله سبحانه مصرفها كيلا يبقى لهم طعن اذا وجدوا فعله موافقا لحكم الله فقال انما الصدقات الآية وفى تصدير الكلام بانما دلالة على أنه لاحق لاحد فى الصدقات الا لهؤلاء ومر يؤيده ماروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ان كنت من الاصناف الثمانية فلك فيها حق والا فهو صداع فى الرأس وداء فى البطن ولنتكلم فى تعريف هؤلاء الاصناف فالاول والثانى الفقراء والمساكين ولاشك ان كلا من الصنفين محتاجون لا يفى دخلهم بخرجهم انما الكلام فى انهما متساويا الدلالة أو أحدهما أسوأ حالا فعن أبى يوسف ومحمد والحبائى أنهما واحد حتى لو أوصى لزيد وللفقراء والمساكين بمال كان لزيد النصف لا الثلث قال الحبائى انه تعالى ذكرهما باسمين ليؤكد أمرهم فى الصدقات والفائدة فيه أن يصرف اليهم من الصدقات سهمان لا كسائرهم وعند الشافعى الفقير أسوأ حالا لانه تعالى أثبت الصدقات لهؤلاء الاصناف دفعا لحاجاتهم فالذى وقع الابتداء بذكره يكون أشد حاجة لان الظاهر تقديم الاهم على المهم ومما يدل على اشعار الفقر بالشدة العظيمة قوله تعالى تظن أن يفعل بها فاقرة جعل الفاقرة كناية عن أعظم أنواع الشر والدواهى وروى انه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقد سأل المسكنة فى قوله اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين فكانه سأل توسط الحال ولهذا لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك أشياء معلومة مع انه تعالى أجاب دعاءه ظاهرا فاماته مسكينا وتقييده تعالى المسكين بقوله ذا متربة يدل على أن المسكين قد لا يكون كذلك وقال تعالى أما السفينة فكانت لمساكين وكان ابن عباس يفسر الفقير بأنه الذى لا يجد شيأ كأهل الصفة والمسكين بانه الطواف الذى يسأل الناس والغالب انه يحصل له منهم شئ وقريب منه قول من قال سمى مسكينا لانه الدائم السكون الى الناس ولما كان المسكين هو السائل لما قلنا فالمحروم فى قوله سبحانه وفى أموالهم حق للسائل والمحروم هو الفقير صاحب الحرمان واتفق الناس على أن الفقر

ومنهم من يطعن عليك فى الصدقات وذكر لنا أن رجلا من أهل البادية حديث عهد بأعرابية أتى نبى الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله ان كان الله أمرك أن تعدل ما عدلت فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدى ثم قال نبى الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا وأشباهه فان فى أمتى أشباه هذا يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم فاذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذى نفسى بيده ما أعطيكم شيأ ولا أمنعكموه انما أنا خازن **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومنهم من يلمزك فى الصدقات قال يطعن * قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى سعيد قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما اذ جاءه ابن ذى الخويصرة التميمى فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل ان لم أعدل فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله ائذن لى فأضرب عنقه قال دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر فى قذذه فلا ينظر شيأ ثم ينظر فى نصله فلا يجد شيأ ثم ينظر فى رصافه فلا يجد شيأ قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود احدى يديه أو قال يديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس قال فنزلت ومنهم من يلمزك فى الصدقات قال أبو سعيد أشهد أنى سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن عليا رحمه الله عليه حين قتلهم جئ بالرجل على النعت الذى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قال هؤلاء المنافقون قالوا والله ما يعطيها محمدا لا من أحب ولا يؤثرها الا لهواه فأخبر الله نبيه وأخبرهم انه انما جاءت من الله وان هذا أمر من الله ليس من محمد انما الصدقات للفقراء الآية ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ ﴿ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون ﴾ يقول تعالى ذكره ولو أن هؤلاء الذين يلمزونك يا محمد فى الصدقات رضوا ما أعطاهم الله ورسوله من عطاء وقسم لهم من قسم وقالوا حسبنا الله يقول وقالوا كافينا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله يقول سيعطينا الله من فضل خزائنه ورسوله من الصدقة وغيرها انا الى الله راغبون يقول وقالوا انا الى الله نرغب فى أن يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وغيرها من صلات الناس والحاجة اليهم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴾ ﴿ انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ يقول تعالى ذكره لا تنال الصدقات الا للفقراء والمساكين ومن سماهم الله جل ثناؤه ثم اختلف أهل التأويل فى صفة الفقير والمسكين فقال بعضهم الفقير المحتاج المتعفف عن المسألة والمسكين المحتاج السائل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقير الجالس فى بيته والمسكين الذى يسعى **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال المساكين الطوافون والفقراء فقراء المسلمين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا

ضد الغنى ولم يقل أحد ان الغنى والمسكنة ضدان فلعل الترفع هو ضد التمسكن وقال أبو حنيفة المسكين أسوأ حالا لقوله تعالى أو مسكينا ذا متربة وقد تقدم الكلام عليه ولانه تعالى جعل الكفارات من الاطعمة له ولا فاقة أعظم من الجوع ونقل الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أن الفقير الذي له ما يأكل والمسكين هو الذي لا شيء له وقال يونس قلت لاعرابي أفقير أنت قال لا والله بل مسكين

وقيل سمي مسكينا لانه يسكن حيث يحضر لاجل انه لا بيت له ولا منزل وأجيب بأنه تعالى جعل الكفارة للمسكين ذي المتربة وهو الفقير بعينه وانما النزاع في المسكين المطلق والروايات معارضة بمثالها والله أعلم الصنف الثالث العاملون على الصدقات وهم السعاة الجباة للصدقة قال ابن عمر وابن الزبير والشافعي يعطى هؤلاء أجور أمثالهم لانها أجرة للعمل وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات لانهم صنف من الثمانية والصحيح أن الهاشمي والمطلبي لا يجوز أن يكون عاملا على الصدقات لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى ان يبعث أبا رافع عاملا على الصدقات وقال أما علمت أن مولى القوم منهم وفائدة التعدية بعلى التسليط والولاية يقال فلان على بلد كذا اذا كان واليا عليها واختلفوا في أن الامام هل له حق لانه هو العامل في الحقيقة أو لا حق له لخروجه عن الاصناف والجمهور على أن العامل يأخذ نصيبه وان كان غنيا لان ذلك أجرة عمله وعن الحسن أنه لا يأخذ لامع الحاجة الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم عن ابن عباس هم قوم أشراف من الاحياء أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا منهم أبو سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن أعطى كل رجل منهم مائة من الابل قال العلماء لعل مراد ابن عباس انه لا يمتنع في الجملة صرف الاموال الى المؤلفة وان لم يكن ما أعطاهم من الصدقات وروى ان أبا بكر والصديق أعطى عدي بن حاتم لما جاءه بصدقات وصدقات قومه أيام الردة والذي استقر عليه رأي الأئمة ان المؤلفة ثلاثة أقسام ضعيف النية في الاسلام رئيس يرجى باعطائه يتوقع اسلام نظرائه والمتألف على جهاد من يليهم من الكفار ومانعي الزكاة حيث

أبو أسامة عن جرير بن حازم قال سمعت رجلا عن جابر بن زيد أنه سئل عن الفقراء قال الفقراء المتعففون والمساكين الذين يسألون حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل ابن عبيد الله الجزري قال سألت الزهري عن قوله انما الصدقات للفقراء قال الذين في بيوتهم لا يسألون والمساكين الذين يخرجون فيسألون حدثنا الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا يحيى ابن سعيد عن عبد الوارث بن سعيد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الفقير الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل * قال حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقراء الذين لا يسألون الناس وهم أهل حاجة والمساكين الذين يسألون الناس حدثنا الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الفقراء الذين لا يسألون والمساكين الذين يسألون * وقال آخرون الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة والمسكين هو الصحيح الجسم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقير من به زمانة والمسكين الصحيح المحتاج حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين أما الفقير فالزمن الذي به زمانة وأما المسكين فهو الذي ليست به زمانة * وقال آخرون الفقراء فقراء المهاجرين والمساكين من لم يهاجر من المسلمين وهو محتاج ذكر من قال ذلك حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جرير بن حازم عن علي بن الحكم عن الضحاك بن مزاحم انما الصدقات للفقراء قال فقراء المهاجرين والمساكين الذين لم يهاجروا * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء المهاجرين قال سفيان يعني ولا يعطى الأعراب منها شيأ حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبي عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قال كان يقال انما الصدقة لفقراء المهاجرين * قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم قال كانت تجعل الصدقة في فقراء المهاجرين وفي سبيل الله تعالى حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال كان ناس من المهاجرين لاحد هم الدار والزوجة والعبد والناقة يحج عليها ويغزو فسهم الله الى انهم فقراء وجعل لهم سهما في الزكاة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال كان يقال انما الصدقات في فقراء المهاجرين وفي سبيل الله * وقال آخرون المسكين الضعيف البئيس ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون عن محمد قال قال عمر ليس الفقير بالذي لا مال له ولكن الفقير الأخلق الكسب * قال يعقوب قال ابن علية الأخلق المحارف عندنا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب رحمة الله تعالى عليه قال ليس المسكين بالذي لا مال له ولكن المسكين الأخلق الكسب * وقال بعضهم الفقير من المسلمين والمسكين من أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عمر بن نافع قال سمعت عكرمة في قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال لا تقولوا لفقراء المسلمين مساكين انما المساكين مساكين أهل الكتاب * قال أبو جعفر وأولى هذه

يكون ذلك أهون للامام من بعث جيش يعطى كل واحد منهم ما رأى الامام باجتهاده هذا كله اذا كانوا مسلمين فأما الكفار الذين يميلون الى الاسلام فيرغبون فيه باعطاء مال والذين يخاف شرهم فيتألفون لدفع الشر بمال فلا يعطون شيأ من الزكاة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس والآن لا يعطون أصلا لقوة الاسلام والاستغناء عن تألفهم ولانه ليس فى الآية دلالة على ان المؤلفة يجوز أن يكونوا من الكفار فلا ينبغى ان يقال ان حكم الآية منسوخ الصنف الخامس قوله وفى الرقاب قال الزجاج تقديره وفى فك الرقاب والائمة فى تفسيره أقوال فعن ابن عباس أنهم المكاتبون وهو مذهب الشافعى قال اذا عجزوا عن اداء النجوم بأن لا يكون لهم شئ أو لا يبقى ما فى أيديهم بنجومهم صرف اليهم أو الى سيدهم باذنهم ما يعينهم على العتق وقال مالك وأحمد واسحق المراد انه يشترى به عبيد فيعتقون وعن أبى حنيفة وأصحابه وهو قول سعيد بن جبير والنخعى انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها فى رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفى الرقاب يقتضى ان يكون له فيه مدخل وذلك ينافى كونه تاما فيه وقال الزهرى سهم الرقاب نصفه للكاتبين المسلمين ونصفه يشترى به رقاب ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون قال المفسرون انما عدل عن اللام الى فى لأن الاصناف الاربعة الاول يصرف المال اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤا وفى الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات المعتبرة فى الصفات التى لاجلها استحقوا سهم الزكاة ففى الرقاب يوضع نصيبهم فى تخليص رقابهم عن الرق أو الاسر ولا يدفع اليهم وفى الغارمين يصرف المال الى قضاء ديونهم وفى الغزاة

الاقوال عندى بالصواب قول من قال الفقير هو ذو الفقر والحاجة ومع حاجته يتعفف عن مسئلة الناس والتذلل لهم فى هذا الموضع والمسكين هو المحتاج المتذلل للناس بمسئلتهم وانما قلنا ان ذلك كذلك وان كان الفريقان لم يعطيا الا بالفقر والحاجة دون الذلة والمسكنة لاجماع الجميع من أهل العلم أن المسكين انما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر وأن معنى المسكنة عند العرب الذلة كما قال الله جل ثناؤه وضربت عليهم الذلة والمسكنة يعنى بذلك الهوان والذلة لا الفقر فاذا كان الله جل ثناؤه قد صنف من قسم له من الصدقة المفروضة قسما بالفقر فجعلهم صنفين كان معلوما أن كل صنف منهم غير الآخر واذ كان ذلك كذلك كان لاشك أن المقسوم له باسم الفقير غير المقسوم له باسم الفقر والمسكنة والفقير المعطى ذلك باسم الفقير المطلق هو الذى لا مسكنة فيه والمعطى باسم المسكنة والفقر هو الجامع الى فقره المسكنة وهى الذل بالطلب والمسئلة فتأويل الكلام اذ كان ذلك معناه انما الصدقات للفقراء المتعفف منهم الذى لا يسأل والمتذلل منهم الذى يسأل وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قلنا فى ذلك خبر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا اسمعيل بن جعفر عن شريك بن أبى نمر عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين بالذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان انما المسكين المتعفف اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم انما المسكين المتعفف على نحو ما قد جرى به استعمال الناس من تسميتهم أهل الفقر مساكين لا على تفضيل المسكين من الفقير ومما ينبئ عن أن ذلك كذلك انتزاعه صلى الله عليه وسلم لقول الله اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا وذلك فى صفة من ابتدأ الله ذكره ووصفه بالفقر فقال للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وقوله والعاملين عليها وهم السعاة فى قبضها من أهلها ووضعها فى مستحقيها يعطون ذلك بالسعاية أغنياء كانوا أو فقراء وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهرى عن العاملين عليها فقال السعاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والعاملين عليها قال جباتها الذين يجمعونها ويسعون فيها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والعاملين عليها الذى يعمل عليها ثم اختلف أهل التأويل فى قدر ما يعطى العامل من ذلك فقال بعضهم يعطى منه الثمن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن بن صالح عن جويبر عن الضحاك قال للعاملين عليها الثمن من الصدقة حدثت عن مسلم بن خالد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله والعاملين عليها قال يأكل العمال من السهم الثامن * وقال آخرون بل يعطى على قدر عمالته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن الاخضر بن عجلان قال ثنا عطاء بن زهير العامرى عن أبيه أنه لقى عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله عن الصدقة أى مال هى فقال مال العرجان والعوران والعميان وكل منقطع به فقال له ان للعاملين حقا والمجاهدين قال ان المجاهدين قوم أحل لهم وللعاملين عليها على قدر عملهم ثم قال لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة

يصرف المال الى عدد يحتاج اليه فى الغزو وفى ابن السبيل كذلك يصرف الى ما يبلغه المقصد وقال فى الكشاف انما عدل للايذان بأنهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق لان فى اللوعاء فنبه به على أنهم أحقاء بأن يجعلوا مصبا للصدقات وتكرير فى فى قوله وفى سبيل الله وأن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين * الصنف السادس الغارمون قال الزجاج أصل الغرم لزوم ما يستحق

وسمى العشق غراما لكونه أمرا شاقا لازما وفلان مغرم بالنساء وسمى الدين غرما لانه شاق لازم فالغارمون المديونون والدين ان حصل بسبب معصية لم يدخل فى الآية لان المعصية لا تستوجب الاعانة وان حصل لا بالمعصية فهو مقصود الآية سواء حصل بسبب نفقات ضرورية أو لاصلاح ذات البين وان كان متمولا أو للضمان

ان أعسر هو والاصيل وكل داخل فى الآية روى الاصم فى تفسيره أنه صلى الله عليه وسلم لما قضى بالغرة فى جنين قالت العاقلة لا تملك الغرة يارسول الله فقال لحمد ابن مالك أعنهم بغرة من صدقاتهم وكان حمد على الصدقة يومئذ وانما يعطى الغارم قدر دينه ان لم يقدر على شئ وان قدر على بعض أعطى الباقى * الصنف السابع قوله فى سبيل الله يعنى الغزاة قال الشافعى يجوز له ان يأخذ من مال الصدقات وان كان غنيا وهو مذهب مالك وأحمد واسحق وأبى عبيد وقال أبو حنيفة لا يعطى الغازى الا اذا كان محتاجا وظاهر لفظ الآية لا يوجب القصر على الغزاة فلهذا نقل القفال عن بعض الفقهاء أنهم أجازوا صرف الصدقة الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان كلها فى سبيل الله * الصنف الثامن ابن السبيل وهو المسافر لأجل معصية يعطى ما يبلغه المقصد أو موضع ماله ان كان له فى الطريق مال قال الشافعى ويدخل فى المسافر الشاخص من وطنه أو من بلد كان مقيما به منشئا للسفر والغريب المجتاز ببلدنا والله أعلم ولنذكر طرفا من أحكام هذه الاصناف * الحكم الاول اتفقوا على دخول الزكاة الواجبة فى قوله انما الصدقات لقوله فى موضع آخر خذ من أموالهم صدقة ولقوله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة واختلفوا فى الصدقة المندوبة فهم من قال تدخل والفائدة أن تعلم أن مصارف جميع الصدقات ليست الا هؤلاء الاصناف قال والاقرب اختصاص الآية بالواجبة لدخول لام التمليك فى الاصناف والصدقة المملوكة لهم ليست الا الزكاة ولان الآية تدل على الحصر فى الاصناف الثمانية والصدقة المندوبة يجوز صرفها الى وجوه أخر كالمساجد والمدارس وتجهيز الموتى، ولان الصدقات تنصرف

سوى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يكون للعامل عليها ان عمل بالحق ولم يكن عمر رحمه الله تعالى ولا أولئك يعطون العامل الثمن انما يفرضون له بقدر عمالته حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن والعاملين عليها قال كان يعطى العاملون * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال يعطى العامل عليها على قدر عمالته وأجر مثله وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله جل ثناؤه لم يقسم صدقة الاموال بين الاصناف الثمانية على ثمانية أسهم وانما عرف خلقه أن الصدقات لن تجاوز هؤلاء الاصناف الثمانية الى غيرهم واذ كان كذلك بما سنوضح بعد وبما قد أوضحناه فى موضع آخر كان معلوما أن من أعطى منها حقا فانما يعطى على قدر اجتهاد المعطى فيه واذا كان ذلك كذلك وكان العامل عليها انما يعطى على عمله لا على الحاجة التى تزول بالعطية كان معلوما أن الذى أعطاه من ذلك انما هو عوض من سعيه وعمله وأن ذلك انما هو قدر ما يستحقه عوضا من عمله الذى لا يزول بالعطية وانما يزول بالعزل وأما المؤلفة قلوبهم فانهم قوم كانوا يتألفون على الاسلام ممن لم تصح نصرته استصلاحا به نفسه وعشيرته كأبى سفيان بن حرب وعيينة بن بدر والاقرع بن حابس ونظرائهم من رؤساء القبائل وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والمؤلفة قلوبهم وهم قوم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسلموا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضخ لهم من الصدقات فاذا أعطاهم من الصدقات فاصابوا منها خيرا قالوا هذا دين صالح وان كان غير ذلك عابوه وتركوه حدثنا عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن يحيى بن أبى كثير ان المؤلفة قلوبهم من بنى أمية أبو سفيان بن حرب ومن بنى مخزوم الحرث بن هشام وعبد الرحمن بن يربوع ومن بنى جمح صفوان ابن أمية ومن بنى عامر بن لؤى سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومن بنى أسد بن عبد العزى حكيم بن حزام ومن بنى هاشم سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ومن بنى فزارة عيينة ابن حصن بن بدر ومن بنى تميم الاقرع بن حابس ومن بنى نصر مالك بن عوف ومن بنى سليم العباس بن مرداس ومن ثقيف العلاء بن حارثة أعطى النبى صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم مائة ناقة الا عبد الرحمن بن يربوع وحويطب بن عبد العزى فانه أعطى كل رجل منهما خمسين حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى قال قال صفوان بن أمية لقد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لأبغض الناس الى فما برح يعطينى حتى انه لأحب الناس الى حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال ناس كان يتألفهم بالعطية عيينة بن بدر ومن كان معه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة عن يونس عن الحسن والمؤلفة قلوبهم الذين يؤلفون على الاسلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأما المؤلفة قلوبهم فأناس من الاعراب ومن غيرهم كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم بالعطية كيما يؤمنوا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهرى عن قوله والمؤلفة قلوبهم فقال من أسلم من يهودى أو نصرانى قلت وان كان غنيا

الى معهود سابق وهو الصدقات الواجبة فى قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات * الحكم الثانى فى الآية دلالة على أن الزكاة انما يتولى أخذها الامام أو نائبه لانه تعالى جعل للعاملين سهما منها والعامل هو الذى نصبه الامام لاخذ الزكوات ويتأكد هذا النص بقوله خذ من أموالهم صدقة فالقول بأن المالك يجوز له اخراج زكاة الاموال الباطنة بنفسه انما يعرف بدليل آخر كقوله وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واذا كان حقا لهما وجب أن يجوز دفعه اليهما ابتداء واذا كان الامام جائرا فالتفريق بنفسه أفضل * الحكم الثالث مذهب أبى حنيفة أنه يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف وهو قول عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وأبى العالية والنخعى لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الثمانية فلا يلزم أن يكون كل جزء من أجزائها كصدقة زيد مثلا موزعا على كل واحد منهم ولان الرجل الذى له ثمانون درهما لو كان فقيرا غارما ابن سبيل غازيا فأخرج نصف دينار لو كلفناه ان يقسمه على أربعة وعشرين لدفع كل ثلاثة منها الى ثلاثة من كل صنف صار كل قسم حقيرا صغيرا غير منتفع به فى مهم معتبر وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب الى وقال الشافعى لابد من صرفها الى الاصناف الثمانية وهو قول عكرمة والزهرى وعمر بن عبد العزيز واحتجوا عليه بأن الله تعالى ذكر هذه القسمة فى نص الكتاب ثم أكدها بقوله فريضة من الله وهو فى معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء فى قوة قوله فرض الله الصدقات لهم وهذا كالزجر عن مخالفة الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك تعالى لم يرض بقسمة ملك مقرب

قال وان كان غنيا **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا معقل بن عبيد الله الجزرى عن الزهرى والمؤلفة قلوبهم قال من هو يهودى أو نصرانى * ثم اختلف أهل العلم فى وجود المؤلفة اليوم وعدمها وهل يعطى اليوم أحد على التألف على الاسلام من الصدقة فقال بعضهم قد بطلت المؤلفة قلوبهم اليوم ولا سهم لأحد فى الصدقة المفروضة الا الذى حاجته الها وفى سبيل الله أو لعامل عليها ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن والمؤلفة قلوبهم قال أما المؤلفة قلوبهم فليس اليوم **حدثنا** أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال لم يبق فى الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم انما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال ثنا عبد الرحمن ابن يحيى عن حبان بن أبى جبلة قال قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأتاه عيينة بن حصن الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر أى ليس اليوم مؤلفة **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك عن الحسن قال ليس اليوم مؤلفة **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال انما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فلما ولى أبو بكر رحمة الله تعالى عليه انقطعت الرشا * وقال آخرون المؤلفة قلوبهم فى كل زمان وحقهم فى الصدقات ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال فى الناس اليوم المؤلفة قلوبهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر مثله * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أن الله جعل الصدقة فى معنيين أحدهما سد خلة المسلمين والآخر معونة الاسلام وتقويته فما كان فى معونة الاسلام وتقويته أسبابه فانه يعطاه الغنى والفقير لانه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه اليه وانما يعطاه معونة للدين وذلك كما يعطى الذى يعطاه بالجهاد فى سبيل الله فانه يعطى ذلك غنيا كان أو فقيرا للغزو لا لسد خلته وكذلك المؤلفة قلوبهم يعطون ذلك وان كانوا أغنياء استصلاحا باعطائهموه أمر الاسلام وطلب تقويته وتأييده وقد أعطى النبى صلى الله عليه وسلم من أعطى من المؤلفة قلوبهم بعد أن فتح الله عليه الفتوح وفشا الاسلام وعز أهله فلا حجة لمحتج بان يقول لا يتألف اليوم على الاسلام أحد لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم وقد أعطى النبى صلى الله عليه وسلم من أعطى منهم فى الحال التى وصفت وأما قوله وفى الرقاب فان أهل التأويل اختلفوا فى معناه فقال بعضهم وهم الجمهور الاعظم هم المكاتبون يعطون منها فى فك رقابهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن الحسين أن مكاتبا قام الى أبى موسى الاشعرى رحمه الله تعالى وهو يخطب الناس يوم الجمعة فقال له أيها الامير حث الناس على فحث عليه أبو موسى فالقى الناس عليه عمامة وملاءة وخاتما حتى ألقوا سوادا كثيرا فلما رأى أبو موسى ما ألقى عليه قال اجمعوه فجمع ثم أمر به فبيع فاعطى المكاتب مكاتبته ثم أعطى الفضل فى الرقاب ولم يرده على الناس وقال انما أعطى الناس فى الرقاب **حدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهرى عن

ولا نبى مرسل حتى تولى قسمتها بنفسه ثم ختم الآية بقوله (والله عليم) أى بتقدير الانصباء والمصالح (حكيم) لا يجعل الا ما هو الاصوب والاصلح وكل هذه المؤكدات دليل على وجوب الاحتياط فى صرف الزكاة ومن ههنا قال الشافعى لابد فى كل صنف من ثلاثة لانه تعالى ذكر أكثر الاصناف بلفظ الجمع وأقل الجمع ثلاثة فان دفع نصب الفقراء الى اثنين

غرم المثالث أفل متمول على الاقيس لا الثلث لان التفضيل فى أفراد الصنف جائز للمالك لان العدد من كل صنف غير محصور فيصعب اعتبار التسوية بخلاف التسوية بين الاصناف لانهم محصورون فتسهل التسوية بينهم * الحكم الرابع العامل والمؤلفة قلوبهم فقودان فى زماننا فبقى ان تصرف الزكاة الى الاصناف الستة الباقية كما لو فقد بعض الاصناف فى بلد فانه يصرف الى الباقين

ولا يؤمر بالنقل الى بلد وجدوا فيه جميعا والاحوط رعاية التسوية بينهم على ما يقوله الشافعى أما اذا لم يفعل ذلك فانها مجزئة عند سائر الأئمة أما الحكمة فى ايجاب الزكاة فهو ان المال محبوب بالطبع لان القدرة من صفات الكمال والمال سبب لحصول القدرة على المشتهيات والمآرب لكن الاستغراق فى حبه يذهل النفس عن حب الله وعن التأهب للآخرة فاقتضت الحكمة الالهية تكليف مالك المال اخراج طائفة منه كسرا للنفس ومنعا من انصبابها بالكلية اليه فايجاب الزكاة علاج صالح لازالة مرض حب الدنيا عن القلب وهو المراد من قوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم أى عن دنس الاستغراق فى حب المال وأيضا ان كثرة الاموال توجب القوة والقدرة والشدة وتزايد تلك الذات يدعو الانسان الى تحصيل الاموال المتزايدة فتصير المسألة دورية لا مقطع لها ولا آخر فاثبت الشرع لها مقطعا وآخرا وهو صرف طائفة من المال فى طلب مرضاة الله ليصرف النفس عن ذلك الطريق الظلمانى الذى لا آخر له ويقضى فى الاغلب الى الطغيان وقساوة القلب وأيضا النفس الناطقة لها قوتان نظرية وكمالها فى التعظيم لامر الله وعملية وكمالها فى الشفقة على خلق الله فأوجب الله الزكاة ليتصف جوهر الروح بهذا الكمال ويصير بسبب ذلك محسنا الى الخلق وانما أحسن الى هم أمدوه بالدعاء والهمة وأيضا المال سمى مالا لكثرة ميل كل أحد اليه وهو غاد ورائح * فى سريع الزوال مشرف على التلف والبوار فاذا أنفقه لوجه الله بقى بقاء لا يمكن زواله وفى انفاق المال تشبه بالمجردات والمفارقات وليس الغنى الا عن الشئ لانه لذات الاستغناء عن الشئ صفة الحق والاستغناء بالشئ صفة الخلق فمن عجز عن ثفى الامر بالزكاة نقل للانسان من درجة

قوله وفى الرقاب قال المكاتبون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وفى الرقاب قال المكاتب حدثنا ابن وكيع قال ثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن وفى الرقاب قال هم المكاتبون * وروى عن ابن عباس أنه قال لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال عنى بالرقاب فى هذا الموضع المكاتبون لاجماع الحجة على ذلك فان الله جعل الزكاة حقا واجبا على من أوجبها عليه فى ماله يخرجها منه لا يرجع اليه منها نفع من عرض الدنيا ولا عوض والمعتق رقبة منها راجع اليه ولاء من أعتقه وذلك نفع يعود اليه منها * وأما الغارمون فالذين استدانوا فى غير معصية الله ثم لم يجدوا قضاء فى عين ولا عرض وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد قال الغارمون من احترق بيته أو يصيبه السيل فيذهب متاعه ويدان على عياله فهذا من الغارمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عثمان بن الاسود عن مجاهد فى قوله والغارمين قال من احترق بيته وذهب السيل بماله وادان على عياله حدثنا أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال الغارمين المستدين فى غير سرف ينبغى للامام أن يقضى عنهم من بيت المال * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألنا الزهرى عن الغارمين قال أصحاب الدين * قال ثنا معقل عن عبد الكريم قال ثنى خادم لعمر ابن عبد العزيز خدمه عشرين سنة قال كتب عمر بن عبد العزيز أن يعطى الغارمون قال أحمد أكثر ظنى من الصدقات * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن جابر عن أبى جعفر قال الغارمون المستدين فى غير سرف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أما الغارمون فقوم غرقتهم الديون فى غير املاق ولا تبذير ولا فساد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الغارم الذى يدخل عليه الغرم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى ابن يمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد والغارمين قال هو الذى يذهب السيل والحريق بماله ويدان على عياله * قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن أبى جعفر قال المستدين فى غير فساد * قال ثنى أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال الغارمون الذين يستدينون فى غير فساد ينبغى للامام أن يقضى عنهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد هم قوم ركبتهم الديون فى غير فساد ولا تبذير فجعل الله لهم فى هذه الآية سهما وأما قوله وفى سبيل الله فانه يعنى وفى النفقة فى نصرة دين الله وطريقه وشريعته التى شرعها لعباده بقتال أعدائه وذلك هو غزو الكفار وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وفى سبيل الله قال الغازى فى سبيل الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسة رجل عمل عليها أو رجل اشتراها بماله أو فى سبيل الله أو ابن السبيل أو رجل كان له جار تصدق عليه فاهدا ها له * قال ثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن عطية عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى الا لثلاثة

أدنى الى درجة أعلى وأيضا للانسان روح وبدن ومال فاذا بذل الروح في الاستغراق في بحار معرفة الله والصلاة له فكيف يليق به أن لا يبذل المال في ابتغاء مرضاته وأيضا اذا فضل المال عن قدر الحاجة وحضر انسان آخر محتاج فههنا حصل سببان كل واحد منهما يوجب تملك ذلك المال أما في حق المالك فهو أنه سعى في اكتسابه وتحصيله وتعلق قلبه به وأما في حق الفقير فلاحتياجه الموجب للتعلق به فلما وجد هذان السببان المتنافيان اقتضت حكمة الشارع رعاية كل منهما بقدر الامكان ورجح جانب المالك لان له حق الاكتساب وحق التعلق فأبقى عليه الكثير وأمر بصرف جزء يسير الى الفقير توفيقا بين الامرين وجمعا بين المصلحتين مع رعاية المال عن التعطيل فلا معطل في الوجود وأيضا الاغنياء خزان الله لان المال مال الله وهم عبيده ولولا أنه ألقاها في أيديهم لما ملكوا منها حبة فكم من عاقل لا علك مل بطنه وكم من غافل تأتيه الدنيا عفوا صفوا وليس يستبعد ان يقول الملك لخزانه اصرفوا طائفة من مال خزانتي الى المحتاجين من عبيدي وأيضا ان الاغنياء لو لم يلزموا باصلاح مهمات الفقراء فربما جلتهم شدة الحاجة على تحصيل المال من وجوه منكرة كالسرقة ونحوها أو على الالتحاق باعداء المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وكأن الله تعالى يقول للغني أعطيتك المال فشكرت فصرت من الشاكرين فأخرج من يدك نصيبا منه حتى تصير على فقدان المال فتصير من الصابرين ويقول للفقير ما أعطيتك الاموال الكثيرة فصبرت فصرت من الصابرين ولكني أوجبت على الغني ان يصرف اليك طائفة من المال لتشكر لي فتكون من الشاكرين وأيضا أراد الله سبحانه ان يكون الغني منعما على الفقير بما يؤديه اليه ويكون الفقير منعما على الغني بما قابله منه ليحصل الخلاص له في الدنيا من الذم والعار وفي الآخرة من عذاب النار ثم حكى نوعا آخر من فضائح المنافقين وهو أنهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الطعن والذم (هو اذن) عن ابن عباس كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ما لا ينبغي

في سبيل الله أو ابن السبيل أو رجل كان له جار فتصدق عليه فاهدى اليه فاكله وأما قوله وابن السبيل فالمسافر الذي يجتاز من بلد الى بلد والسبيل الطريق وقيل للمنارة يبنيه ابن السبيل للزومه اياه كما قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتني وليدا ... الى أن شبت واكتهلت لداتي

وكذلك تفعل العرب تسمي اللازم للشئ يعرف بابنه وبنحو الذي قلناه في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن جابر عن أبي جعفر قال ابن السبيل المجتاز من أرض الى أرض حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مندل عن ليث عن مجاهد وابن السبيل قال لابن السبيل حق من الزكاة وان كان غنيا اذا كان منقطعا به حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهري عن ابن السبيل قال يأتي علي ابن السبيل وهو محتاج قلت فان كان غنيا قال وان كان غنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وابن السبيل الضيف جعل له فيها حق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن السبيل المسافر من كان غنيا أو فقيرا اذا أصيبت نفقته أو فقدت أو أصابها شئ أو لم يكن معه شئ فحقه واجب حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك أنه قال في الغني اذا سافر فاحتاج في سفره قال يأخذ من الزكاة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن أبي جعفر قال ابن السبيل المجتاز من الارض الى الارض وقوله فريضة من الله يقول جل ثناؤه قسم قسمه الله لهم فأوجبه في أموال أهل الاموال لهم والله عليم بمصالح خلقه فيما فرض لهم وفي غير ذلك لا يخفى عليه شئ فعلى علم منه فرض ما فرض من الصدقة وبما فيها من المصلحة حكيم في تدبيره خلقه لا يدخل في تدبيره خلل * واختلف أهل العلم في كيفية قسم الصدقات التي ذكرها الله في هذه الآية وهل يجب لكل صنف من الاصناف الثمانية فيها حق أو ذلك الى رب المال ومن يتولى قسمها في أن له أن يعطي جميع ذلك من شاء من الاصناف الثمانية فقال عامة أهل العلم للمتولي قسمها وضعها في أي الاصناف الثمانية شاء وانما سمى الله الاصناف الثمانية في الآية اعلاما منه خلقه أن الصدقة لا تخرج من هذه الاصناف الثمانية الى غيرها الا بايجابها بالقسمة بين الاصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى ذكره من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن الحجاج بن أرطاة عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش عن حذيفة في قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها قال ان شئت جعلته في صنف واحد أو صنفين أو ثلاثة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج عن المنهال عن زر عن حذيفة قال اذا وضعتها في صنف واحد أجزأ عنك * قال ثنا جرير عن ليث عن عطاء عن عمر انما الصدقات للفقراء قال أيما صنف أعطيته من هذا أجزأك * قال ثنا ابن نمير عن عبد المطلب عن عطاء انما الصدقات للفقراء الآية قال لو وضعتها في صنف واحد من هذه الاصناف أجزأك ولو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب الي * قال أخبرنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير انما الصدقات للفقراء والمساكين وابن السبيل فأي صنف أعطيته من هذه الاصناف

فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فنحلف له فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فاتيا محمدا فأذن سامعة فنزلت الآية وقال محمد بن اسحق بن يسار وغيره نزلت في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان رجلا أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم من أراد ان ينظر الى الشيطان

فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان نمام حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد أذن من حدثه شيأ صدقه نقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا وقال السدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت ووديعة بن ثابت فأرادوا ان يقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم وعندهم غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا ان كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمير فغضب الغلام وقال والله ان ما يقول محمد حق وانكم لشر من الحمير ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر أنهم كذبة وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى يتبين صدق الصادق من كذب الكاذب فنزلت الآيتان قال علماء اللغة الاذن الرجل الذي يصدق بكل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ومثله قولهم للربيئة عين وفسر ايذاءهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم يقولون له هو أذن وذلك انهم قصدوا به المذمة وأنه ليس ذا ذكاء ولا بعيد غور بل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع ويجوز أن يراد بالايذاء أنواع أخر سوى هذا القول أي يؤذونه بالغيبة والنميمة وسائر أنواع الاذية ويقولون في وجهه الاعتذار عن ذلك هو أذن يقبل كل ما يسمع فنحن نأتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا وخفض فيرضى ثم انه سبحانه أجاب عن قولهم فقال (قل أذن خير لكم) بالاضافة كقولهم رجل صدق يريدون الجودة والصلاح ويجوز الاضافة هو الملاسنة كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن اذا أريد هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك ويؤيده

أجزألك * قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله * قال ثنا حرير عن مغيرة عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها قال انما هذا شيء أعلمه فأي صنف من هذه الاصناف أعطيته أجزأ عنك * قال ثنا أبي عن شعبة عن الحكم عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء قال في أي هذه الاصناف وضعتها أجزألك * قال ثنا أبي عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال اذا وضعتها في صنف واحد مما سمى الله أجزألك * قال ثنا أبي عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال اذا وضعتها في صنف واحد مما سمى الله أجزألك * قال ثنا خالد بن حيان أبو يزيد عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران انما الصدقات للفقراء قال اذا جعلتها في صنف واحد من هؤلاء أجزأ عنك * قال ثنا محمد بن بشر عن مسعود عن عطاء عن سعيد بن جبير انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية قال أعلم أهلها من هم * قال ثنا حفص عن ليث عن عطاء عن عمر أنه كان يأخذ الفرض في الصدقة ويجعلها في صنف واحد * وكان بعض المتأخرين يقول اذا تولى رب المال قسمها كان عليه وضعها في ستة أصناف وذلك أن المؤلفة قلوبهم عنده قد ذهبوا وان سهم العاملين يبطل بقسمه اياها ويزعم انه لا يجزيه أن يعطي من كل صنف أقل من ثلاثة أنفس وكان يقول ان تولى قسمها الامام كان عليه أن يقسمها على سبعة أصناف لا يجزي عنده غير ذلك ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم﴾ يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون هو أذن سامعة يسمع من كل أحد ما يقول فيقبله ويصدقه وهو من قولهم رجل أذنه مثل فعلة اذا كان يسرع الاستماع والقبول كما يقال هو يقن ويقن اذا كان ذا يقين بكل ما حدث وأصله من أذن له يأذن اذا استمع له ومنه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن ومنه قول عدي بن زيد

أيها القلب تعلل بددن * ان همي في سماع وأذن

وذكر أن هذه الآية نزلت في ربيع (١) بن الحرث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر الله عيبهم يعني المنافقين وأذاهم للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن الآية وكان الذي يقول تلك المقالة فيما بلغني نبتل بن الحرث أخو بني عمرو بن عوف وفيه نزلت هذه الآية وذلك أنه قال انما محمد أذن من حدثه شيأ صدقه يقول الله قل أذن خير لكم أي يسمع الخير ويصدق به واختلفت القراء في قراءة قوله قل أذن خير لكم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار قل أذن خير لكم باضافة الاذن الى الخير يعني قل لهم يا محمد هو أذن خير لا أذن شر وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ ذلك قل أذن خير لكم بتنوين أذن وبصير خير خبرا له بمعنى قل من يسمع منكم أيها المنافقون ما تقولون ويصدقكم ان كان محمد كما وصفتموه من أنكم اذا آذيتموه فانكرتم ما ذكر له عنكم من أذا كم اياه وعيبكم له سمع منكم وصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل منكم ما تقولون ثم كذبهم فقال بل لا يقبل الا من المؤمنين يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين * قال أبو جعفر والصواب من القراءة عندي في ذلك قراءة من قرأ قل أذن خير لكم باضافة الاذن الى الخير

(١) لعله نبتل بن الحرث كما في الأثر بعد وكما في كتب التفسير الأخرى وحرر كتبه مصححه

قراءة جره رحمة بالجر عطفا عليه عطف الخاص على العام أى هو اذن خير ورحمة لا يسمع ولا يقبل غيرهما ثم بين كونه أذن خير بانه (يؤمن بالله) أى يقر به ويعترف بوحدانيته لما قام عنده من الادلة (و يؤمن للمؤمنين) يسلم لهم قولهم لوثوقه بقولهم وعلمه باخلاصهم لانه من أهل الغيرة والمحبة (و) هو (رحمة للذين آمنوا منكم) باللسان دون الجنان لانه يجرى

أمركم على الظاهر ولا يبالغ فى التفتيش عن بواطنكم وان الله هو الذى يتولى السرائر ولهذا ختم الآية بقوله (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) وأما من قرأ أذن خير بالرفع فهما فعلى ان الاذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك أى هو أذن هو خير والمعنى هو أذن موصوف بالخيرية فى حقكم لانه يقبل معاذيركم ويتغافل عن جهالاتكم فتحفظ بذلك دماؤكم وأموالكم وقيل التقدير قل أذن واعية سامعة للحق خير لكم من هذا الطعن الفاسد ثم ذكر بعده ما يدل على فساد هذا الطعن وهو قوله (يؤمن بالله) الى آخره ووجه ثالث ذكره صاحب النظم واستحسنه الواحدى وهو ان قوله أذن وان كان رفعا فى الظاهر لكنه نصب فى الحقيقة على الحال وتأويله قل هو أذن خير لكم ثم ذكر أن من قبائح المنافقين اقدامهم على الأيمان الكاذبة فقال (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه) أى كان من الواجب أن يرضوا الله تعالى بالاخلاص والتوبة لا باظهار ما يستمرون خلافه وانما لم يقل يرضوه ما تعظيما لله بالافراد بالذكر أو المراد والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك أو وقع الاكتفاء بذكر الله لان رضا الله ورضا رسوله شئ واحد كما يقال احسان زيد واجماله بعنى ومعنى (ان كانوا مؤمنين) أى برعمهم ثم وبخهم بقوله

(ألم يعلموا) وذلك أنه يقال ذلك لمن تتنوع فى تعليمه مدة ثم لم يظهر عليه أثر العلم والرشد وكان النبى صلى الله عليه وسلم طال مكثه فيهم وكثر تحذيره عن المعصية وترغيبه فى الطاعة والضمير فى قوله (أنه) للشأن وفائدته مزيد التعظيم والتهويل وانما دة المخالفة لان كلا منهما فى حد غير حد صاحبه كالمشاقة لان كلا منهما فى شق آخر وقال أبو مسلم هى من الحديد حديد السلاح ثم ذكر فى الجزاء قوله (فان له) بالفتح أى فحق أن

وخفض الخير يعنى قل هو أذن خير لكم لا أذن شر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن يسمع من كل أحد حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قال كانوا يقولون انما محمد أذن لا يحدث عنا شيأ الا هو أذن يسمع ما يقال له حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويقولون هو أذن نقول ما شئنا ونحلف فيصدقنا حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله هو أذن قال يقولون نقول ما شئنا ثم نحلف له فيصدقنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه وأما قوله يؤمن بالله فانه يقول يصدق بالله وحده لا شريك له وقوله ويؤمن للمؤمنين يقول ويصدق المؤمنين لا الكافرين ولا المنافقين وهذا تكذيب من الله للمنافقين الذين قالوا لمحمد أذن يقول جل ثناؤه انما محمد صلى الله عليه وسلم مستمع خير يصدق بالله وبما جاءه من عنده ويصدق المؤمنين لا أهل النفاق والكفر بالله وقيل ويؤمن للمؤمنين معناه ويؤمن المؤمنين لان العرب تقول فيما ذكر لنا عنها آمنت له وآمنته بمعنى صدقته كما قيل ردف لكم بعض الذى تستعجلون ومعناه ردفكم وكما قال للذين هم لربهم يرهبون ومعناه الذين هم ربهم يرهبون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين يعنى يؤمن بالله ويصدق المؤمنين وأما قوله ورحمة للذين آمنوا منكم فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأ ذلك عامة قراء الامصار ورحمة للذين آمنوا بمعنى قل هو أذن خير لكم وهو رحمة للذين آمنوا منكم فرفع الرحمة عطفا بها على الاذن وقرأه بعض الكوفيين ورحمة عطفا بها على الخير بتأويل قل أذن خير لكم وأذن رحمة * قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأه ورحمة بالرفع عطفا بها على الاذن بمعنى وهو رحمة للذين آمنوا منكم وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه وصدق بما جاء به من عند ربه لان الله استنقذهم به من الضلالة وأورثهم باتباعه جنانه * القول فى تأويل قوله ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين الذين يعيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون هو أذن وأمثالهم من مكذبيه وللقائلين فيه الهجر والباطل عذاب من الله موجع لهم فى نار جهنم * القول فى تأويل قوله ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون بالله ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرهم اياه بالطعن عليه والعيب له ومطابقتهم سرا أهل الكفر عليكم بالله والايمان الفاجرة انهم ما فعلوا ذلك وانهم لعلى دينكم ومعكم على من خالفكم يبتغون بذلك رضاكم يقول الله جل ثناؤه والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة والانابة مما قالوا ونطقوا ان كانوا مؤمنين يقول ان كانوا مصدقين بتوحيد الله مقرين بوعده وعيده وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا

(نار جهنم) وقيل أن مكررة للتأكيد والتقدير فله نار جهنم وقيل فان معطوف على أنه وجواب من محذوف وهو يهلك قال الزجاج يجوز كسرها على الاستئناف بعد الفاء ولكن القراءة بالفتح ونقل الكعبي في تفسيره أنه قرئ بالكسر قال السدي، قال بعض المنافقين والله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة ولا ينزل فينا شيء فيفضحنا فأنزل الله تعالى (يحذر المنافقون) وقال مجاهد كانوا يقولون لقول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا فنزلت والضمير في عليهم وفي تنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين ويجوز أن تكون الضمائر كلها للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم وكأنها تخبر عما في بواطنهم وتذيع عليهم أسرارهم قيل المنافق كافر فكيف يحذر نزول الوحي لانه غير قائل به وأجيب بأنهم عرفوا ذلك بالتجربة أو كفرهم كان كفر عناد أو كانوا شاكين في صحة نبوته والشاك في أمر خائف من وقوعه أو هذا الخبر في معنى الامر أي ليحذر المنافقون عن أبي مسلم أنهم أظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء ولهذا أجابهم الله بقوله (استهزؤا) وهو أمر تهديد (ان الله مخرج ما تحذرون) مظهر ما تحذرونه من نفاقكم أو محصل انزال السورة لان النبي اذا حصل بعد عدم فكأن فاعله أخرجه من العدم الى الوجود قوله (ولئن سألتهم) الآية عن ابن عمر أن رجلا من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رأيت مثل هؤلاء القراء أرغب بطونا أي أوسع ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله وأصحابه فقال واحد من المؤمنين كذبت وأنت منافق ثم ذهب ليخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انا كنا نلعب ونتحدث بحديث الركب نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر رأيت عبد الله بن أبي يشتد قدام رسول الله صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يلتفت اليه لا يزيد عليه وقال الحسن وقتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم الآية ذكر لنا أن رجلا من المنافقين قال والله ان هؤلاء لخيارنا وأشرافنا وان كان ما يقول محمد حقا لهم شر من الحمير قال فسمعها رجل من المسلمين فقال والله ان ما يقول محمد حق ولأنت شر من الحمار فسعى بها الرجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل الى الرجل فدعاه فقال له ما حملك على الذي قلت فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك قال وجعل الرجل المسلم يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله في ذلك يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ﴿القول في تأويل قوله﴾ ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم ﴿يقول تعالى ذكره ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يحلفون بالله كذبا للمؤمنين ليرضوهم وهم مقيمون على النفاق أنه من يحارب الله ورسوله ويخالفهما فيما وافقهما عليه مما ذا له نار جهنم في الآخرة خالدا فيها يقول لابثا فيها مقيما الى غير نهاية ذلك الخزي العظيم يقول تلبثه في نار جهنم وخلوده فيها هو الهوان والذل العظيم وقرأت القراء فأن بفتح الالف من أن عيسى ألم يعلموا أن لمن حاد الله ورسوله نار جهنم واعمال يعلموا فيها كأنهم جعلوا أن الثانية مكررة على الاولى واعتمدوا عليها اذ كان الخبر معها دون الاولى وقد كان بعض نحويي البصرة يختار الكسر في ذلك على الابتداء بسبب دخول الفاء فيها وان دخولها فيها عنده دليل على أنها جواب الجزاء وانها اذا كانت جواب الجزاء كان الاختيار فيها الابتداء والقراءة التي لا أستجيز غيرها فتح الالف في كلا الحرفين أعني أن الاولى والثانية لان ذلك قراءة الامصار وللعلة التي ذكرت من جهة العربية ﴿القول في تأويل قوله﴾ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ﴿يقول تعالى ذكره يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم يقول تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم وقيل ان الله أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن المنافقين كانوا اذا غابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر واشيأ من أمره وأمر المسلمين قالوا لعل الله لا يفشي سرنا فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم استهزؤا متهددا لهم متوعدا ان الله مخرج ما تحذرون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة قال يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي سرنا علينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال سرنا هذا وأما قوله ان الله مخرج ما تحذرون فانه يعني به ان الله مظهر عليكم أيها المنافقون ما كنتم تحذرون أن تظهروه فأظهر الله ذلك عليهم وفضحهم فكانت هذه السورة تدعى الفاضحة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين ﴿القول في تأويل قوله﴾ ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ﴿يقول تعالى جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب ليقولن لك انما قلنا ذلك لعبا وكنا نخوض في حديث لعبا وهزوا يقول الله لمحمد صلى الله

الى هذا الرجل يريد أن يفتتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب قال الواحدي أصل الخوض الدخول في مائع مثل الماء والطين ثم كثر حتى أطلق على كل دخول فيه تلويث وأذى أي كنا نخوض في الباطل كما يخوض الركب (١٤٩) لقطع الطريق ثم أمر نبيه بأن يقول في جوابهم

عليه وسلم قل يا محمد أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزؤن وكان ابن اسحق يقول الذي قال هذه المقالة كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذي قال هذه المقالة فيما بلغني وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد من بني عمرو بن عوف حدثنا علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا الليث قال ثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن رجلا من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء فقال له عوف كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فقال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يزيده قال ثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال قال رجل في غزوة تبوك في مجلس ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء فقال رجل في المجلس كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن قال عبد الله ابن عمر فأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن عكرمة في قوله ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله بأنهم كانوا مجرمين قال فكان رجل ممن ان شاء الله عفا عنه يقول اللهم ان أسمع آية أنا أعنى بها تقشعر منها الجلود وتجل منها القلوب اللهم فاجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت قال فأصيب يوم اليمامة فما أحد من المسلمين الا وجد غيره حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الآية قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا أيرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على هؤلاء الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا قالوا يا نبي الله انما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ما تسمعون حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا يظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا فقال علي بهؤلاء النفر فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فحلفوا ما كنا الا نخوض ونلعب حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب وغيره قالوا قال رجل من المنافقين ما أرى قراءنا هؤلاء الا أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء فرفع ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انما كنا نخوض ونلعب فقال أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن الى قوله

(أبالله) أي بتكذيبه أو بأسمائه أو بقدرته حيث استبعدتم اعانته النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على فتح قصور الشام (وآياته) يعني القرآن (ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبأ باعتذارهم فعلموا كأنهم معترفون بوقوع الاستهزاء منهم فاوقع الانكار على الاستهزاء بالله بأن أولى الاستفهام الذي يفيد التقرير المستهزأ به ولم يقل أتستهزؤن بالله ثم قال (لا تعتذروا) نقل الواحدي عن أئمة اللغة أن معنى الاعتذار محو أثر الذنب أو قطعه من قولهم اعتذر المنزل ذا درس واعتذرت الماشية اذا انقطعت ومنه عذرة الجارية لانها تعذر أي تقطع والعذر سبب القطع اللوم نهاهم الله عن الاعتذار بالخوض واللعب لان النبي الذي يوجب الكفر لا يصلح العذر ثم بين ذلك بقوله (قد كفرتم) أي صريحا (بعد ايمانكم) أي بعد اظهار الذين أظهرتموه وبيان الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله صريح لان العمدة الكبرى في الايمان هو التعظيم لامر الله ولشرائعه (ان نعف عن طائفة منكم) ذكر المفسرون أنهم كانوا ثلاثة استهزأ اثنان وضحك الثالث ولما كان ذنب الضاحك أخف لانه لم يوافق القوم في الكفر فلا جرم عفا الله عنه وفيه اشارة الى أنه من خاض في عمل باطل فعليه أن يجتهد في التقليل ويحذر من الانهماك فانه يرجى له ببركة

ذلك القليل أن يعفو الله عنه بالكل قال الزجاج الطائفة في اللغة الجماعة لانها المقدار الذي يمكنه أن يطيف بالشيء ثم يجوز أن يسمى الواحد بالطائفة قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وأقله الواحد وروى الفراء باسناده عن ابن عباس أنه قال الطائفة الواحد فما فوقه ووجه بأن من اختار مذهبا فانه ينصره ويذب عنه من كل الجوانب فلا يبعد أن يسمى طائفة هنا للمبالغة وقال ابن الانباري

العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقال تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ثم علل كونه معذبا الطائفة الثانية (بأنهم كانوا مجرمين) أي مصرين مستمرين على الجرم ويجوز أن يكون سبب العفو عن الطائفة الاولى احداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق ويجوز أن يراد بالعذاب العذاب العاجل ومن قرأ أن يعف على البناء للمفعول والتذكير فلانه مستند الى الظرف كما

تقول سير بالدابة دون سيرت وقرئ بالتأنيث ذهابا الى المعنى كأنه قيل ان ترحم طائفة ثم ذكر جملة أحوال المنافقين وان أناسهم في ذلك كذكورهم فقال (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أي في صفة النفاق وأريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم فصل ذلك المجمل ببيان مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال (يأمرون بالمنكر) وهو كل قبيح عقلا أو شرعا وأعظم ذلك تكذيب الله ورسوله ﴿وينهون عن المعروف) وهو كل حسن عقلا أو شرعا وأعظم ذلك الاخلاص في الايمان (ويقبضون أيديهم) عن كل خير أو عن كل واجب كصدقة أو زكاة أو انفاق في سبيل الله وهذا أولى ليتوجه الذم بتركه وقبض الأيدي كناية عن الشح والبخل كبسطها في الكرم والسخاء (نسوا الله) أغفلوا أمره وتركوا ذكره وذلك ان النسيان الحقيقي لا يتوجه عليه الذم (فنسيهم) جازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته وهذا على سبيل المزاوجة والطباق وانما جعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من نسي شيأ لم يذكره فدل بذكر الملزوم على اللازم ثم قال (ان المنافقين هم الفاسقون) وفيه دليل على انهم هم الكاملون في الفسق وأن على المسلم أن يحترز عما يكسبه هذا الاسم ثم بين مآل حال أهل النفاق والكفر فقال (وعد الله) الآية ومعنى (خالدين فيها) مقدرين الخلود فيها قاله في الكشاف ويحتمل أن

يراد مستأهلين للخلود (هي حسبهم) كافيتهم في الجزاء والايلام ومع ذلك فقد لعنهم الله ليكون العذاب مقرونا بالاهانة والطرد (ولهم عذاب مقيم) نوع آخر من العذاب الدائم سوى عذاب النار أو عذاب عاجل لا ينفكون عنه من تعب النفاق والخوف من افتضاحهم ثم شبه المنافقين

مجرمين وان رجليه ليسفعان بالجارة وما يلتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بنسعة رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انما كنا نخوض ونلعب قال قال رجل من المنافقين يحدث ثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا في يوم كذا وكذا وما يدريه ما الغيب **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه ﴿القول في تأويل قوله ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم لا تعتذروا بالباطل فتقولوا كنا نخوض ونلعب قد كفرتم يقول قد جحدتم الحق بقولكم ما قلتم في رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به بعد اعترافكم بقولكم بعد تصديقكم به واقراركم به ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة وذكر أنه عنى بالطائفة في هذا الموضع رجل واحد وكان ابن اسحق يقول فيما **حدثنا** به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذي عفي عنه فيما بلغني مخشي بن حمير الأشجعي حليف بني سلمة وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا زيد بن حبان عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ان نعف عن طائفة منكم قال طائفة رجل * واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه ان نعف عن طائفة منكم بانكاره ما أنكر عليكم من قبل الكفر نعذب طائفة بكفره واستهزائه بآيات الله ورسوله ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال بعضهم كان رجل منهم لم يعالجهم في الحديث فيسير مجانبا لهم فنزلت ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة فسمي طائفة وهو واحد * وقال آخرون بل معنى ذلك ان تتب طائفة منكم فيعفو الله عنه يعذب الله طائفة منكم بتركه التوبة وأما قوله انهم كانوا مجرمين فان معناه نعذب طائفة منهم باكتسابهم الجرم وهو الكفر بالله وطعنهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿القول في تأويل قوله ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون﴾ يقول تعالى ذكره المنافقون والمنافقات وهم الذين يظهرون للمؤمنين الايمان بألسنتهم ويسرون الكفر بالله ورسوله بعضهم من بعض يقول هم صنف واحد وأمرهم واحد في اعلانهم الايمان واستبطانهم الكفر يأمرون من قبلهم منهم بالمنكر وهو الكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به وتكذيبه وينهون عن المعروف يقول وينهونهم عن الايمان بالله ورسوله وما جاءهم به من عند الله وقوله ويقبضون أيديهم يقول ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله ويكفونها عن الصدقة فيمنعون الذين فرض الله لهم في أموالهم ما فرض من الزكاة حقوقهم كما **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ويقبضون أيديهم قال لا يبسطونها بنفقة في حق **حدثنا** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه

بالكفار الذين كانوا قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن الخيرات فقال ملتفتا من الغيبة الى الخطاب (كالذين من قبلكم) أي أنتم مثل الذين أو فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم فعلى الاول محل الكاف رفع وعلى الثاني نصب ثم وصف أولئك الكفار بأنهم كانوا أشد قوة أي جسامة من هؤلاء المنافقين (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم) وهو ما خلق للانسان أي قدر له من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب أي أثبت (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) قيل ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الأولين مرة ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم تكريره في حق الاولين ثالثا وأجيب بأنه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع عما أوتوا من حظوظ الدنيا وحرمانهم عن سعادة الآخرة بسبب استغراقهم في تلك الحظوظ فلما قرر تعالى هذا الذم عاد فشبه حال المنافقين بحالهم فبكى بذلك نهاية في المبالغة قال جار الله نظيره أن تقول لبعض الظلمة أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب وأنت تفعل مثل فعله وأما قوله (وخضتم كالذي خاضوا) فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة ومعنى كالذي كالخوض الذي خاضوه أو كالفوج الذي خاضوا وقيل أصله كالذين فحذف النون ثم بين أن أولئك الكفار لم يحصل لهم الا حبوط الاعمال أما في الدنيا فبسبب الفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف وأما في الآخرة فلانهم هلكوا وبادوا وانتقلوا الى العقاب الدائم وخسران الدارين فهؤلاء المنافقون المشاركون لهم في هذه الاعمال والفضائح مع ضعف بنيتهم وقلة عددهم وعددهم أولى بخزي الدارين وخسار الأمرين (التأويل انما الصدقات وهي صدقات مواهب الله كما قال صلى الله عليه وسلم ما من يوم ولا ليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة على من يشاء من عباده الفقراء وهم الأغنياء بالله الذين فنوا عنهم وبقوا به والمساكين الذين لهم بقية أوصاف الوجود ألفوا سفينة القلب في بحر الطلب وقد خرقها خضر المحبة وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا والعاملين عليها وهم أرباب الاعمال كما كان الفقراء

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويقبضون أيديهم لا يبسطونها بخير

حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ويقبضون أيديهم قال يقبضون أيديهم عن كل خير وأما قوله نسوا الله فنسيهم فان معناه تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته * وقد دللنا فيما مضى على أن معنى النسيان الترك بشواهده فاغنى ذلك عن اعادته ههنا وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نسوا الله فنسيهم نسوا من الخير ولم ينسوا من الشر قوله ان المنافقين هم الفاسقون يقول ان الذين يخادعون المؤمنين باظهارهم لهم بالسنتهم الايمان بالله وهم للكفر مستبطنون هم الفارقون طاعة الله الخارجون عن الايمان به ورسوله ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾ يقول تعالى ذكره وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار بالله نار جهنم أن يصليهموها جميعا خالدين فيها يقول ماكثين فيها أبدا لا يحيون فيها ولا يموتون هي حسبهم يقول هي كافيتهم عقابا وثوابا على كفرهم بالله ولعنهم الله يقول وأبعدهم الله وأسحقهم من رحمته ولهم عذاب مقيم يقول وللفريقين جميعا يعني من أهل النفاق والكفر عند الله عذاب مقيم دائم لا يزول ولا يبيد ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب أبالله وآياته كنتم تستهزؤن كالذين من قبلكم من الأمم الذين فعلوا فعلكم فأهلكهم الله وعجل لهم في الدنيا الخزي مع ما أعد لهم من العقوبة والنكال في الآخرة يقول لهم جل ثناؤه واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذي حل بهم فانهم كانوا أشد منكم قوة وبطشا وأكثر منكم أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم يقول فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم ورضوا بذلك من نصيبهم في الدنيا عوضا من نصيبهم في الآخرة وقد سلكتم أيها المنافقون سبيلهم في الاستمتاع بخلاقكم يقول فعلتم بدينكم ودنياكم كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم الذين أهلكتهم بخلافهم أمري بخلاقهم يقول كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم وخضتم في الكذب والباطل على الله كالذي خاضوا يقول وخضتم أنتم أيضا أيها المنافقون كخوض تلك الأمم قبلكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني أبو معشر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتأخذن كما أخذ الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا باع حتى لو أن أحدا من أولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم القرآن كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم قال فهل الناس الا هم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج

والمساكين أرباب الاحوال والمؤلفة قلوبهم الذين تتألف قلوبهم بذكر الله وفى الرقاب الذين يريدون أن يتخلصوا عن رق الموجودات تحرير لعبوديته موجدها والمكاتب عبد ما بقى عليه درهم والغارمين الذين استغرضوا من مراتب المكونات أوصافها وطبائعها وخواصها وهم محبوسون فى سجن الوجود فهم معاونون بذلك

الأكبر مع كفار النفوس والهوى والشيطان والدنيا وابن السبيل المسافرون عن أوصاف الطبيعة وعالم البشرية السائرون الى الله على أقدام الشريعة والطريقة فريضة من الله أوجبها على ذمة كرمه كما قال ألا من طلبنى وجدنى والله عليم ببطالبه حكيم فى معاونتهم بعد الطلب كقوله من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ويقولون هو أذن رأوا محامده بنظر المذمة والعيب قل أذن خير لكم أى سامعيته خير لكم لان له مقام السامعية يسمع ما يوحى اليه يؤمن بالله عيانا ويؤمن للمؤمنين لان فوائد ايمانه تعود اليهم كما تعود الى نفسه ورحمة للذين آمنوا لانهم يهتدون بهداه والذين يؤذون رسول الله بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم يحذر المنافقون والحذر لا يغنى عن القدر ان نعف عن طائفة اظهارا للفضل والرأفة نعذب طائفة اظهارا للقهر والعزة ولكن اظهار اللطف بلا سبب واظهار القهر لا يكون الا بسبب انهم كانوا مجرمين وبعضهم من بعض لان أرواحهم كانت فى صف واحد فى الازل فعاملاتهم من نتائج خصوصيات أرواحهم نسوا الله ولو ذكروه قبل الاتيان بالمعاصى لم يفعلوا ما فعلوا ولو ذكروه بعد الاتيان لاستغفروا فغفرانهم هى حسبهم لانها نصيبهم فى الازل كانوا أشد منكم قوة بالاستعداد الفطرى وضيعوها فى الاستمتاع العاجل

عن عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس قوله كالذين من قبلكم الآية قال قال ابن عباس ما أشبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هؤلاء بنو اسرائيل شبهنا بهم لا أعلم الا أنه قال والذى نفسى بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه قال ابن جريج وأخبرنى زياد ابن سعد عن محمد بن زيد بن مهاجر عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا ومن هم يا رسول الله أهل الكتاب قال فمن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال أبو سعيد الخدرى انه قال فمن حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فاستمتعوا بخلاقهم قال بدينهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حذركم أن تحدثوا فى الاسلام حدثا وقد علم أنه سيفعل ذلك أقوام من هذه الامة فقال الله فى ذلك فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا وانما حسبوا أن لا يقع بهم من الفتنة ما وقع ببنى اسرائيل قبلهم وان الفتنة عائدة كما بدت وأما قوله أولئك حبطت أعمالهم فان معناه هؤلاء الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب وفعلوا فى ذلك فعل الهالكين من الامم قبلهم حبطت أعمالهم يقول ذهبت أعمالهم باطلا فلا ثواب لها الا النار لانها كانت فيما يسخط الله ويكرهه وأولئك هم الخاسرون يقول وأولئك هم المغبونون صفقتهم ببيعهم نعيم الآخرة بخلاقهم من الدنيا اليسير الزهيد ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين يسرون الكفر بالله وينهون عن الايمان به وبرسوله نبأ الذين من قبلهم يقول خبر الامم الذين كانوا من قبلهم حين عصوا رسلنا وخالفوا أمرنا ماذا حل بهم من عقوبتنا ثم بين جل ثناؤه من أولئك الامم التى قال لهؤلاء المنافقين ألم يأتهم نبؤهم فقال قوم نوح ولذلك خفض القوم لانه ترجم بهم عن الذين والذين فى موضع خفض ومعنى الكلام ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر قوم نوح وصنيعى بهم اذ كذبوا رسولى نوحا وخالفوا أمرى ألم أغرقهم بالطوفان وعاد يقول وخبر عاد اذ عصوا رسولى هودا ألم أهلكهم بريح صرصر عاتية وخبر ثمود اذ عصوا رسولى صالحا ألم أهلكهم بالرجفة فاتركهم بافنيتهم خمودا وخبر قوم ابراهيم اذ عصوه وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من الحق ألم أسلبهم النعمة وأهلك ملكهم نمرود وخبر أصحاب مدين بن ابراهيم ألم أهلكهم بعذاب يوم الظلة اذ كذبوا رسولى شعيبا وخبر المنقلبة بهم أرضهم فصار أعلاها أسفلها اذ عصوا رسولى لوطا وكذبوا ما جاءهم به من عندى من الحق يقول تعالى ذكره أفأمن هؤلاء المنافقون الذين يستهزؤن بالله وبآياته ورسوله أن يسلك بهم فى الانتقام منهم وتعجيل الخزى والنكال لهم فى الدنيا سبيل أسلافهم من الامم ويحل بهم بتكذيبهم رسولى محمدا صلى الله عليه وسلم ما حل بهم فى تكذيبهم رسلنا اذ أتتهم بالبينات * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر

﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله

المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم
يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا
بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله (١٢٣) فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم
الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة ومالهم في الارض من ولي ولا نصير
* ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من
الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا
به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم
نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما
أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا
يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم
ونجواهم وأن الله علام الغيوب
الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين
في الصدقات والذين لا يجدون الا
جهدهم فيسخرون منهم سخر الله
منهم ولهم عذاب أليم ۞ القرا آت
والمؤتفكات وبابه بغير همز أبو عمرو
غير شجاع وورش ويزيد والحلواني
عن قالون والاعشى وحمزة في الوقف
۞ الوقوف والمؤتفكات ط بالبينات
ج لابتداء النفي مع فاء التعقيب
يظلمون ○ أولياء بعض م
لما مر ورسوله ط سيرحمهم
الله ط حكيم ○ عدن ط
أكبر ط العظيم ○ واغلظ عليهم
ط جهنم ط المصير ○ ما قالوا
ط لم ينالوا ج من فضله ط
خيرا لهم ج والآخرة ج ولا
نصير ○ من الصالحين ○ معرضون
○ يكذبون ○ علام الغيوب
○ ج لاحتمال النصب أو الرفع
على الذم وكونه بدلا من الضمير في
نجواهم فيسخرون منهم ط
سخر الله منهم ط لاتمام الجزاء
مع اختلاف النظم أليم ○

عن قتادة والمؤتفكات قال قوم لوط انقلبت بهم أرضهم فجعل عاليها سافلها **حدثنا** بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والمؤتفكات قال هم قوم لوط فان قال قائل فان
كان عنى بالمؤتفكات قوم لوط فكيف قيل المؤتفكات فجمعت ولم توحد قيل انها كانت قريات
ثلاثا فجمعت لذلك ولذلك جمعت بالتاء على قول الله والمؤتفكة أهوى فان قال وكيف قيل أتتهم
رسلهم بالبينات وانما كان المرسل اليهم واحدا قيل معنى ذلك أتى كل قرية من المؤتفكات رسول
يدعوهم الى الله فتكون رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم اليهم للدعاء الى الله عن رسالته
رسلا اليهم كما قالت العرب لقوم نسبوا الى أبي فديك الخارجي الفديكات وأبو فديك واحد ولكن
أصحابه لما نسبوا اليه وهو رئيسهم دعوا بذلك ونسبوا الى رئيسهم فكذلك قوله أتتهم رسلهم بالبينات
وقد يحتمل أن يقال معنى ذلك أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الامم الذين ذكرهم الله في هذه الآية
رسلهم من الله بالبينات وقوله فما كان الله ليظلمهم يقول جل ثناؤه فما أهلك الله هذه الامم التي ذكر
أنه أهلكها الا باجرامها وظلمها أنفسها واستحقاقها من الله عظيم العقاب لا ظلما من الله لهم ولا
وضعا منه جل ثناؤه عقوبة في غير من هو لها أهل لأن الله حكيم لا خلل في تدبيره ولا خطأ في تقديره
ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله حتى أسخطوا على ربهم
فحقت عليهم كلمة العذاب فعذبوا ۞ القول في تأويل قوله ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون
الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم﴾ يقول تعالى ذكره وأما المؤمنون والمؤمنات
وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه فان صفتهم أن بعضهم أنصار بعض وأعوانهم يأمرون
بالمعروف يقول يأمرون الناس بالايمان بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله ويقيمون الصلاة يقول
ويؤدون الصلاة المفروضة ويؤتون الزكاة يقول ويعطون الزكاة المفروضة أهلها ويطيعون الله
ورسوله فيأتمرون لامر الله ورسوله وينتهون عما نهياهم عنه أولئك سيرحمهم الله يقول هؤلاء الذين
هذه صفتهم الذين سيرحمهم الله فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته لا أهل النفاق والتكذيب بالله
ورسوله الناهون عن المعروف الآمرون بالمنكر القابضون أيديهم عن أداء حق الله من أموالهم ان
الله عزيز حكيم يقول ان الله ذو عزة في انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيته وكفر به لا يمنعه من
الانتقام منه مانع ولا ينصره منه ناصر حكيم في انتقامه منهم وفي جميع أفعاله * وبنحو الذي قلنا
في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن
أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية قال كل ما ذكره الله في القرآن من الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر فالامر بالمعروف دعاء من الشرك الى الاسلام والنهي عن المنكر
النهي عن عبادة الاوثان والشياطين * قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن
عباس قوله يقيمون الصلاة قال الصلوات الخمس ۞ القول في تأويل قوله ﴿وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان
من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله
وأقروا به وبما جاء به من عند الله من الرجال والنساء جنات تجري من تحتها الانهار يقول بساتين

۞ التفسير لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين في تكذيب الانبياء والاشتغال بالنعيم الزائل بين ان أولئك الكفار من هم فذكر
ست طوائف سمع العزيز أخبارهم لأن بلادهم وهي الشام قريبة من بلادهم وقد بقيت آثارهم مشاهدة ولهذا صدر الكلام بحرف
الاستفهام للتقرير فأولهم قوم نوح وقد أهلكوا بالاغراق وثانيهم قوم عاد وأهلكوا بالريح العقيم وثالثهم ثمود وأخذوا بالصيحة

ورابعهم قوم ابراهيم سلط الله عليهم البعوض وكفى شر ملكهم وهو نمرود بعوضة واحدة سلطها على دماغه وخامسهم أصحاب مدين قوم شعيب أخذتهم الرجفة وسادسهم أصحاب المؤتفكات قوم لوط أمطر الله عليهم الحجارة بعد أن جعل مدائنهم عاليها سافلها والائتفاك الانقلاب سميت مدائنهم بذلك لان الله تعالى قلبها عليهم ويمكن أن يراد بالمؤتفكات الناس لانقلاب أحوالهم من الخير الى الشر ثم قال (أنتهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات ولا بد بعد هذا من اضمار والتقدير فكذبوهم فاهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) قالت المعتزلة أى ما صح منه الظلم ولكنهم استحقوا ذلك بسبب كفرهم وقد مر الكلام فى أمثال ذلك ثم بين أن شأن المؤمنين فى الدنيا والآخرة بخلاف المنافقين فقال (والمؤمنون) الآية قال بعض العلماء انما قال ههنا أولياء بعض وهناك من بعض لان نفاق أتباع المنافقين حصل بسبب التقليد لاكابرهم وعقتضى الطبع والعادة بخلاف الموافقة بين المؤمنين فانها بسبب المشاركة فى الاستدلال والتوفيق والهداية وأقول كون بعض المنافقين من بعض يوجب اشتراكهم فى أمر من الامور بالجملة كالدار أو حكم من الاحكام الشرعية أو سيرة وطريقة وهذا هو المقصود ولكنه يحتمل أن يكون تكلفا أو بطريق النفاق لان سببه انعقاد غرض من الاغراض الدنيوية العاجلة فذكر الله تعالى اشتراكهم فى ذلك بلفظ من لمكان الاحتمال المذكور وأما تشارك المؤمنين فى السيرة فلما كان سببه الاخلاص والعصبية للدين والاجتماع على ما يفضى الى سعادة الدارين كانت الموالاة بينهم محققة فصرح الله تعالى بذلك ثم وصفهم باضداد صفات المنافقين فقال (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وهاتان الصفتان بالنسبة الى غيرهم ثم قال (ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) وهاتان لهم فى أنفسهم وهما يازاء قوله فى صفة المنافقين حدثنى ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ثم وصفهم بالطاعة على الاطلاق فقال (ويطيعون الله ورسوله) أى فى كل ما يأتون ويذرون ثم ذكر ما أعد لهم من الثواب على سبيل الاجمال فقال (أولئك سيرحمهم الله) والسين تفيد المبالغة فى انجاز الوعد بالرحمة

تجرى تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول لا يبغون فيها أبدا مقيمين لا يزول عنهم نعيمها ولا يبيد ومساكن طيبة يقول ومنازل يسكنونها طيبة وطيبها أنها فيما ذكرلنا كما حدثنا أبو كريب قال ثنا اسحق بن سليمن عن الحسن قال سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن آية فى كتاب الله تبارك وتعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر فى الجنة من لؤلؤة فيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال ثنا قرة ابن حبيب عن حسن بن فرقد عن الحسن عن عمران بن حصين وأبى هريرة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصر من لؤلؤة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام فى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله أجمع وأما قوله فى جنات عدن فانه يعنى بهذه المساكن الطيبة التى وصفها حل ثناؤه فى جنات عدن وفى من صلة مساكن وقيل جنات عدن لانها بساتين خلد واقامة لا يظعن منها أحد وقيل انما قيل لها جنات عدن لانها دار الله التى استخلصها لنفسه ولمن شاء من خلقه من قول العرب عدن فلان بأرض كذا اذا أقام بها وخلد بها ومنه المعدن ويقال هو فى معدن صدق يعنى به أنه فى أصل ثابت وقد أنشد بعض الرواة بيت الاعشى

وان تستضيفوا الى حكمه ✻ تضافوا الى راجح قد عدن

وينشد قد وزن ✻ وكالذى قلنا فى ذلك كان ابن عباس وجماعة معه فيما ذكر يتأولونه حدثنى اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس جنات عدن قال معدن الرجل الذى يكون فيه حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا الكندى سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة ابن عبيد عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يفتح الذكر فى ثلاث ساعات يبقين من الليل فى الساعة الاولى منهن ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينزل فى الساعة الثانية الى جنة عدن وهى داره التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهى مسكنه ولا يسكن معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء ثم يقول طوبى لمن دخلك وذكر فى الساعة الثالثة حدثنى موسى بن سهل قال ثنا آدم قال ثنا الليث بن سعد قال ثنا زياد بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعنى دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهى مسكنه ولا يسكنها معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله تبارك وتعالى طوبى لمن دخلك ✻ وقال آخرون معنى جنات عدن جنات أعناب وكروم ذكر من قال ذلك

كما يؤكد الوعيد به اذا قلت سأنتقم منك يوما يعني أنك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ثم ختم الآية بقوله (ان الله عزيز حكيم) وفيه ترهيب للمؤمنين وترهيب للكافرين لان العزيز هو من لا يمنع من مراده في عباده من رحمة أو عقوبة والحكيم هو الذي يدبر عباده على وفق ما يقتضيه العدل والصلاح ثم فصل ما أجمل من الرحمة بقوله (وعد الله المؤمنين) الآية وقد كثر كلام أصحاب الآثار في معنى جنات عدن فقال

حدثني أحمد بن أبي سريج الرازي قال ثنا زكريا بن عدي قال ثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث أن ابن عباس سأل كعبا عن جنات عدن فقال هي الكروم والاعناب بالسريانية * وقال آخرون هي اسم لبطنان الجنة ووسطها ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن سليمن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال عدن بطنان الجنة حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان وشعبة عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله في قوله جنات عدن قال بطنان الجنة قال ابن بشار في حديثه فقلت ما بطنانها وقال ابن المثنى في حديثه فقلت للاعمش ما بطنان الجنة قال وسطها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله ابن مرة وأبي الضحى عن مسروق عن عبد الله جنات عدن قال بطنان الجنة * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمن عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا أحمد بن أبي سريج قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى وعبد الله بن مرة عنهما جميعا أو عن أحدهما عن مسروق عن عبد الله جنات عدن قال بطنان الجنة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود في قول الله جنات عدن قال بطنان الجنة * وقال آخرون عدن اسم لقصر ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سعيد الكندي قال ثنا عبدة أبو غسان عن عون بن موسى الكناني عن الحسن قال جنات عدن وما أدراك ما جنات عدن قصر من ذهب لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل ورفع به صوته حدثنا أحمد بن أبي سريج قال ثنا عبد الله بن عاصم قال ثنا عون بن موسى قال سمعت الحسن ابن أبي الحسن يقول جنات عدن وما أدراك ما جنات عدن قصر من ذهب لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل رفع الحسن به صوته حدثنا أحمد قال ثنا يزيد قال أخبرنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قال ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والروحله خمسون ألف باب على كل باب حبرة لا يدخله الا نبي أو صديق حدثنا الحسن ابن يحيى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت يعقوب بن عاصم يحدث عن عبد الله بن عمرو أن في الجنة قصرا يقال له عدن له خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد * وقيل هي مدينة الجنة ذكر من قال ذلك حدثت عن عبد الرحمن المحاربي عن جويبر عن الضحاك في جنات عدن قال هي مدينة الجنة فيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعد والجنات حولها وقيل انه اسم نهر ذكر من قال ذلك حدثت عن المحاربي عن واصل بن السائب الرقاشي عن عطاء قال عدن نهر في الجنة حشاه الله حافتيه وأما قوله ورضوان من الله أكبر فان معناه ورضا الله عنهم أكبر من ذلك كله وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك

الحسن سألت عمران بن الحصين وأبا هريرة عن ذلك فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو قصر في الجنة من اللؤلؤ وفيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش زوجة من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة يعطى المؤمن من القوة ما يأتي على ذلك أجمع وعن ابن عباس انهار الله لم تر عاين ولم تخطر على قلب بشر وقال ابن مسعود جنات عدن بطنان الجنة أي وسطها قاله الازهري وبطنان الاودية المواضع التي يستقع فيها السيل واحدها بطن وقال عطاء عن ابن عباس هي قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى وسائر الجنات حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب الريح من تحت العرش فتدخل عليهم تحت ثياب السندس الابيض وقال عبد الله بن عمرو ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد وفي هذه الاخبار دلالة على أن عدنا علم ويؤيده قوله

جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب ولم يكن علما يوصف بالمعرفة ولا ريب أن أصله صفة من قولك عدن بالمكان اذا أقام به ومنه المعدن للمكان الذي تخلق فيه الجواهر وعلى هذا الجنات كلها جنات عدن الا أن يغلب الاسم على بعضها (ورضوان من الله) شيء يسير من رضاه (أكبر) من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وكرامة وكل خطب مع رضا المولى هين وكل نعيم مع سخطه منغص وفيه دليل على أن

السعادات الروحانية أعلى حالا وأشرف مآلا من السعادات الجسمانية بل لا نسبة لتلك اللذة والابتهاج الى هذه على أن الاعتراف بالسعادات الجسمانية واجب من حيث الشرع (ذلك) الموعود والرضوان (هو الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا في الحديث ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك

قالوا وأى شئ أفضل من ذلك قال أدخل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا ثم عاد مرة أخرى الى شرح أحوال المنافقين فقال (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) قال النحاك أى جاهد الكفار واغلظ على المنافقين لان المنافق لا يجوز مخاربته فى ظاهر الشرع وضعف بأن النسق يأباه وقيل المراد بهم ولاء المنافقين هم الذين عرفه الله حالهم فصاروا كسائر الكفرة بخارقتالهم وزيف بأنه وان علم حالهم بالوحى الا أنه مأمور بأن يحكم بالظاهر والقوم كانوا يظهرون الاسلام فكيف يجوز قتالهم والصحيح أن الجهاد بذل المجهود فى حصول المقصود وهو شامل للسيف واللسان فالمراد جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم فى الجهادين جميعا عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر فى وجهه فان لم يستطع فبقلبه بأن يكرهه ويبغضه ويتبرأ منه وجعل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا أسبابها واعترض عليه بأن اقامة الحدود واجبة على كل فاسق فلا يكون لهذا تعلق بالنفاق واعتذر عنه بأنه قال ذلك لان عنده ان كل فاسق منافق أو لان الغالب ممن يقام عليه الحد فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كونه منافقا

قال النحاك خرج المنافقون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك وكانوا اذا خلا بعضهم الى بعض سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وطعنوا فى الدين فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أهل النفاق ما هذا الذى بلغنى عنكم فحلفوا ما قالوا شيأ من ذلك فأنزل الله تعالى (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) وعن قتادة قوله

عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا يا رب وأى شئ أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا **حدثنا** ابن حميد قال ثنى يعقوب عن حفص عن شمر قال يجئ القرآن يوم القيامة فى صورة الرجل الشاحب الى الرجل حين ينشق عنه قبره فيقول أبشر بكرامة الله أبشر برضوان الله فيقول مثلك من يبشر بالخير ومن أنت فيقول أنا القرآن الذى كنت أسهر ليلك وأظمئ نهارك فيحمله على رقبته حتى يوافى به ربه فيمثل بين يديه فيقول يا رب عبدك هذا جزه عنى خيرا فقد كنت أسهر ليله وأظمئ نهاره وآمره فيطيعنى وأنهاه فيطيعنى فيقول الرب تبارك وتعالى فله حلة الكرامة فيقول أى رب زده فانه أهل ذلك فيقول فله رضوانى قال ورضوان من الله أكبر وابتدئ الخبر عن رضوان الله للمؤمنين والمؤمنات أنه أكبر من كل ماذكر جل ثناؤه فرفع وان كان الرضوان فيما قد وعدهم ولم يعطف به فى الاعراب على الجنات والمساكن الطيبة ليعلم بذلك تفضيل الله رضوانه عن المؤمنين على سائر ماقسم لهم من فضله واعطاهم من كرامته نظير قول القائل فى الكلام الآخر اعطيتك ووصلتك بكذا وأكرمتك ورضاى بعد عنك أفضل ذلك هذه الاشياء التى وعدت المؤمنين والمؤمنات هو الفوز العظيم يقول هو الظفر العظيم والنجاء الجسيم لانهم ظفروا بكرامة الأبد ونجوا من الهوان فى السقر فهو الفوز العظيم الذى لا شئ أعظم منه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) يقول تعالى ذكره يا أيها النبى جاهد الكفار بالسيف والسلاح والمنافقين واختلف أهل التأويل فى صفة الجهاد الذى أمر الله نبيه به فى المنافقين فقال بعضهم أمره بجهادهم باليد واللسان وبكل ما أطاق جهادهم به ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن ويحيى بن آدم عن حسن بن صالح عن على بن الاقمر عن عمرو بن جندب عن ابن مسعود فى قوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين قال بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر فى وجهه ۞ وقال آخرون بل أمره بجهادهم باللسان ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وأذهب الرفق عنهم **حدثنا** القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس جاهد الكفار والمنافقين قال الكفار بالقتال والمنافقين أن تغلظ عليهم بالكلام **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم يقول جاهد الكفار بالسيف واغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم ۞ وقال آخرون بل أمره باقامة الحدود عليهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن جاهد الكفار والمنافقين قال جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحدود أقم عليهم حدود الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله

أن رجلين اقتتلا رجل من جهينة و رجل من غفار فظهر الغفاري على الجهني فنادى عبد الله بن أبي يا بني الأوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فسعى بها رجل من المسلمين الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فحعل يحلف بالله ما قال فنزلت الآية (١٣٧) ومعنى قوله (وكفروا بعد اسلامهم) أنهم أظهروا الكفر بعد ما كانوا يظهرون الاسلام أما قوله (وهموا بما لم ينالوا) فهو القتل برسول الله صلى الله عليه وسلم عند مرجعه من تبوك وذلك أنه توافق خمسة عشر رجلا منهم على أن يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر أخذ بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل و بقعقعة السلاح فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا أعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر بن قيس لرده على الحلاس بن سويد وقد مر في تفسير قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نقموا) وما أنكروا وما عابوا (الا أن أغناهم) كقول القائل

* ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم *

وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فظفروا بالغنائم وجمعوا الاموال وروى أنه قتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفا فاستغنى ثم استعطف قلوبهم بعد صدور هذه الجنايات العظيمة عنهم فقال (فان يتوبوا يك) يعني ذلك الرجوع (خيرا لهم) وكان الجلاس

يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجاهد للكفار بالسيف و يغلظ على المنافقين في الحدود * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب ما قال ابن مسعود من أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين بنحو الذي أمره به من جهاد المشركين فان قال قائل فكيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم قيل ان الله تعالى ذكره انما أمر نبيه بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر ثم أقام على اظهاره ما أظهر من ذلك وأما من اذا اطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها أنكرها ورجع عنها وقال اني مسلم فان حكم الله في كل من أظهر الاسلام بلسانه أن يحقن بذلك له دمه وماله وان كان معتقدا غير ذلك وتولى كل هو جل ثناؤه بسرائرهم ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم مع علمه بهم واطلاع الله اياه على ضمائرهم واعتقاد صدورهم كان يقرهم بين أظهر الصحابة ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبه الحرب على الشرك بالله لان أحدهم كان اذا اطلع عليه انه قد قال قولا كفر فيه بالله ثم أخذ به أنكره وأظهر الاسلام بلسانه فلم يكن صلى الله عليه وسلم يأخذه الا بما أظهر له من قوله عند حضوره اياه وعزمه على امضاء الحكم فيه دون ما سلف من قول كان نطق به قبل ذلك ودون اعتقاد ضميره الذي لم يجز الله لاحد الأخذ به في الحكم وتولى الاخذ به هو دون خلقه وقوله واغلظ عليهم يقول تعالى ذكره واشدد عليهم بالجهاد والقتال والارعاب وقوله ومأواهم جهنم يقول ومساكنهم جهنم وهي مثواهم ومأواهم وبئس المصير يقول وبئس المكان الذي يصار اليه جهنم * القول في تأويل قوله ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة ومالهم في الارض من ولي ولا نصير﴾ اختلف أهل التأويل في الذي نزلت فيه هذه الآية والقول الذي كان قاله الذي أخبر الله عنه أنه يحلف بالله ما قاله فقال بعضهم الذي نزلت فيه هذه الآية الحلاس بن سويد بن الصامت وكان القول الذي قاله ما حدثنا به ابن وكيع قال ثنا معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر قال نزلت في الحلاس بن سويد بن الصامت قال ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن أشر من الحمير فقال له ابن امرأته والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فاني ان لا أفعل أخاف أن تصيبني قارعة وأؤاخذ بخطيئتك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الحلاس فقال يا حلاس أقلت كذا وكذا فحلف ما قال فأنزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ما جاءوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو معاوية الضرير عن هشام بن عروة عن أبيه قال نزلت هذه الآية يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم في الحلاس بن سويد بن الصامت أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الحلاس ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن أشر من حميرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب أما والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وخشيت أن ينزل في القرآن أو تصيبني قارعة أو أن أخطأ قلت

ومن تاب فحسنت توبته (وان يتولوا) يعرضوا عن التوبة (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا) بالقتل والسبي واغتنام الاموال وقيل بما ينالهم عند الموت ومعاينتهم لملائكة العذاب وقيل في القبر وأما عذاب الآخرة فمعلوم (ومالهم في الارض) يحتمل أرض الدنيا وأرض القيامة ثم بين أن هؤلاء كما ينافقون الرسول والمؤمنين فكذلك ينافقون ربهم فيما عاهدوه عليه فقال (ومنهم من عاهد الله) روى عن أبي امامة الباهلي

أن ثعلبة بن حاطب الانصاري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم قال مرة أخرى فقال أما ترضى أن تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال فضة وذهبا لسارت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقني مالا لأوتين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك سائرها ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهي تنمو نموا الدود حتى ترك الجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر خبره فقال يا ويح ثعلبة ثلاثا وأنزل الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية ما أدري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا وأخبرا السلمي فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما رأوها قالوا ما يجب هذا عليك وما نريد أن نأخذ هذا منك قال بلى خذوه فان نفسي بها طيبة فأخذوه منه ثم رجعا على ثعلبة فقال أروني كتابكما ثم قال ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة ثم نزلت الآية وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فخرج اليه وقال يا ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله قد منعني ان أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى أن يقبل أنت

يا رسول أقبلت أنا والجلاس من تبوك فقال كذا وكذا ولولا مخافة أن أؤاخذ بحطيئته أو تصيبني فارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له يا جلاس أقلت الذي قال فحلف فأنزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم الآية

حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذي قال تلك المقالة فيما بلغني الجلاس ابن سويد بن الصامت فرفعها عنه رجل كان في حجره يقال له عمير بن سعيد فانكر فحلف بالله ما قالها فلما نزل فيه القرآن تاب ونزع وحسنت توبته فيما بلغني

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كلمة الكفر قال أحدهم لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فقال له رجل من المؤمنين ان ما قال لحق ولأنت شر من حمار قال فهم المنافقون بقتله فذلك قوله وهموا بما لم ينالوا

حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله

حدثني أيوب بن اسحق بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن رجاء قال ثنا اسرائيل عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل شجرة فقال انه ستأتيكم انسان فينظر اليكم بعيني شيطان واذا جاء فلا تكلموه فلم يلبث أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فأنزل الله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الى آخر الآية * وقال آخرون بل نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول قالوا والكلمة التي قالها

ما حدثني به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يحلفون بالله ما قالوا الى قوله من ولي ولا نصير قال ذكر لنا أن رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الانصار وظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن أبي للاوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله فأنزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر

حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر قال نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذبا على كلمة كفر تكلموا بها أنهم لم يقولوها وجائز أن يكون ذلك القول ما روى عن عروة أن الجلاس قاله وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبي ابن سلول والقول ما ذكر قتادة عنه أنه قال ولا علم لنا بان ذلك من أي اذ كان لا خبر بأحد هما يوجب الحجة ويتوصل به الى يقين العلم به وليس مما يدرك علمه بفطرة العقل فالصواب ان يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وأما قوله وهموا بما لم ينالوا فان أهل التأويل اختلفوا في الذي كان هم بذلك (١) وما الشيء الذي كان هم به أفتل ابن امرأته الذي سمع منه ما قال وخشي ان يفشيه عليه ذكر من قال ذلك

حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال هم المنافق بقتله يعني قتل المؤمن الذي قال له

(١) في العبارة سقط ولعل الاصل فقال بعضهم كان الذي هم الجلاس بن سويد والشيء الذي كان هم به قتل ابن الخ أما

منه شيأ رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى أبا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعى من الانصار فاقبل صدقتى فقال لم يقبلها رسول الله وأنا أقبلها فقبض أبو بكر وأبى أن يقبلها ثم جاء بها الى عمر فى خلافته فلم يقبلها وكذا فى خلافة عثمان ولم يقبل صدقته واحد من الخلفاء اقتداء

أنت شر من الحمار فذلك قوله وهموا بما لم ينالوا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد به * وقال آخرون كان الذى هم رجلا من قريش والذى هم به قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شبل عن جابر عن مجاهد فى قوله وهموا بما لم ينالوا قال رجل من قريش هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له الاسود * وقال آخرون الذى هم عبد الله بن أبى ابن سلول وكان همه الذى لم ينله قوله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل من قول قتادة وقد ذكرناه وقوله وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ذكر لنا أن المنافق الذى ذكر الله عنه أنه قال كلمة الكفر كان فقيرا فأغناه الله بأن قتل له مولى فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ديته فلما قال ما قال قال الله تعالى وما نقموا منه الا أن كفروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن هشام ابن عروة عن أبيه وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله وكان الجلاس قتل له مولى له فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى فذلك قوله وما نقموا الا ان أغناهم الله ورسوله من فضله * قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال قضى النبى صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفا فى مولى لبنى عدى بن كعب وفيه أنزلت هذه الآية وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال كانت لعبد الله بن أبى دية فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن الزبير عن سفيان قال ثنا عمرو قال سمعت عكرمة قال مولى لبنى عدى بن كعب قتل رجلا من الانصار فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية اثنى عشر ألفا وفيه أنزلت وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال عمرو لم أسمع هذا عن النبى صلى الله عليه وسلم الا من عكرمة يعنى الدية اثنى عشر ألفا حدثنا صالح بن مسمار قال ثنا محمد بن سنان العوقى قال ثنا محمد بن مسلم الطائفى عن عمرو بن دينار عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثنى عشر ألفا فذلك قوله وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال يأخذ الدية وأما قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم يقول تعالى ذكره فان يتب هؤلاء القائلون كلمة الكفر من قيلهم الذى قالوه فرجعوا عنه يك رجوعهم وتوبتهم من ذلك خيرا لهم من النفاق وان يتولوا يقول وان يدبروا عن التوبة فيأبوها ويصروا على كفرهم يعذبهم الله عذابا أليما يقول يعذبهم عذابا موجعا فى الدنيا اما بالقتل واما بعاجل خزى لهم فيها ويعذبهم فى الآخرة بالنار وقوله وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير يقول وما لهؤلاء المنافقين ان عذبهم الله فى عاجل الدنيا من ولى يواليه على منعه من عقاب الله ولا نصير ينصره من الله فينقذه من عقابه وقد كانوا أهل عز ومنعة بعشائرهم وقومهم يمتنعون بهم ممن أرادهم بسوء فأخبر جل ثناؤه أن الذين كانوا يمنعونهم ممن أرادهم بسوء من عشائرهم وحلفائهم لا يمنعونهم من الله ولا ينصرونهم منه ان احتاجوا الى نصرهم وذكر أن الذى نزلت فيه هذه الآية تاب مما كان عليه من النفاق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول وما ذا الا بشؤم اللجاج أولا وآخرا قال بعض العلماء المعاهدة أعم من أن تكون باللسان أو بالقلب وقال المحققون انه لا بد من التلفظ بها لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عفا عن أمتى ما حدثت به نفوسهم ولم يتلفظوا به ولان قوله عز من قائل ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ظاهره مشعر بالقول اللسانى والمراد بالفضل ايتاء المال بطريق التجارة أو الاستغنام ونحوهما وأصل لنصدقن لنتصدقن أدغمت التاء فى الصاد والمصدق المعطى لا السائل كقوله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين ومعنى قوله (ولنكونن من الصالحين) عن ابن عباس أنه أراد الحج ولعل المراد اخراج كل ما يجب اخراجه اذ لا دليل على التعميم وصفهم بصفات ثلاث فقال (فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون) فالبخل عبارة عن منع الحق الشرعى والتولى نقض العهد والاعراض أراد به الاحجام عن تكاليف الله وأن ذلك منهم عادة معتادة ولترتب هذا الذم على منع الصدقة ولاطلاق لفظة البخل عليه وهو فى عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ذكر العلماء ان الصدقة الملتزمة فى قوله لنصدقن هى الصدقة الواجبة وأن الرجل قد عاهد ربه أن يقوم بما يلزمه من الانفاقات الواجبة ان وسع الله عليه دون ما يلتزمه الانسان بالنذر من المندوبات اذ لا دليل فى الآية على ذلك نعم ان سبب النزول يأباه فان قيل الزكاة لا تلزم بسبب الالتزام وانما تلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول قلنا ان قوله لنصدقن لا دليل فيه على الفور بل المراد لنصدقن فى وقته الذى يلتزمه وفى الآية دلالة على ان الرجل حين عاهد بهذا العهد كان مسلما

ثم انه لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا ويؤكده قوله سبحانه (فأعقبهم نفاقا) عن الحسن وقتادة ان أعقب مسند الى ضمير البخل أى أورثهم البخل نفاقا مستمكنا فى قلوبهم لانه كان سببا سابقا عليه وباعثا عليه وكذا التأويل ان جعل عائدا الى التولى أو الاعراض وضعف بان حاصل هذه الامور كونه تاركا لاداء الواجب وذلك لا يمكن جعله مؤثرا فى حصول النفاق فى القلب لان ترك الواجب عدم والنفاق جهل وكفر وهو أمر وجودى والعدم لا يؤثر فى الوجود ولان هذا الترك قد يوجد فى حق كثير من الفساق مع انه لا يحصل معه النفاق ولانه لو أوجب حصول الكفر فى القلب لاوجبه سواء كان الترك جائزا شرعا أو محرما فسبب اختلافات الاحكام الشرعية لا يخرج السبب عن كونه مؤثرا ولان البخل أو التولى أو الاعراض هو بعينه خلاف ما وعدوا الله به فيصير تقدير الآية ان التولى أوجب النفاق بسبب التولى وهذا كلام كما ترى فلم يبق الا أن يسند الفعل الى الله تعالى فيكون فيه دليل على أن خالق الكفر فى القلوب هو الله ومن هنا قال الزجاج معناه انهم لما ضاهوا فى الماضى فالله تعالى يضلهم عن الدين فى المستقبل ومما يؤكد القول بان الضمير فى أعقبهم الله أن الضمير فى قوله (الى يوم يلقونه) عائد الى الله وللمعتزلة أن يقولوا النفاق وان سلم انه وجودى لكنه أمر شرعى ولا يبعد جعل شئ عدمى أمارة عليه وأيضا الترك المقرون بالتولى والاعراض لا نسلم أنه لا يحصل معه النفاق ولا يلزم من كون الترك المحرم موجبا للكفر بحكم الشارع كون الترك الجائز كذلك ولا نسلم أن البخل هو بعينه اخلاف الوعد والكذب بل قد يقع البخل من غير سبق وعد سلمنا عود الضمير الى الله لكن من أين يلزم كونه خالقا للكفر والنفاق ولم لا يجوز أن يراد فأعقبهم الله العقوبة على النفاق باحداث العم فى قلوبهم وضيق الصدر وما ينالهم من الذل والخوف أو يراد فخذلهم حتى نافقوا وتمكن فى قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى أن يموتوا ولاهل السنة أن يقولوا هذا عدول عن الظاهر مع أن الدلائل الدالة على وجوب انتهاء الكل الى مشيئة الله وتقديره تعضد ما قلناه قال العلماء ظاهر الآية يدل

فان يتوبوا يك خيرا لهم قال قال الجلاس قد استثنى الله لى التوبة فانا أتوب فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه فان يتوبوا يك خيرا لهم الآية فقال الجلاس يا رسول الله انى أرى الله قد استثنى لى التوبة فانا أتوب فتاب فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم من عاهد الله يقول أعطى الله عهد الئن آتانا من فضله يقول ان أعطانا الله من فضله ورزقنا مالا ووسع علينا من عنده لنصدقن يقول لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذى رزقنا ربنا ولنكونن من الصالحين يقول ولنعملن فيها بعمل أهل الصلاح بأموالهم من صلة الرحم به وانفاقه فى سبيل الله يقول الله تبارك وتعالى فلما فرزقهم الله وآتاهم من فضله فلما آتاهم الله من فضله بخلوا به بفضل الله الذى آتاهم فلم يصدقوا منه ولم يصلوا منه قرابة ولم ينفقوا منه فى حق الله وتولوا يقول وأدبروا عن عهدهم الذى عاهدوه الله وهم معرضون عنه فأعقبهم الله نفاقا فى قلوبهم بمخلهم بحق الله الذى فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله واخلافهم الوعد الذى وعدوا الله ونقضهم عهده فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه ومن الصدقة والنفقة فى سبيله وبما كانوا يكذبون فى قيلهم وحرمهم التوبة منه لانه جل ثناؤه اشترط فى نفاقهم أنه أعقبهموه الى يوم يلقونه وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا * واختلف أهل التأويل فى المعنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها رجل يقال له ثعلبة بن حاطب من الانصار ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآية وذلك أن رجلا يقال له ثعلبة بن حاطب من الانصار أتى مجلسا فاشهدهم فقال لئن آتانى الله من فضله آتيت منه كل ذى حق حقه وتصدقت منه ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فآتاه من فضله فأخلف الله ما وعده وأغضب الله بما أخلف ما وعده فقص الله شأنه فى القرآن ومنهم من عاهد الله الآية الى قوله يكذبون حدثنى المثنى قال ثنا هشام بن عمار قال ثنا محمد بن شعيب قال ثنا معاذ بن رفاعة السلمى عن أبى عبد الملك على بن يزيد الالهانى أنه أخبره عن القاسم ابن عبد الرحمن انه أخبره عن أبى امامة الباهلى عن ثعلبة بن حاطب الانصارى أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال ثم قال مرة أخرى فقال أما ترضى أن تكون مثل نبى الله فوالذى نفسى بيده لو شئت أن تسير معى الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان

على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فعلى المسلم ان يبالغ في الاحتراز عنه ومذهب الحسن البصري أن نقض العهد يوجب النفاق لاستحالة تمسكا بهذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان وقال عطاء عن أبي رباح حدثني جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذكر قوله ثلاث من كن فيه فهو منافق في المنافقين خاصة الذين حدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوه واؤتمنوا على سره فخانوه ووعدوه أن يخرجوا معه الى الغزو فاخلفوه ونقل ان عمرو بن عبيد فسر الحديث فقال اذا حدث عن الله كذب عليه وعلى دينه ورسوله واذا وعد أخلف كأن كره الله فيمن عاهده واذا أؤتمن على دين الله خان في السر وكان قلبه على خلاف لسانه ونقل ان واصل بن عطاء أرسل الى الحسن رجلا فقال ان أولاد يعقوب حدثوه في قولهم فأكله الذئب فكذبوا ووعدوه في قولهم وانا له لحافظون فاخلفوا وأتهموا أبوهم على يوسف فخانوه فهل تحكم بكونهم منافقين فتوقف الحسن في مذهبه قال أهل التفسير قوله (الى يوم يلقونه) دل على أن ذلك المعاهد عوت على ذلك وكان كما أخبر فيكون اخبارا بالغيب ومعجزا قال الجبائي هذا اللقاء لا شك أنه ليس بمعنى الرؤية لان الكفار لا يرونه بالاتفاق فدل على ان اللقاء في القرآن ليس بمعنى الرؤية وضعف بانه لا يلزم من عدم كون هذا اللقاء بمعنى الرؤية كون كل لقاء ورد في القرآن كذلك كقوله الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ثم ونحن نحمل على التجاهل أو عدم العلم بعلم الله واحاطته بضمائرهم وتناجيهم فقال (ألم يعلموا) الآية والسر

يوم الجمعة يسألهم عن الاخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله خذ من أموالهم صدقة الآية ونزلت عليه فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما ففعلا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية ما أدري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد أن نأخذ هذا منك قال بلى فخذوه فان نفسي بذلك طيبة وانما هي لي فأخذوها منه فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلمه وادعا للسلمي بالبركة فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي فأنزل الله تبارك وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثي على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى ان يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى أبا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبضها فلما ولي عمر أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر وأنا لا أقبلها منك فقبض ولم يقبلها ثم ولي عثمان رحمة الله عليه فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهم وأنا لا أقبلها منك فلم يقبلها منه وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رحمة الله عليه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآية ذكر لنا أن رجلا من الانصار أتى على مجلس من الانصار فقال لئن آتاه الله مالا ليؤدين الى كل ذي حق حقه فأتاه الله مالا فمنع فيه ما تسمعون قال فلما آتاهم من فضله بخلوا به الى قوله وبما كانوا يكذبون ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدث أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء بالتوراة الى بني اسرائيل قالت بنو اسرائيل ان التوراة كثيرة وانا لا نفرغ لها فسل لنا ربك جماعا من الامر نحافظ عليه ونتفرغ فيه لعلنا يشتنا قال يا قوم مهلا مهلا هذا كتاب الله ونور الله وعصمة الله قال فأعادوا عليه فأعاد عليهم قالها ثلاثا قال فأوحى الله الى موسى ما يقول عبادي قال يا رب يقولون كيت وكيت قال فاني آمرهم بثلاث ان حافظوا عليهن دخلوا بهن الجنة أن ينتهوا الى قسمة الميراث فلا يظلموا

ما ينطوي عليه الصدر والنجوى ما يكون بين اثنين وأكثر مع الاخفاء عن غيرهم والتركيب يدل على التخليص كما مر في الانجاء كأن المتناجيين يتخلصان عن غيرهما ومنه خلصوا نجيا ومعنى الآية كيف تجرؤن على النفاق الذي الاصل فيه الاستسرار والتناجي فيما بينهم مع أنه تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر ويعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر لأنهم العالم بجميع المعلومات على أي وجه يفرض

عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحثهم على أن يجمعوا الصدقات فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال يارسول الله مالى ثمانية آلاف جئتك بنصفها فاجعلها فى سبيل الله وأمسكت نصفها لعيالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله فى مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وقيل صولحت احداهما على ثمانين ألفا وتصدق يومئذ عاصم بن عدى العجلانى بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصارى بصاع من تمر وقال أجرت الليلة الماضية نفسى من رجل لارسال الماء الى نخله فاخذت صاعين من تمر أمسكت أحدهما لعيالى وأقرضت الآخر لربى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه فى الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وسمعة وأما أبو عقيل فانه جاء بصاعه ليذكر مع سائر الا كابر والله غنى عن صاعه فأنزل الله سبحانه (الذين يلمزون المطوعين) أى المتطوعين فادغمت والتطوع التنفل وهو الطاعة لله مما ليس بواجب والجهد بالضم والفتح شئ قليل يعيش به المقل قاله الليث وقال الفراء الضم لغة أهل الحجاز والفتح لغيرهم وفرق ابن السكيت بينهما فقال الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقال الشعبى الاول فى العمل والثانى فى القوة (سخر الله منهم) خبر لادعاء كقوله الله يستهزئ بهم وقد عرفت ان هذا من قبيل المشاكلة أو المراد منه لازم السخرية وهو ايقاع الذل والهوان بهم وقال الاصم المراد أنه تعالى يكافئهم انفاق المال مع انه لا يثيبهم عليه وانما توجه الذم على المنافقين فى هذا اللمز لان الحكم بالرياء لمن يعطى الكثير كعبد الرحمن بن عوف وعاصم حكم على بواطن الامور وذلك أمر استأثر الله به ورسوله فذكر

فيها ولا يدخلوا أبصارهم البيوت حتى يؤذن لهم وأن لا يطعموا طعاما حتى يتوضؤا وضوء الصلاة قال فرجع بهن نبى الله صلى الله عليه وسلم الى قومه ففرحوا وراعهم أنهم سيقومون بهن قال فوالله ما لبث القوم الا قليلا حتى جنحوا وانقطع بهم فلما حدث نبى الله بهذا الحديث عن بنى اسرائيل قال تكفلوا لى بست أتكفل لكم بالجنة قالوا ما هن يارسول الله قال اذا حدثتم فلا تكذبوا واذا وعدتم فلا تخلفوا واذا أؤتمنتم فلا تخونوا واغضوا أبصاركم وأيديكم وفروجكم أبصاركم عن الخيانة وأيديكم عن السرقة وفروجكم عن الزنا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول ثلاث من كن فيه صار منافقا وان صام وصلى وزعم أنه مسلم اذا حدث كذب واذا أؤتمن خان واذا وعد أخلف * وقال آخرون بل المعنى بذلك رجلان أحدهما ثعلبة والآخر معتب بن قشير ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى الآخر وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير هما من بنى عمرو بن عوف **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله قال رجلان خرجا على ملا قعود فقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن فلما رزقهم الله بخلوا به **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله رجلان خرجا على ملا قعود فقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن فلما رزقهم بخلوا به فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فلم يفعلوا **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية قال هؤلاء صنف من المنافقين فلما آتاهم ذلك بخلوا به فلما بخلوا بذلك أعقبهم بذلك نفاقا الى يوم يلقونه ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ولا عفو كما أصاب ابليس حين منعه التوبة * قال أبو جعفر فى هذه الآية الابانة من الله جل ثناؤه عن علامة أهل النفاق أعنى فى قوله فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وبنحو هذا القول كان يقول جماعة من الصحابة والتابعين ووردت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر بعض من قال ذلك **حدثنا** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله اعتبروا المنافق بثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر وأنزل الله تصديق ذلك فى كتابه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى قوله يكذبون **حدثنى** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن صبيح بن عبد الله بن عميرة عن عبد الله بن عمر قال ثلاث من كن فيه كان منافقا اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان قال وتلا هذه الآية ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى آخر الآية **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت صبيح بن عبد الله القيسى يقول سألت عبد الله بن عمرو عن المنافق

وأيضا المرء الفقير على جهد المقل سفه لانه لما لم يقدر الا على هذا القدر فقد بذل كل ماله فعلم منه غالبا أنه ان قدر على أكثر من ذلك لم يكن منه منع وسعى الانسان فى أن يضم نفسه الى أهل الخير والدين خير له من أن يضم نفسه الى أهل الكسل والبطالة ولو لم تكن فيه الا الثقة بالله والتوكل

فى زمرة من يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة لكفى به منقبة وفضلا ﴿ التأويل بعضهم أولياء بعض لان التعارف فى عالم الارواح يوجب التآلف فى عالم الاشباح يأمرون بالمعروف الحقيقى أى بطلبه والمطلوب هو الله لقوله فأحببت أن أعرف وينهون عن المنكر وهو ما يقطع العبد عن الله ويقيمون الصلاة الحقيقية ويؤتون الزكاة يعنى ما فضل عن كفافهم الضرورى ويطيعون الله ورسوله بخلاف المنافقين فانهم يطيعون النفس والهوى وما كمن طيبة على مراتب النفوس الطيبة فان الطيبات للطيبين يا أيها النبى يعنى القلب الذى له نبأ من مقام الانباء جاهد النفوس الكافرة بسيف الصدق والمخالفات وجاهد نفوس المريدين الذين يدعون الارادة فى الظاهر دون الباطن واغلظ عليهم فى المؤاخذات باحكام الشريعة والطريقة حتى تقرن نفوسهم والا فاواهم جهنم القطيعة ولقد قالوا كلمة الكفر وهى التى توجب الانكار والاعتراض على الشيخ وهموا بما لم ينالوا أى أثبتوا الانفسهم مرتبة الشيخوخة قبل أوانها ومانقموا الا أن الشيخ زاهم بلسان فضل الله عن حملة الولاية فلم يحتملوا الضيق حوصلة النهمة ومريد الطريقة أعظم من مريد الشريعة فلهذا يكون عذابه ألما فى الدنيا والآخرة كما قال الجنيد لو أقبل صديق الى الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فان ما فاته أكثر مما نال ومنهم من عاهد الله باستعداده الفطرى لئن آتانا من فضله جعلنا متمكنين من اكتساب الكمال لنصدقن ولنصرفن كل ما أعطانا فيما أعطى لاجله الى يوم يلقونه أى يلقون جزاء النفاق وأن الله علام الغيوب يعلم ما توسوس به أنفسهم وهو غيب عن الخلق ويعلم ما يستكن فى قلوبهم وهو غيب فى نفوسهم ولهذا قال الغيوب، سخر الله منهم ذكره بلفظ الماضى ليعلم ان سخرية المنافقين نتيجة سخرية الله بهم فى الازل ﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا

فذ كرنحوه **حدثنى** محمد بن معمر قال ثنا أبو هشام المخزومى قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا عثمان بن حكيم قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول كنت أسمع أن المنافق يعرف بثلاث بالكذب والاخلاف والخيانة والتمستها فى كتاب الله زمانا فلا أجدها ثم وجدتها فى آيتين من كتاب الله قوله ومنهم من عاهد الله حتى بلغ وبما كانوا يكذبون وقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض هذه الآية **حدثنى** القاسم بن بشر بن معروف قال ثنا أسامة قال ثنا محمد المخزمى قال سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم أنه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان فقلت للحسن يا أبا سعيد لئن كان رجل على دين فلقينى فتقاضانى وليس عندى وخفت أن يحبسنى وهلكنى فوعدته أن أقضيه رأس الهلال فلم أفعل أمنافق أنا قال هكذا جاء الحديث ثم حدث عن عبد الله ابن عمرو أنه لما حضره الموت قال زوجوا فلانا فانى أعدته أن أزوجه لا ألقى الله بثلث النفاق قال قلت يا أبا سعيد ويكون ثلث الرجل منافقا وثلثاه مؤمن قال هكذا جاء الحديث قال فحججت فلقيت عطاء بن أبى رباح فأخبرته الحديث الذى سمعته من الحسن وبالذى قلت له وقال لى فقال أعجزت أن تقول له أخبرنى عن اخوة يوسف عليه السلام ألم يعدوا أباهم فأخلفوه وحدثوه فكذبوه وأتمنهم فخانوه أمنافقين كانوا ألم يكونوا أنبياء أبوهم نبى وجدهم نبى قال فقلت لعطاء يا أبا محمد حدثنى بأصل النفاق وبأصل هذا الحديث فقال حدثنى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قال هذا الحديث فى المنافقين خاصة الذين حدثوا النبى فكذبوه وأتمنهم على سره فخانوه ووعدوه أن يخرجوا معه فى الغزو فأخلفوه قال وخرج أبو سفيان من مكة فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أبا سفيان فى مكان كذا وكذا فانهضوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين الى ان محمدا يريد كم فخذوا حذركم فأنزل الله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون وأنزل فى المنافقين ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون واذا لقيت الحسن فاقرئه السلام وأخبره بأصل هذا الحديث وبما قال لك فقال فقدمت على الحسن فقلت يا أبا سعيد ان أخاك عطاء يقرئك السلام فأخبرته بالحديث الذى حدث وما قال لى فأخذ الحسن بيدى فاماله وقال يا أهل العراق أعجزتم أن تكونوا مثل هذا سمع منى حديثا فلم يقبله حتى استنبط أصله صدق عطاء هكذا الحديث وهذا فى المنافقين خاصة **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يعقوب عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وان صلى وصام وزعم أنه مسلم فهو منافق فقيل له ما هى يا رسول الله فقال النبى عليه السلام اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ثنا ميسرة عن الاوزاعى عن هرون بن رياب عن عبد الله بن عمرو بن وائل أنه لما حضرته الوفاة قال ان فلانا خطب الى ابنتى وانى كنت قلت له فيها قولا شبيها بالعدة والله لا ألقى الله بثلث النفاق وأشهدكم انى قد زوجته * وقال قوم كان العهد الذى عاهد الله هؤلاء المنافقون شيأ نووه فى أنفسهم ولم يتكلموا به

يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ۞ القراآت نهى أبدا بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص والمفضل معي عدوا بالفتح حفص فقط ۞ الوقوف أولا تستغفر لهم ط فلن يغفر الله لهم ط ورسوله ط الفاسقين ○ في الحر ط حرا م لأن المعنى لو كانوا يفقهون حرارة النار لما قالوا لا تنفروا في الحر ولو وصل لأوهم ان جهنم لا يكون نارها أشد حرا اذا لم يفقهوا ذلك يفقهون ○ كثيرا ج لان جزاء يصلح أن يكون مفعولا له أو مصدر محذوف أي يجزون جزاء يكسبون ○ معي عدوا ط الخالفين ○ على قبره ط فاسقون ○ وأولادهم ط كافرون ○ القاعدين ○ لا يفقهون ○ وأنفسهم ط الخيرات ز لابتداء وعد الفلاح على التعظيم بدليل تكرار أولئك مع اتفاق الجملتين المفلحون ○ خالدين فيها ط العظيم ○ ۞ التفسير عن ابن عباس ان عند نزول الآية الاولى في المنافقين قالوا يا رسول الله استغفر لنا فاشتغل بالاستغفار لهم فنزل استغفر لهم الآية ومن المفسرين من قال انهم لما طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم وان الله نهاه عنه والنهي عن الشيء لا يدل على ان المنهي أقدم على ذلك الفعل ثم ان الدليل قد دل على انه ما اشتغل بالاستغفار لان المنافق كافر وقد ظهر في شرعان الاستغفار للكافر غير جائز ولان الاستغفار

ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال سمعت معتمر بن سليمن التيمي يقول ركبت البحر فأصابنا ريح شديدة فتذكرت قوم منا ذوروا نوبت أنام أتكلم به فلما قدمت البصرة سألت أبي سليمن فقال لي يا بني فمه * قال معتمر وثنا كهمس عن سعيد بن ثابت قال قوله ومنهم من عاهد الله الآية قال انما هو شيء نووه في أنفسهم ولم يتكلموا به ألم تسمع الى قوله ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب ۞ القول في تأويل قوله ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب﴾ يقول تعالى ذكره أم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون بالله ورسوله سرا ويظهرون الايمان بهما لاهل الايمان بهما جهرا أن الله يعلم سرهم الذي يسرونه في أنفسهم من الكفر به وبرسوله ونجواهم يقول ونجواهم اذا تناجوا بينهم بالطعن في الاسلام وأهله وذكرهم بغير ما ينبغي أن يذكروا به فيحذروا من الله عقوبته أن يحلها بهم وسطوته أن يوقعها بهم على كفرهم بالله وبرسوله وعيبهم الاسلام وأهله فينزعوا عن ذلك ويتوبوا منه وأن الله علام الغيوب يقول ألم يعلموا أن الله علام ما غاب عن أسماع خلقه وأبصارهم وحواسهم مما أكنته نفوسهم فلم يظهر على جوارحهم الظاهرة فيتهاهم ذلك عن خداع أوليائه بالنفاق والكذب ويزجرهم عن اضمار غير ما يبدونه واظهار خلاف ما يعتقدونه ۞ القول في تأويل قوله ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره الذين يلمزون المطوعين في الصدقة على أهل المسكنة والحاجة عالم الله بوجبه الله عليهم في أموالهم ويطعنون فيها عليهم بقولهم انما تصدقوا به رياء وسمعة ولم يريدوا وجه الله و يلمزون الذين لا يجدون ما يتصدقون به الا جهدهم وذلك طاقتهم فينتقصونهم و يقولون لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا سخرية منهم بهم فيسخرون منهم سخر الله منهم وقد بينا صفة سخرية الله بمن يسخر به من خلقه في غير هذا الموضع مما أغنى عن اعادته ههنا ولهم عذاب أليم يقول ولهم من عند الله يوم القيامة عذاب موجع وأما ذكر من قال المعني بقوله المطوعين من المؤمنين عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي الانصاري وأن المعني بقوله والذين لا يجدون الا جهدهم أبو عقيل الاراشي أخو بني أنيف ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات قال جاء عبد الرحمن ابن عوف بأربعين أوقية من ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم وجاء رجل من الانصار بصاع من طعام فقال بعض المنافقين والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به الا رياء وقالوا ان كان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى الناس يوما فنادى فيهم أن اجمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم فجاء رجل من أوجههم بمن من تمر فقال يا رسول الله هذا صاع من تمر بت ليلتي أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت أحدهما وأتيتك بالآخر فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره في الصدقات فسخر منه رجال وقالوا والله ان الله و رسوله لغنيان عن هذا وما يصنعان بصاعك من شيء

للمناقق يجرى مجرى اغرائه على مزيد النفاق ولانه يلزم ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم غير مجاب الدعوة وان أكثر فى الدعاء ومن الفقهاء من قال التخصيص بالعدد المعين يدل على أن الحال فيما وراء ذلك العدد بخلافه لما روى أنه لما نزلت الآية قال صلى الله عليه وسلم لأزيدن على السبعين فنزل سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فكف عنه فلولا أنه فهم بدليل الخطاب أن الامر فيما وراء السبعين بالخلاف لم يقل لأزيدن على ذلك وأجيب بأنه أراد اظهار الرحمة والرأفة بأمته ودعاءهم الى ترحم بعضهم لبعض لا أنه فهم منه ذلك كيف وقد قال تعالى لن يغفر الله لهم وأردفه بقوله ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله فليس المقصود بهذا العدد تحديد المنع وانما هو كقول القائل لمن يسأله حاجة لو سألتنى سبعين مرة لم أقضها ولهذا بين العلة التى لاجلها لا ينفعهم استغفار الرسول وهى كفرهم وفسقهم وهذا المعنى قائم فى الزيادة على السبعين وذكر بعضهم لتخصيص السبعين وجها هو أن السبعة عدد شريف لانه عدد السموات والارضين والبحار والاقاليم والنجوم السيارة والاعضاء وأيام الاسبوع فضرب السبعة فى عشرة لان الحسنة بعشر أمثالها وقيل خص بالذكر لانه صلى الله عليه وسلم كبر على حمزة سبعين تكبيرة وكأنه قال ان تستغفر لهم سبعين مرة جزاء تكبيرا تك على حمزة هذا وقد مر فى تفسير قوله قل أنفقوا طوعا أو كرها أن هذا أمر فى معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لا وانتصاب سبعين على المصدر كقولك ضربته عشرين ضربة ثم ذكر نوعا آخر من قبائح أفعالهم فقال (فرح المخلفون) قيل انهم احتالوا أن يتخلفوا وكان الاولى أن يقال فرح المتخلفون وأجيب بأنهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم وخلفهم بالمدينة فى غزوة تبوك أو أريد خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان أو المجاهدون لما لم يوافقوهم فى القعود فكأنهم خلفوهم أو أطلق عليهم المخلفون باعتبار أنهم سيصيرون ممنوعين من الخروج فى الآية الآتية فان رجعك الله الى قوله ولن تقاتلوا معى عدوا ومعنى (بمقعدهم) بقعودهم قاله مقاتل أو موضع قعودهم وهو المدينة قاله ابن عباس

ثم ان عبد الرحمن بن عوف رجل من قريش من بنى زهرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل بقى من أحد من أهل هذه الصدقات فقال لا فقال عبد الرحمن بن عوف ان عندى مائة أوقية فمن ذهب فى الصدقات فقال له عمر بن الخطاب أمجنون أنت فقال ليس بى جنون فقال أتعلم ما قلت قال نعم مالى ثمانية آلاف أما أربعة آلاف فأقرضها ربى وأما أربعة آلاف فلى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت وكره المنافقون فقالوا والله ما أعطى عبد الرحمن ابن عوف عطيته الا رياء وهم كاذبون انما كان به متطوعا فأنزل الله عذره وعذر صاحبه المسكين الذى جاء بالصاع من التمر فقال الله فى كتابه الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات الآية

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين قال جاء عبد الرحمن بن عوف بصدقة ماله أربعة آلاف فلمزه المنافقون وقالوا رائى والذين لا يجدون الا جهدهم قال رجل من الانصار آجر نفسه بصاع من تمر لم يكن له غيره فجاء به فلمزوه وقالوا كان الله غنيا عن صاع هذا

حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه

حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين الآية قال أقبل عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله فتقرب به الى الله فلمزه المنافقون فقالوا ما أعطى ذلك الا رياء وسمعة فأقبل رجل من فقراء المسلمين يقال له حبحاب أبو عقيل فقال يا نبى الله بت أجر الجرير على صاعين من تمر أما صاع فأمسكته لاهلى وأما صاع فها هو ذا فقال المنافقون والله ان الله ورسوله لغنيان عن هذا فأنزل الله فى ذلك القرآن الذين يلمزون الآية

حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات قال تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله وكان ماله ثمانية آلاف دينار فتصدق بأربعة آلاف دينار فقال ناس من المنافقين ان عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء فقال الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات وكان لرجل صاعان من تمر فجاء بأحدهما فقال ناس من المنافقين ان كان الله عن صاع هذا لغنيا فكان المنافقون يطعنون عليهم ويسخرون بهم فقال الله والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم

حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال الانماطى قال ثنا أبو عوانة عن أبى سلمة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تصدقوا فانى أريد أن أبعث بعثا قال فقال عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله ان عندى أربعة آلاف ألفين أقرضهما الله وألفين لعيالى قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت و بارك لك فيما أمسكت فقال رجل من الانصار وان لى عندى صاعين من تمر صاعا لربى وصاعا لعيالى قال فلمز المنافقون وقالوا ما أعطى ابن عوف هذا الا رياء وقالوا أو لم يكن الله غنيا عن صاع هذا فأنزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين الى آخر الآية

حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس فى قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات قال أصاب الناس جهد شديد فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدقوا فجاء عبد الرحمن

ومعنى (خلاف رسول الله) صلى الله عليه وسلم مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار وأقاموا قاله قطرب والزجاج فانتصابه على أنه مفعول له أى قعدوا لاجل خلافه أو على الحال مثل فأرسلها العراك أى مخالفين له وقال الاخفش ويونس الخلاف بمعنى الخلف أى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان جهة الأمام التى يقصدها الانسان يخالفها جهة الخلف (وكرهوا أن يجاهدوا) كيف لا يكرهون وليس فيهم باعث الايمان وداعى الاخلاص ومعهم صارف الكفر والنفاق وفيه تعريض بالمؤمنين الباذلين أموالهم وأرواحهم فى الله المؤثرين ذلك على الدعة والخفض واعلم أن الفرح بالاقامة يدل على كراهية الذهاب الا أنه صرح بذلك للتوكيد ولعل المراد أنه مال طبعهم الى الاقامة لالفهم بالبلد واستئناسهم بالاهل والولد وكرهوا الخروج الى الغزو لانه تعريض بالنفس والمال للقتل والاهدار (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) أن بعد هذه الدار دارا أخرى وبعد هذه الحياة حياة أخرى وهذه المشقة منقضية سهلة وتلك باقية صعبة ولبعضهم وكأنه صاحب الكشاف

مسرة أحقاب تلقيت بعدها * مساءة يوم انها شبه أنصاب

فكيف بأن تلقى مسرة ساعة * وراء تقضيها مساءة أحقاب

وفى هذا استجهال عظيم لهم ثم قال (فليضحكوا) وهو خبر الا أنه أخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم لا يكون غيره ومعناه فسيضحكون قليلا أى ضحكا قليلا أو زمانا قليلا وسيبكون كثيرا يريد أن أهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ثم عرف نبيه وجه الصلاح فى سائر الغزوات فقال (فان رجعك الله الى طائفة منهم) أى ان رذلك الى المدينة الرجع متعد مثل الرد والرجوع لازم وانما قال طائفة لان منهم من تاب عن النفاق وندم أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المخلفين من المنافقين (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة أخرى بعد غزوة تبوك (فقل لن تخرجوا معى أبدا) عاقبهم باسقاطهم عن ديوان الغزاة جزاء على تخلفهم لما فيه من الذم وامسكت

بأربعمائة أوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك له فيما أمسك فقال المنافقون ما فعل عبد الرحمن هذا الا رياء وسمعة قال وجاء رجل بصاع من تمر فقال يا رسول الله بت نفسى بصاعين فانطلقت بصاع منهما الى أهلى وجئت بصاع من تمر فقال المنافقون ان الله غنى عن صاع هذا فأنزل الله هذه الآية والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات الآية وكان من المطوعين من المؤمنين فى الصدقات عبد الرحمن بن عوف تصدق بأربعة آلاف دينار وعاصم بن عدى أخو بنى عجلان وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب فى الصدقة وحض عليها فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف درهم وقام عاصم بن عدى فتصدق بمائة وسق من تمر فلمزوهما وقالوا ما هذا الا رياء وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أنيف الاراشى حليف بنى عمرو بن عوف أتى بصاع من تمر أفرغه فى الصدقة فتضاحكوا به وقالوا ان الله لغنى عن صاع أبى عقيل **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله قال ثنا شعبة عن سليمن عن أبى وائل عن أبى مسعود قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل قال أبو النعمان كنا نعمل قال فجاء رجل فتصدق بشئ كثير قال وجاء رجل فتصدق بصاع تمر فقالوا ان الله لغنى عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن موسى بن عبيدة قال ثنى خالد بن يسار عن ابن أبى عقيل عن أبيه قال بت أجر الحرير على ظهرى على صاعين من تمر فانقلبت بأحدهما الى أهلى يبلغون به وجئت بالآخر أتقرب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال انثره فى الصدقة فسخر المنافقون منه وقالوا لقد كان الله غنيا عن صدقة هذا المسكين فأنزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات الآيتين **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا الجريرى عن أبى السليل قال وقف على الحى رجل فقال ثنى أبى أو عمى فقال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول من يتصدق اليوم بصدقة أشهد له بها عند الله يوم القيامة قال وعلى عمامة لى قال فنزعت لوثا أو لوثين لأتصدق بهما قال ثم أدركنى ما يدرك ابن آدم فعصبت بهما رأسى قال فجاء رجل لا أرى بالبقيع رجلا أقصر قة ولا أشد سوادا ولا أذم لعينى منه يقود ناقة لا أرى بالبقيع أحسن منها ولا أجمل منها قال أصدقة هى يا رسول الله قال نعم قال فدونكها فألقى بخطامها أو بزمامها قال فلمزه رجل جالس فقال والله انه ليتصدق بها ولهى خير منه فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل هو خير منك ومنها يقول ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك يقول الذى تصدق بصاع التمر فلمزه المنافقون أبو خيثمة الانصارى **حدثنى** المثنى قال ثنا محمد بن رجاء أبو سهل العبادانى قال ثنا عامر بن يساف اليمامى عن يحيى بن أبى كثير اليمامى قال جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مالى ثمانية آلاف جئتك بأربعة آلاف فاجعلها فى سبيل الله

وأمسكت أربعة آلاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت وجاء رجل آخر فقال يا رسول الله بت الليلة أجر الماء على صاعين فأما أحدهما فتركت لعيالي وأما الآخر فجئتك به أجعله في سبيل الله فقال بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فقال ناس من المنافقين والله ما أعطى عبد الرحمن الا رياء وسمعة ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع فلان فأنزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات يعني عبد الرحمن بن عوف والذين لا يجدون الا جهدهم يعني صاحب الصاع فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قال ابن عباس أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجمعوا صدقاتهم واذا عبد الرحمن بن عوف قد جاء بأربعة آلاف فقال هذا مالي أفرضه الله وقد بقي لي مثله فقال له بورك لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فقال المنافقون ما أعطى الا رياء وما أعطى صاحب الصاع الا رياء ان كان الله ورسوله لغنيين عن هذا وما يصنع الله بصاع من شئ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الى قوله ولهم عذاب أليم قال أمر النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين أن يتصدقوا فقام عمر بن الخطاب فألفى مالا وافرا فاخذ نصفه قال فجئت أحمل مالا كثيرا فقال له رجل من المنافقين ترائي يا عمر فقال عمر أرائي الله ورسوله وأما غيرهما فلا قال ورجل من الانصار لم يكن عنده شئ فآجر نفسه ليجر الجرير على رقبته بصاعين ليلته فترك صاعا لعياله وجاء بصاع يحمله فقال له بعض المنافقين ان الله ورسوله عن صاعك لغنيان فذلك قول الله تبارك وتعالى الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم هذا الانصاري فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم وقد بينا معنى اللمز في كلام العرب بشواهده وما فيه من اللغة والقراءة فيما مضى وأما قوله المطوعين فان معناه المتطوعين أدغمت التاء في الطاء فصارت طاء مشددة كما قيل ومن يطوع خيرا يعني يتطوع وأما الجهد فان للعرب فيه لغتين يقال أعطاني من جهده بضم الجيم وذلك فيما ذكر لغة أهل الحجاز ومن جهده بفتح الجيم وذلك لغة تجد وعلى الضم قراءة الامصار وذلك هو الاختيار عندنا لاجماع الحجة من القراء عليه وأما أهل العلم بكلام العرب من رواة الشعر وأهل العربية فانهم يزعمون أنها مفتوحة ومضمومة بمعنى واحد وانما اختلاف ذلك لاختلاف اللغة فيه كما اختلفت لغاتهم في الوجد والوجد بالضم والفتح من وجدت وروى عن الشعبي في ذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن عيسى بن المغيرة عن الشعبي قال الجهد في العمل والجهد في القوت حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن عيسى بن المغيرة عن الشعبي مثله * قال ثنا ابن ادريس عن عيسى بن المغيرة عن الشعبي قال الجهد في العمل والجهد في المعيشة ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ادع الله لهؤلاء المنافقين الذين وصف صفاتهم في هذه الآيات بالمغفرة أو لا تدع لهم بها وهذا كلام خرج مخرج الامر وتأويله الخبر ومعناه ان استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم وقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم يقول ان تسأل لهم أن تستر عليهم ذنوبهم بالعفو منه لهم عنها وترك فضيحتهم بها فلن يستر الله عليهم ولن يعفو لهم عنها ولكنه يفضحهم بها على رؤوس الاشهاد يوم القيامة ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله يقول جل ثناؤه هذا الفعل من الله بهم وهو ترك عفوه لهم عن ذنوبهم من أجل

والطرد وصلا حالا مر الجهاد لما في استصحابهم من المفاسد المذكورة في قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ويعني بأول مرة غزوة تبوك واعلم يقل أول المرات معرفا مجموعا لان المعنى ان فصلت المرات مرة مرة كانت هذه أولها نظيره هو أفضل رجل يعني ان عد الرجال رجلا رجلا كان هو أفضلهم وانما لم يقل أولى مرة لان أكثر اللغتين هند أكبر النساء ولا يكاد يقال هي كبرى امرأة (قاعدوا مع الخالفين) كقوله وقيل اقعدوا مع القاعدين والخالف من يخلف الرجل في قومه وعن الاصمعي أنه الفاسد من خلف اللبن والنبيذ اذا فسد وعن الفراء معناه المخالف قال قتادة ذكر لنا أن الخالفين الذين أمروا بالقعود كانوا اثني عشر رجلا عن ابن عباس أنه لما

أنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين يقول والله لا يوفق للايمان به وبرسوله من آثر الكفر به والخروج عن طاعته على الايمان به وبرسوله ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين نزلت هذه الآية قال لأزيدن في الاستغفار لهم على سبعين مرة رجاء منه أن يغفر الله لهم فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الله بن أبي ابن سلول قال لاصحابه لولا أنكم تنفقون على محمد وأصحابه لانفضوا من حوله وهو القائل لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل فانزل الله استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأزيدن على السبعين فانزل الله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم إلى آخر الآية حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن مغيرة عن شبل عن الشعبي قال دعا عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول النبي صلى الله عليه وسلم الى جنازة أبيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ألست قال حباب بن عبد الله بن أبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول ان الحباب هو الشيطان ثم قال النبي عليه السلام انه قد قيل لي استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فانا أستغفر لهم سبعين وسبعين وألبسه النبي صلى الله عليه وسلم قميصه وهو عرق حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ان تستغفر لهم سبعين مرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سأزيد على سبعين استغفارة فانزل الله في السورة التي يذكر فيها المنافقون لن يغفر الله لهم عزما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه * قال ثنا الحسن قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن الشعبي قال لما نقل عبد الله بن أبي انطلق ابنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان أبي قد احتضر فاحب أن تشهده وتصلي عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال الحباب بن عبد الله قال بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن الحباب اسم شيطان قال فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عرق وصلى عليه فقيل له أتصلي عليه وهو منافق فقال ان الله قال ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولأستغفرن له سبعين وسبعين قال هشيم وأسمع في الثالثة حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله استغفر لهم أولا تستغفر لهم الى قوله القوم الفاسقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أسمع ربي قد رخص لي فيهم فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة فلعل الله أن يغفر لهم فقال الله من شدة غضبه عليهم سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أستغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال نبي الله قد خيرني ربي فلأزيدنهم على سبعين فانزل الله سواء عليهم أستغفرت لهم الآية حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة قال لما نزلت ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأزيدن على سبعين فقال الله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا

اشتكى عبد الله ابن أبي ابن سلول عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منه أن يصلي عليه اذا مات ويقوم على قبره ويعطيه قميصه الذي يلي جلده ليكفن فيه ففعل كل ذلك وعنه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لما توفي عبد الله بن أبي دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله أعلى عدو الله عبد الله ابن أبي القائل يوم كذا كذا وكذا أعدد أيامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى اذا أكثرت عليه قال أخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت قد قيل لي استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولو أعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت

أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ﴾ يقول تعالى ذكره فرح الذين خلفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به وجهاد أعدائه بمقعدهم خلاف رسول الله يقول بجلوسهم في منازلهم خلاف رسول الله يقول على الخلاف لرسول الله في جلوسه ومقعده وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنفر الى جهاد أعداء الله فخالفوا أمره وجلسوا في منازلهم وقوله خلاف مصدر من قول القائل خالف فلان فلانا فهو يخالفه خلافا فذلك جاء مصدره على تقدير فعال كما يقال قاتله فهو يقاتله قتالا ولو كان مصدرا من خلفه لكانت القراءة بمقعدهم خلف رسول الله لان مصدر خلفه خلف لا خلاف ولكنه على ما بينت من أنه مصدر خالف فقرئ خلاف رسول الله وهي القراءة التي عليها قراء الامصار وهي الصواب عندنا وقد تأول ذلك بعضهم بمعنى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد على ذلك بقول الشاعر

عقب الربيع خلافهم فكأنما ❊ بسط الشواطب بينهن حصيرا

وذلك قريب لمعنى ما قلنا لانهم قعدوا بعده على الخلاف له وقوله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله يقول تعالى ذكره وكره هؤلاء المخلفون أن يغزوا الكفار بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله يعني في دين الله الذي شرعه لعباده لينصروه مبلا الى الدعة والخفض وايثارا للراحة على التعب والمشقة وشحا بالمال أن ينفقوه في طاعة الله وقالوا لا تنفروا في الحر وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم استنفرهم الى هذه الغزوة وهي غزوة تبوك في حر شديد فقال المنافقون بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد نار جهنم التي أعدها الله لمن خالف أمره وعصى رسوله أشد حرا من هذا الحر الذي تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه يقول الذي هو أشد حرا أحرى أن يحذر ويتقى من الذي هو أقلهما أذى لو كانوا يفقهون يقول لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظه ويتدبرون آي كتابه ولكنهم لا يفقهون عن الله فهم يحذرون من الحر أقله مكروها وأخفه أذى ويوافقون أشده مكروها وأعظمه على من يصلاه بلاء ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الى قوله يفقهون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر فقال الله قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فأمره الله بالخروج حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله بمقعدهم خلاف رسول الله قال من غزوة تبوك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد الى تبوك فقال رجل من بني سلمة لا تنفروا في الحر فأنزل الله قل نار جهنم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر قول بعضهم لبعض حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأجمع السير الى تبوك على شدة الحر وجدب البلاد يقول الله جل ثناؤه وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ يقول تعالى ذكره فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله فليضحكوا فرحين قليلا في هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله ولهوهم عن طاعة ربهم فانهم سيبكون طويلا في جهنم مكان ضحكهم القليل

قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه قال فعجبت من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم قال فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله قال المفسرون وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما فعل بعبد الله بن أبي قال وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله ان كنت لارجو أن يسلم به ألف من قومه وكان كما قال وقيل لعل السبب فيه انه لما طلب من الرسول قميصه الذي مس جلده ليدفن فيه غلب على ظن الرسول انه انتقل الى الايمان لانه وقت يتوب فيه الكافر فرغب أن يصلي عليه وذكر من أسباب

في الدنيا جزاء يقول ثوابا منالهم على معصيتهم بتركهم النفر اذا استنفروا الى عدوهم وقعودهم في منازلهم خلاف رسول الله بما كانوا يكسبون يقول بما كانوا يجترحون من الذنوب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل عن أبي رزين فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال يقول الله تبارك وتعالى الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤا فاذا صاروا الى الآخرة بكوا بكاء لا ينقطع فذلك الكثير حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن منصور عن أبي رزين عن الربيع بن خيثم فليضحكوا قليلا قال في الدنيا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا ثنا سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبي رزين في قوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن أبي رزين أنه قال في هذه الآية فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال ليضحكوا في الدنيا قليلا وليبكوا في النار كثيرا وقال في هذه الآية واذا لا تمتعون الا قليلا قال (١) أجلهم أحد هذين الحديثين رفعه الى الربيع بن خيثم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فليضحكوا قليلا قال ليضحكوا قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا في الآخرة في نار جهنم جزاء بما كانوا يكسبون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فليضحكوا قليلا أي في الدنيا وليبكوا كثيرا أي في النار ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ذكر لنا أنه نودي عند ذلك أو قيل له لا تقنط عبادي حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن أبي رزين عن الربيع بن خيثم فليضحكوا قليلا قال في الدنيا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة * قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبي رزين فليضحكوا قليلا قال في الدنيا فاذا صاروا الى الآخرة بكوا بكاء لا ينقطع فذلك الكثير حدثنا علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا يقول الله تبارك وتعالى فليضحكوا قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا في النار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فليضحكوا في الدنيا قليلا وليبكوا يوم القيامة كثيرا وقال ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون حتى بلغ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ﴿ القول في تأويل قوله ﴿فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان رذك الله يا محمد الى طائفة من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه فاستأذنوك للخروج معك في أخرى غيرها فقل لهم لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة وذلك عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى تبوك فاقعدوا مع الخالفين يقول فاقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكم منهم فاقتدوا بهديهم واعملوا مثل الذي عملوا من معصية الله فان الله قد سخط عليكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر وذلك في غزوة تبوك فقال الله قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فأمر الله بالخروج فتخلف عنه رجال قادرتهم نفوسهم فقالوا والله ما صنعنا شيأ فانطلق منهم ثلاثة فلحقوا برسول الله صلى الله

عليه

دفع القميص أن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أسيرا بيد رولم يجد واله قميصا طويلا فكساه عبد الله قميصه ومنها أن المشركين قالوا له يوم الحديبية انا لا نتقاد لمحمد ولكنا نتقاد لك فقال ان لي في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صنيعه ومنها انه كان لا يرد السائل لقوله تعالى وأما السائل فلا تنهر ومنها أن ابنه عبد الله كان من الصالحين فالرسول أكرمه لكان ابنه ومنها اظهار الرأفة والرحمة كما مر قوله (مات) صفة لاحد (وابدا) ظرف لقوله لا تصل وانه يحتمل تأبيد النفي (٢) ونفي التأبيد والظاهر الاول لان القرائن تدل على منعه من أن يصلي على أحد منهم منعا كليا اذا علما قال الزجاج معنى

(١) أي أحد الحديثين في الآية هو الأجل والغرض من الحديثين القليل والكثير تأمل كتبه مصححه

(٢) عبارة الفخر وتأبيد المنفي وهي أوضح تأمل كتبه مصححه

عليه وسلم فلما أتوه تابوا ثم رجعوا الى المدينة فأنزل الله فان رجعك الله الى طائفة منهم الى قوله ولا تقم على قبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك الذين تخلفوا فأنزل الله عذرهم لما تابوا فقال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الى قوله ان الله هو التواب الرحيم وقال انه بهم رؤف رحيم

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم الى قوله فاقعدوا مع الخالفين أي مع النساء ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلا من المنافقين فقيل فيهم ما قيل

حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فاقعدوا مع الخالفين والخالفون الرجال * قال أبو جعفر والصواب من التأويل في قوله الخالفين ما قال ابن عباس فأما ما قال قتادة من أن ذلك النساء فقول لا معنى له لان العرب لا تجمع النساء اذا لم يكن معهن رجال بالياء والنون ولا بالواو والنون ولو كان معنيا بذلك النساء لقيل فاقعدوا مع الخوالف أو مع الخالفات ولكن معناه ما قلنا من أنه أراد به فاقعدوا مع مرضى الرجال وأهل زمانتهم والضعفاء منهم والنساء واذا اجتمع الرجال والنساء في الخبر فان العرب تغلب الذكور على الاناث ولذلك قيل فاقعدوا مع الخالفين والمعنى ما ذكرنا ولو وجه معنى ذلك الى فاقعدوا مع أهل الفساد من قولهم خلف الرجل عن أهله يخلف خلوفا اذا فسد ومن قولهم هو خلف سوء كان مذهبا وأصله اذا أريد به هذا المعنى من قولهم خلف اللبن يخلف خلوفا اذا خبث من طول وضعه في السقاء حتى يفسد ومن قولهم خلف فم الصائم اذا تغيرت ريحه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تصل يا محمد على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبدا ولا تقم على قبره يقول ولا تتول دفنه وتقبره من قول القائل قام فلان بأمر فلان اذا كفاه أمره إنهم كفروا بالله يقول انهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله وماتوا وهم خارجون من الاسلام مفارقون أمر الله ونهيه وقد ذكر أن هذه الآية نزلت حين صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى وسفيان بن وكيع وسوار بن عبد الله قالوا ثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله قال أخبرني نافع عن ابن عمر قال جاء ابن عبد الله بن أبي ابن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات أبوه فقال أعطني قميصك حتى أكفنه فيه وصل عليه واستغفر له فاعطاه قميصه وقال اذا فرغتم فآذنوني فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر وقال أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين فقال بل خيرني وقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم قال فصلى عليه قال فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره قال فترك الصلاة عليهم

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عبيد الله عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخذ بثوب النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن سلول أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما خيرني ربي فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على سبعين فقال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره

حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال ثنا يحيى بن سعيد عن مجالد قال ثني عامر عن جابر بن عبد الله أن رأس المنافقين مات بالمدينة فأوصى أن يصلي عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأن يكفن في قميصه فكفنه في قميصه وصلى عليه وقام على قبره فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره

قوله (ولا تقم على قبره) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فمنع ههنا منه وقال الكلبي معناه لا تقم باصلاح مهمات قبره و (انهم كفروا) تعليل للنهي و يرد عليه أن الكفر حادث وحكم الله قديم والحادث لا يكون علة للقديم وأجيب بان العلة ههنا بمعنى الامارة المعرفة للحكم قال في الكشاف وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة وانما وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر لان الكافر قد يكون عدلا في دينه والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبح في جميع الاديان أما قوله (ولا تعجبك أموالهم

حدثني أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يصلي على عبد الله بن أبي ابن سلول فأخذ جبريل عليه السلام بثوبه فقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن جابر قال جاء النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وقد أدخل حفرته فأخرجه فوضعه على ركبتيه وألبسه قميصه وتفل عليه من ريقه والله أعلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى هبت في صدره فقلت يا رسول الله أتصلي على عدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم كذا كذا وكذا أعدد ٣ أيامه ورسول الله عليه السلام يتبسم حتى اذا أكثرت عليه قال أخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت وقد قيل لي استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فلو أني أعلم أني ان زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه قال أتعجب لي وجرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان ولا تصل على أحد منهم مات أبدا فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال لما مات عبد الله بن أبي أتى ابنه عبد الله بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله قميصه فأعطاه فكفن فيه أباه حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني الليث قال ثني عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن أبي فذكر مثل حديث ابن حميد عن سلمة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية قال بعث عبد الله بن أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه فنهاه عن ذلك عمر فأتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال نبي الله صلى الله عليه وسلم أهلكك حب اليهود قال فقال يا نبي الله اني لم أبعث اليك لتؤنبني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وسأله قميصه أن يكفن فيه فأعطاه اياه فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية قال ذكر لنا ان نبي صلى الله عليه وسلم كلم في ذلك فقال وما يغني عنه قميصي من الله أو رب وصلاتي عليه واني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال أرسل عبد الله بن أبي ابن سلول وهو مريض الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال له النبي صلى الله عليه وسلم أهلكك حب يهود قال يا رسول الله انما أرسلت اليك لتستغفر لي ولم أرسل اليك لتؤنبني ثم سأله عبد الله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه فأعطاه اياه وصلى عليه وقام على قبره فأنزل الله تعالى ذكره ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم فتصلي على أحدهم اذا مات وتقوم على قبره من أجل كثرة ماله وولده فاني انما أعطيته ما أعطيته من ذلك لأعذبه بها في الدنيا بالغموم والهموم بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات وتزهق أنفسهم يقول وليموت فتخرج

وأولادهم فقد سبق مثله في هذه السورة بتفاوت ألفاظ فوجب علينا أن نذكر سبب التفاوت ثم فائدة التكرار فنقول والله تعالى أعلم مراده انما ذكر النهي ههنا بالواو وهناك بالفاء لانه لا تعلق له ههنا بما قبله وهو موتهم على حالة الفسق خلاف ما هناك وانما قال ههنا وأولادهم بدون لا لان المراد هناك الترقي من الادون الى الاعلى وهو أن اعجاب أولئك الاقوام بأولادهم فوق اعجابهم بأموالهم كقولك لا يعجبني أمر النائب ولا أمر المنوب وههنا أراد المعية فقط اما اكتفاء بما سبق هناك واما لان هؤلاء أقوام آخرون لم يكن عندهم تفاوت بين الامرين وقيل انه هناك لما علق الثاني بالاول تعليق الجزاء

(٣) كذا في النيسابوري أيضا ولعله محرف آثامه ورواية البخاري أعدد قوله فحرر كتبه مصححه

نفسه من جسده فيفارق ما أعطيته من المال والولد فيكون ذلك حسرة عليه عند موته وويلا عليه حينئذ وويلا عليه في الآخرة بموته جاحدا توحيد الله ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن السدي وتزهق أنفسهم في الحياة الدنيا ۞ القول في تأويل قوله ﴿وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين﴾ يقول تعالى ذكره وإذا أنزل عليك يا محمد سورة من القرآن بأن يقال لهؤلاء المنافقين آمنوا بالله يقول صدقوا بالله وجاهدوا مع رسوله يقول اغزوا المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنك أولو الطول منهم يقول استأذنك ذوو الغنى والمال منهم في التخلف عنك والقعود في أهله وقالوا ذرنا يقول وقالوا لك دعنا نكن ممن يقعد في منزله مع ضعفاء الناس ومرضاهم ومن لا يقدر على الخروج معك في السفر ۞ وبنحو الذي قلنا في معنى الطول قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله استأذنك أولو الطول قال يعني أهل الغنى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس أولو الطول منهم يعني الأغنياء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم كان منهم عبد الله بن أبي والجد بن قيس فنعى الله ذلك عليهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ يقول تعالى ذكره رضي هؤلاء المنافقون الذين إذا قيل لهم آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أهل الغنى منهم في التخلف عن الغزو والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين أن يكونوا في منازلهم كالنساء اللواتي ليس عليهن فرض الجهاد فهن قعود في منازلهن وبيوتهن وطبع على قلوبهم يقول وختم الله على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون عن الله مواعظه فيتعظون بها وقد بينا معنى الطبع وكيف الختم على القلب فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ۞ وبنحو الذي قلنا في معنى الخوالف قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف قال والخوالف هن النساء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضوا بأن يكونوا مع الخوالف يعني النساء حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد أبو يزيد عن يعقوب القمي عن جعفر بن حميد عن شمر بن عطية رضوا بأن يكونوا مع الخوالف قال النساء ۞ قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك مع الخوالف قال مع النساء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف أي مع النساء حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والحسن رضوا بأن يكونوا مع الخوالف قالا النساء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف قال مع النساء ۞ القول في تأويل قوله ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون﴾ يقول تعالى ذكره لم يجاهد هؤلاء المنافقون الذين اقتصصت قصصهم المشركين لكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والذين صدقوا الله ورسوله معه هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم فأنفقوا في جهادهم أموالهم وأتعبوا في قتالهم أنفسهم وبذلوها وأولئك يقول وللرسول وللذين آمنوا معه الذين جاهدوا

بالشرط أكد معنى النهي بتكرار لا وإنما قال ههنا أن يعذبهم لأنه إخبار عن قوم ماتوا على الكفر فتعلق الإرادة بما هم فيه وهو العذاب وأما في الآية المتقدمة فالمفعول محذوف وقد مر وقيل الفائدة فيه التنبيه على أن التعليل في أحكام الله محال وأنه إنما ورد حرف التعليل فمعناه أن وإنما حذف الحياة ههنا اكتفاء بما ذكر هناك وقيل تنبيها على أن الحياة الدنيا لا تستحق أن تسمى حياة لخستها وأما فائدة التكرير فهي المبالغة في التحذير من الأموال والأولاد لأنها جاذبة للقلوب فتحتاج إلى صارف قوي ويحتمل أن تكون الأولى في قوم والثانية في آخرين وقيل الثانية في اليهود والأولى في المنافقين

بأموالهم وأنفسهم الخيرات وهى خيرات الآخرة وذلك نساؤها وجناتها ونعيمها واحدتها خيرة كما قال الشاعر

ولقد طعنت مجامع الربلات * ربلات هند خيرة الملكات

والخيرة من كل شئ الفاضلة وأولئك هم المفلحون يقول وأولئك هم المخلدون فى الجنات الباقون فيها الفائزون بها ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره أعد الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا معه جنات وهى البساتين تجرى من تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول لا يبغين فيها ولا يموتون فيها ولا يظعنون عنها ذلك الفوز العظيم يقول ذلك النجاء العظيم والحظ الجزيل ﴿القول فى تأويل قوله﴾ ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم فى التخلف وقعد عن المجىء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه الذين كذبوا الله ورسوله وقالوا الكذب واعتذروا بالباطل فيهم يقول تعالى ذكره سيصيب الذين جحدوا توحيد الله ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منهم عذاب أليم فان قال قائل فكيف قيل وجاء المعذرون وقد علمت أن المعذر فى كلام العرب انما هو الذى يعذر فى الامر فلا يبالغ فيه ولا يحكمه وليست هذه صفة هؤلاء وانما صفتهم أنهم كانوا قد اجتهدوا فى طلب ما ينهضون به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدوهم وحرصوا على ذلك فلم يجدوا اليه السبيل فهم بأن يوصفوا بأنهم قد أعذر وا أولى وأحق منهم بأن يوصفوا بأنهم عذروا اذا وصفوا بذلك فالصواب فى ذلك من القراءة ما قرأه ابن عباس وذلك ما حدثناه المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنا بشر بن عمار عن أبى روق عن الضحاك قال كان ابن عباس يقرأ وجاء المعذرون مخففة ويقول هم أهل العذر مع موافقة مجاهدا اياه وغيره عليه قيل ان معنى ذلك على غير ما ذهبت اليه وان معناه وجاء المعتذرون من الاعراب ولكن التاء لما جاورت الذال أدغمت فيها فصيرتا ذالا مشددة لتقارب مخرج احداهما من الاخرى كما قيل يذكرون فى يتذكرون ويذكر فى يتذكر وخرجت العين من المعذرين الى الفتح لان حركة التاء من المعتذرين وهى الفتحة نقلت اليها فحركت بما كانت به محركة والعرب قد توجه فى معنى الاعتذار الى الاعذار فتقول قد اعتذر فلان فى كذا يعنى أعذر ومن ذلك قول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

فقال فقد اعتذر بمعنى فقد أعذر على أن أهل التأويل قد اختلفوا فى صفة هؤلاء القوم الذين وصفهم الله بأنهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم معذرين فقال بعضهم كانوا كاذبين فى اعتذارهم فلم يعذرهم الله بذكر من قال ذلك حدثنى أبو عبيدة عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى عن الحسين قال كان قتادة يقرأ وجاء المعذرون من الأعراب قال اعتذروا بالكذب حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد وجاء المعذرون من الاعراب قال نفر من بنى غفار جاؤا فاعتذروا فلم يعذرهم الله فقد أخبر من ذكرنا من هؤلاء أن هؤلاء القوم انما كانوا أهل اعتذار بالباطل لا بالحق فغير جائز أن يوصفوا بالاعذار الا أن يوصفوا بأنهم أعذر وا فى الاعتذار بالباطل فأما بالحق على ما قاله من حكينا قوله من هؤلاء فغير جائز أن يوصفوا به وقد كان بعضهم يقول انما جاؤا معذرين غير جادين يعرضون ما لا يريدون فعله فمن وجهه الى هذا التأويل فلا كلفة فى ذلك غير أنى لا أعلم أحدا من أهل العلم بتأويل القرآن وجه تأويله الى ذلك فاستحبوا القول به وبعد فان الذى عليه من القراءة قراء الامصار التشديد فى الذال أعنى من

ثم عاد الى توبيخ المنافقين فقال (واذا أنزلت سورة) أى بتمامها ويجوز أن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على بعضه وقيل هى براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد (أن آمنوا) أن هى المفسرة لان انزال السورة فى معنى القول وقال الواحدى تقديره بأن آمنوا وانما قدم الامر بالايمان لان الاشتغال بالجهاد لا يفيد الا بعد الايمان (أولوا الطول) ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا قاله ابن عباس والحسن وقال الأصم الرؤساء والكبراء المنظور اليهم وخصوا بالذكر لان الذم لهم ألزم اذ لا عذر لهم فى القعود (مع القاعدين) مع أصحاب الاعذار من الضعفة والزمنى والخوالف النساء اللواتى تخلفن فى البيت وجوز بعضهم أن

قوله المعذرون ففي ذلك دليل على صحة تأويل من تأوله بمعنى الاعتذار لان القوم الذين وصفوا بذلك لم يكلفوا أمر اعذر وانما كانوا فرقتين اما مجتهد طائع واما منافق فاسق لامر الله مخالف فليس في الفريقين موصوف بالتعذير في الشخوص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هو معذر مبالغ أو معتذر فاذ كان ذلك كذلك وكانت الحجة من القراء مجمعة على تشديد الذال من المعذرين علم أن معناه ماوصفناه من التأويل وقد ذكر عن مجاهد في ذلك موافقة ابن عباس حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن حميد قال قرأ مجاهد وجاء المعذرون مخففة وقال هم أهل العذر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان المعذرون (١) ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ليس على أهل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو ولا على المرضى ولا على من لا يجد نفقة يتبلغ بها الى مغزاه حرج وهو الاثم يقول ليس عليهم اثم اذا نصحوا لله ولرسوله في مغيبهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على المحسنين من سبيل يقول ليس على من أحسن فنصح لله ورسوله في تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجهاد معه لعذر يعذر به طريق يتطرق عليه فيعاقب من قبله والله غفور رحيم يقول والله ساتر على ذنوب المحسنين يتغمدها بعفوه لهم عنها رحيم بهم أن يعاقبهم عليها وذكر أن هذه الآية نزلت في عائذ بن عمرو المزني وقال بعضهم في عبد الله بن مغفل ذكر من قال نزلت في عائذ بن عمرو حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله نزلت في عائذ بن عمرو ذكر من قال نزلت في ابن مغفل حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه فجاءته عصابة من أصحابه فيهم عبد الله بن مغفل المزني فقالوا يا رسول الله احملنا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون وعز عليهم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملا فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهم في كتابه فقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج الى قوله فهم لا يعلمون ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون﴾ يقول تعالى ذكره ولا سبيل أيضا على النفر الذين اذا ما جاؤك لتحملهم يسألونك الحملان ليبلغوا الى مغزاهم لجهاد أعداء الله معك يا محمد قلت لهم لا أجد حمولة أحملكم عليها تولوا يقول أدبروا عنك وأعينهم تفيض من الدمع حزنا وهم يبكون من حزن على أنهم لا يجدون ما ينفقون ويتحملون به للجهاد في سبيل الله * وذكر بعضهم أن هذه الآية نزلت في نفر من مزينة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه قال هم من مزينة حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا على

(١) بياض بالاصل والذي ذكره السيوطي في الدر وابن كثير في تفسيره عن ابن اسحق أنهم نفر من بني غفار منهم خفاف بن ايماء بن رحضة فتنبه كتبه مصححه

يكون الحوالف جمع خالف وكان يصعب على المنافقين تشبيههم بالخوالف ثم قال (وطبع على قلوبهم) كقوله ختم الله على قلوبهم وقدم البحث فيه وقال الحسن الطبع بلوغ القلب في الكفر الى حد كأنه مات عن الايمان وقالت الاشاعرة هو حصول داعية الكفر المانعة من الايمان والطبع في اللغة الختم وهو التأثير في الطين ونحوه ومنه الطبع للسجية التي جبل عليها الانسان (فهم لا يفقهون) أسرار حكمة الله في الجهاد أو في الذهاب من السعادة وما في التخلف من الشقاء وفي قوله (لكن الرسول) نكتة هي أنه ان تخلف هؤلاء فقد أنهض الى الغزو من هو خير منهم وأصدق نية كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ثم ذكر منافع الجهاد على الاجمال فقال (وأولئك لهم الخيرات) وهي شاملة لمنافع الدارين وقيل هي الحور لقوله فيهن خيرات حسان وقوله (وأولئك هم المفلحون)

الذين اذا ما أتوك لتحملهم قال هم بنو مقرن من مزينة حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة عن مجاهد في قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الى قوله حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون قال هم بنو مقرن من مزينة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قال هم بنو مقرن من مزينة * قال ثنا أبي عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن عروة عن ابن مغفل المزني وكان أحد النفر الذين أنزلت فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية حدثني المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا قال منهم ابن مقرن * وقال سفيان قال الناس منهم عرباض ابن سارية * وقال آخرون بل نزلت في عرباض بن سارية ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا أبو عاصم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر الكلاعي قالا دخلنا على عرباض بن سارية وهو الذي أنزل فيه ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية حدثني المثنى قال ثنا سليمن بن عبد الرحمن قال ثنا الوليد قال ثنا ثور عن خالد عن عبد الرحمن بن عمرو وحجر بن حجر بنحوه * وقال آخرون بل نزلت في نفر سبعة من قبائل شتى ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب وغيره قال جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا أجد ما أحملكم عليه فأنزل الله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية قال هم سبعة نفر من

بني عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي بن عمرو ومن بني مازن
ابن النجار عبد الرحمن بن كعب يكنى أبا ليلى ومن بني المعلى سلمان
ابن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن بن يزيد أبو عبلة وهو الذي
تصدق بعرضه فقبله الله منه ومن بني سلمة عمرو بن غنمة
وعبد الله بن عمرو المزني حدثنا ابن حميد قال ثنا
سلمة عن ابن اسحق قوله ولا على الذين اذا
ما أتوك لتحملهم الى قوله حزنا وهم
البكاؤن كانوا سبعة
والله أعلم

﴿ تم الجزء العاشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري ويليه الجزء الحادي عشر
أوله ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ انما السبيل الآية ﴾

المراد منه الخلاص من المكاره ثم فصل ما أجمل فقال (أعد الله) الآية وقيل الخيرات الفلاح في الدنيا وهذه في الآخرة و (الفوز العظيم) عبارة عن كون تلك الحالة مرتبة رفيعة ودرجة عالية ۞ التأويل انما يؤثر استغفار الرسول في حقهم لقصور في القابل لا لتقصير في الفاعل والاثر يتوقف على الامرين جزاء بما كانوا يكسبون من رين القلوب وكدورة الارواح بظلمة الصفات الحيوانية وهم كافرون مستور والقلوب بحجاب حب الاموال والاولاد لهم الخيرات لما سعوا سعي العبودية نالوا خيرات الربوبية هم المفلحون المتخلصون عن حجب صفات النفس ذلك الفوز العظيم اذ لا حجاب أعظم من حجاب النفس
والله أعلم

تم الجزء العاشر من تفسير النيسابوري ويليه الجزء الحادي عشر وأوله (وجاء المعذرون الآية)

﴿ فهرست الجزء العاشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾

صحيفة		صحيفة	
٣	بيان معنى الغنيمة والفيء وبيان المصرف للغنيمة وذكر الخلاف فى ذلك	٧٠	ذكر قصة حنين وتعيين المكان
٩	بيان أن التقاء المشركين بالمؤمنين فى بدر كان على غير ميعاد	٧٤	ذكر السبب فى تسمية المشركين نجسا
١٠	ذكر ما جعله الله من الاسباب لنصر المؤمنين ببدر	٧٨	ذكر من قال من اليهود فى عزير انه ابن الله والسبب فى اعتقادهم فيه
١٢	ذكر أن ما أصاب المؤمنين من الفشل يوم أحد كان بأسباب المنازعة	٨٠	بيان معنى اتخاذ اليهود والنصارى أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله
١٤	ذكر ما صنعه ابليس يوم بدر من تصوره بصورة سراقة بن مالك وفراره	٨٣	بيان الخلاف فى معنى الكنز الذى ورد فيه الوعيد
١٩	ذكر ما يجوز به فسخ المعاهدة التى بين المسلمين وغيرهم	٨٨	بيان المراد بالأشهر الحرم ومعنى ظلم النفس فيهن
٢١	بيان معنى القوة التى أمر الله باعدادها للعدو	٩١	بيان معنى النسيء وما كانت العرب تفعله فى حجها
٢٧	بيان ما يجب على المؤمنين من مصابرتهم لمثليهم من العدو	٩٥	ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار لما أراد الخروج الى الهجرة
٣٠	بيان ما عاتب الله به المؤمنين على أخذهم الفداء من المشركين يوم بدر	٩٩	ذكر طرف من غزوة تبوك وبيان ما فعله المنافقون بها
٣٥	بيان ما وعد الله به الأسرى من الغفران والخير إن علم فى قلوبهم الايمان وتمام ذلك لبعضهم	١٠٨	بيان ما لمز به المنافقون رسول الله فى أمر الصدقة
٣٧	بيان ما كان بين المهاجرين والأنصار من التوارث	١١٠	بيان أصناف مصرف الصدقة وذكر الخلاف بين الأئمة فى بعضها
٤١	﴿ تفسير سورة التوبة ﴾	١١٧	بيان ما كان المنافقون يقولونه فى شأن النبى ويسرونه ففضحهم الله به
٤٥	بيان الصواب فى الأجل الذى جعله الله لأهل العهد من المشركين	١٢٦	بيان الخلاف فى معنى الجهاد المأمور به فى حق المنافقين
٤٧	ذكر تولية أبى بكر للحج بالناس وارسال على لقطع العلائق بين رسول الله والمشركين	١٣٠	ذكر قصة ثعلبة بن أبى حاطب الذى دعا له رسول الله بالغنى
٥٤	بيان الخلاف فى يوم الحج الأكبر والسبب فى هذه التسمية	١٣٤	ذكر ما كان أهل البادو والفاقة يتصدقون به وعيب المنافقين لهم
٥٨	بيان القبائل التى كان لهم عهد عند المسجد الحرام ومن نقض منهم ذلك	١٣٨	ذكر ما كان عليه النبى من الرحمة حتى بأهل النفاق وارادته الاستغفار لهم
٦٣	بيان ما فعلته قريش من نقض العهد بقتالهم خزاعة حلفاء رسول الله	١٤١	بيان منعه عليه الصلاة والسلام من الصلاة على المنافقين وما تم له مع عبد الله بن أبى
٦٧	بيان ما أبطله الله من افتخار المشركين بسقاية الحاج وغيرها	١٤٥	بيان من عذرهم الله فى عدم الخروج للجهاد

﴿ تم فهرست الجزء العاشر من تفسير ابن جرير الطبرى ﴾

﴿فهرست الجزء العاشر من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء العاشر من تفسير ابن جرير﴾

صحيفة		صحيفة	
٢	تفسير قوله واعلموا أنما غنمتم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	٦٦	بيان مقدار الجزية وعلى من تجب
٦	بيان أن أفعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات	٦٨	بيان دعوى اليهود في عزير أنه ابن الله
٨	بيان معنى الشكر والبطر والرياء	٦٩	ذكر السبب في تفرق أمم النصارى في الاعتقاد
١٠	تأويل تلك الآيات	٧٣	بيان تهالك أهل الناقوس على الدنيا
١٢	تفسير قوله ولو ترى اذ يتوفى الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	٧٨	بيان أن الامور الشرعية كلها منوطة بالشهور القمرية
١٦	بيان أن آثار نقض العهد اما أن تكون محتملة واما أن تكون قطعية وأحكام ذلك	٨١	بيان السنة الشمسية والقمرية
١٨	بيان أن حرب المشركين ليس بحتم وكذا الهدنة والمدار على ما يراه الامام مصلحة	٨٣	تأويل تلك الآيات
٢١	ذكر سرية حمزة وسرية عبد الله بن أنيس رضي الله عنهما	٨٤	تفسير قوله يا أيها الذين آمنوا مالكم الآيات والقراآت والوقوف فيها
٢٢	تأويل تلك الآيات	٨٧	ذكر خروج رسول الله الى الغار
٢٤	تفسير قوله ما كان لنبي أن يكون له أسرى الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	٩١	ذكر دليل من رأى أنه لا يجوز التخلف عن الغزو
٢٧	ذكر ما من الله به على العباس تحقيقا لآية ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا	٩٥	بيان ما ذهبت اليه الأشاعرة في كراهة الله للشيء وما ورد عليه
٢٩	بيان أن التوارث كان بالهجرة والنصرة	١٠٠	تفسير قوله ان تصبك حسنة الآيات والقراآت والوقوف فيها
٣١	تأويل تلك الآيات	١٠٤	بيان ما في الشح من المضار الدينية
٣٤	﴿تفسير سورة التوبة﴾	١٠٧	تأويل تلك الآيات
٣٧	ذكر ما استدل به الامامية على تفضيل علي والجواب عنه	١٠٧	تفسير قوله انما الصدقات الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٤١	ذكر ما استدل به الشافعي على قتل تارك الصلاة	١٠٩	بيان الخلاف في المسكين والفقير وبيان أصناف أهل الزكاة
٤٦	ذكر ما استدل به الامام أبو حنيفة على أن يمين الكافر ليس بيمين	١١٢	بيان أحكام تتعلق بتلك الآيات
٤٩	تأويل تلك الآيات	١١٨	بيان ما قاله المنافقون في غزوة تبوك
٥١	تفسير قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	١٢١	تأويل تلك الآيات
٥٩	ذكر غزوة حنين	١٢٢	تفسير قوله ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٦٢	تأويل تلك الآيات	١٢٨	ذكر خبر ثعلبة بن حاطب
٦٣	تفسير قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	١٣٠	بيان أن ترك الأوامر يوجب النفاق ومالأهل السنة والمعتزلة من الخلاف في ذلك
		١٣٤	تفسير قوله استغفر لهم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

﴿تم فهرست الجزء العاشر من النيسابوري﴾